ملخص الرسالة

العنوان: ((التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية)).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد كان منهجي في الدراسة المنهج التحليلي، وقسمت بحثي إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: التشبيه المفرد في الحديث النبوي، وضمنته أربعة فصول: فصل عن التشبيه النبوي في أحاديث العبادات، وفصل عن التشبيه في أحاديث الفتن، وفصل عن التشبيه في موضوعات متفرقة، وفصل عن التشبيهات المفردة في الحديث عن الآخرة، وقد ختمت هذا الباب بملحق مستقل عن التشبيه الضمني في الحديث النبوي.

أما الباب الثاني فكان عن التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، وفيه أربعة مباحث: التمثيل في الحديث عن الرسالة المحمدية، التمثيل في أحاديث صفات المؤمنين وغيرهم، التمثيل في موضوعات مختلفة،وفيه تسعة أحاديث،ثم ختمت الباب بالحديث عن التمثيل النبوي في وصف الآخرة وأحوال أهلها.

والباب الثالث عبارة عن الموضوعات والعناصر المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم، وفي هذا الباب فصلان، تحدثت في الفصل الأول عن المعاني والموضوعات المشتركة التي تحدث عنها الرسول عليه السلام وكانت الصورة التشبيهية بيانا لبعض جوانبها ثم جاءت تلك الموضوعات في القرآن الكريم بأسلوب التشبيه وكانت الدراسة دراسة موزانة اعتمدت على المقارنة بين الأسلوبين وذلك من خلال معرفة أوجه الشبه والاختلاف، وفي هذا الفصل مبحثان، مبحث عن الدنيا وما فيها من منافقين وكافرين،وآيات ....، ومبحث عن يوم القيامة وما فيه من أهوال، ووصف للجنة والنار.

أما الفصل الثاني فكان الحديث عن العناصر التي تكونت منها الصورة النبوية التشبيهية، وكيف تم توظيفها في الحديث النبوي مع المقارنة بورودها في القرآن الكريم. وقسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث: عنصر النبات كالبذور، والزرع، والنخلة...، وعنصر الحيوان كالإبل،والحمار، والكلب، والحية...، وعنصر الجماد كالصفا واللؤلؤ،ولرماد.

ثم اثبت بعض العناصر المتفرقة التي لم أجد لها عنوانا محددا كالسراب ولمح البصر، والفراش....

وبعد الدراسة والتحليل والربط وجدت أن التشبيهات النبوية جاءت في جميع الموضوعات والأغراض وأن أسلوب التشبيه النبوي المفرد جاء في الأغلب مرسلاً مجملاً، وقد عبر عليه الصلاة والسلام عن الأمور المعنوية بالمحسوسات لتثبت في النفس. كما وجدت أن العناصر المكونة للصورة التشبيهية مشتركة بين الحديث والقرآن مع اختلاف الغرض، ولم تكتف الدراسة بالصورة التشبيهية فقط بل امتدت يدها إلى ألفاظ الحديث الأخرى التي أثرت الصورة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،.

Simile in “Sheeh Muslim”

(Analytic study)

Thanks be to Allah and may prayer and peace be upon his messenger.

The research follows the analytic method and it is divided into three chapters.

Chapter one id on the (mufrad) simile in the prophet’s sayings. The chapter comprises four sections.

- Simile in prophet sayings connected with worship.
- Simile in the prophet’s saying on intrigue.
- Simile in miscellaneous themes.
- Simile in talking about life hepealter.

This chapter also contains a separate appendix on (tacit “dimni) simile in the prophet’s sayings.

Chapter two discusses the “tamtheel” simile in the prophet’s saying. There are four sub-sections here:

- simile dealing with the Mohammadan massage.
- “Tamtheel” simile in describing believers and the others.
- “Tamtheel” simile regarding different issues.
- The find sub-section discusses the use of “tamtheel” simile in describing life hereafter and the conditions of people then.

Chapter three deals with the common elements in “Hadeeth” prophet’s sayings and Holy Quran.

The first section in this chapter discusses meanings and commonly shared subjects in sayings and Quran.

The study takes the form of comparison between the two styles as regards similarities and differences.

The second section contains two sub-sections. The first one deals with life and non-believers, whereas the second discusses the day of Judgments and its horrors. It also gives descriptions of paradise and Hell.

The second sub-section deals with simile in the prophet's sayings and how it is employed with reference to the Holy Quran.

In tachling the precious issue, the researcher considers four elements.

First: the element of plants such as seeds, palm-trees …

Second: the element of animals such as camels, donkeys dogs, snskes … etc.

Third: the element of inanimate such as rocks, pearls ash…etc.

The researcher also discusses some other elements not classified under the above mentioned categories such as mirge, glimpse, butterflies … etc.

After studying and comparing all these issues the researcher comes to the conclusion that the prophet's sayings cover almost all aspects and purposes and the simile exists as "mursal Mujmal". The prophet may peace and prayer be upon him, has likened the abstract meanings to tangible forms and things to reinforce their meanings. However, the elements of simile are commonly shared and found in both Quran and "Hadeeth" expressions and style which have enriched the overall picture.

المُقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن كلاما مؤلفًا منظما، بحسب المصالح منجما، جعله على قسمين متشا ا ومحكما، استأثر بالأولية والقدم، ووسم كل شيءٍ بالعدم، أنشأ كتابا ساطع التبيان، قاطع البرهان، وحيا ناطقًا ببينات وحجج، قرآنا عربيا غير ذي عوج، مفتاح كل منفعة دينية ودنيوية، مصدقًا لما سبقه من كتب سماوية.

والصلاة والسلام على معدن البلاغة والفصاحة، ومنبع الجود والسماحة، رسول الله أبي القاسم، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ذي اللواء المرفوع في بني لؤي، وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي، المثبت بالعصمة، الناطق بالحكمة، الواضح الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيد بجبريل، وعلى آله الأطهار، وخلفائه الأبرار، من تزوج الأختان منهم والأصهار، وعلى جميع المهاجرين والأنصار، ثم أما بعد:

فالتشبيه من فنون التعبير البليغ، أولع به شعراء العرب وخطباؤهم منذ الجاهلية حتى وقتنا الحاضر، قال المبرد في كتابه "الكامل":والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد ...، وجعله قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" أحد أغراض الشعر الرئيسة كالمديح والنسب والهجاء.

وقد اهتم العلماء قديما وحديثًا ذا الفن، وتتبعوه في كلام العرب، وكان أول من أفاض في دراسته المبرد في كتابه "الكامل" إذ قال: واعلم أن للتشبيه حدا، فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه، فإنما ينظر إلى التشبه من حيث وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس، فإنما يراد الضياء والرونق، ولا يراد العظم والإحراق...اهـ.

والتشبيه باب واسع من أبواب علم البيان، ولاشك أنه من أجلها، وله فوائد عظيمة، منها إيضاح المعنى العام المقصود، والإيجاز، والاختصار، ويحصل به إيناس للنفس، حيث يخرج لنا الخفي من المعاني إلى التجسيد والوضوح، والجلاء، وهو من أشهر أقسام الصورة البيانية ومن أكثرها شيوعا وانتشارا في اللسان العربي، ويكفينا قول الجاحظ: إنما الشعر صناعة وضرب من التصوير.

وستكون دراستي للتشبيه ـ إن شاء الله ـ دراسةً تحليلية دون التعرض للتشبيه من الناحية التاريخية.

يقول الزمخشري وهو يتحدث عن أثر التشبيه في تصوير المعاني، وما يقوم به من تشخيص، وما تحدثه في نفس متلقيها:

((ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل، والنظائر، شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين، وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله ـ عليه السلام ـ وكلام الأنبياء والحكماء))[1]

ويقول في موضع آخر من تفسيره عن هذا الفن:

((والتشيبهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأشياء حتى تبرزها وتكشف عنها، وتصورها للأفهام)) [2] .

وفي أثناء التحليل للتشبيه لا مل صياغة الجمل وما فيها من دقائق انعكست على هذه الصورة التي لا يمكن أبدا أن تدرك دلالا ا من غير تأمل لهذه العلائق، والوشائج بين كلما ا، والإيحاءات التي توحي ا الكلمة،والتي هي بمثابة الخيوط والخطوط التي لا يوجد التصوير إلا معتمدا عليها.

ويقول البرقوقي عن هذا الفن في حاشيته على التلخيص:

((وبعد فهذا الضرب من البيان ـ التشبيه ـ على حدته ك من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان، وأن يضع الكلام بعيد المرام، قريبا من الأفهام، ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يشبه الجواد بالبحر، والشجاع بالأسد، والحسن بالشمس، وما ماثل ذلك مما اشتهر أمره، وجرى لذلك

---

(1) الكشاف ٥٤/١.

(2) المصدر السابق ٣٥٨/٣.

مجرى الحقيقة، وإنما هو يدق ويلطف حتى يأتيك بما يخلب القلوب، ويرقص الهام، وحتى يخرج مثله عن طوق البشر جميعا))[١] .

ودراستنا خاصة بالتشبيه النبوي، والبلاغة سمة واضحة جلية في كلامه عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: ((فُضلت علي الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافّة، وختم بي النبوات))[٢].

وقد وصف العلماء ـ رحمهم الله ـ بلاغته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وما تميزت به من ميزات فاقت بلاغة كل بليغ، فالجاحظ يصف بلاغته ـ عليه الصلاة والسلام ـ في التركيب حيث قال في كتابه "البيان والتبيين" : إنه مما لم يسبقه إليه عربي ... وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف ... فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة ....

ولمّا كانت الدراسة حول التشبيه فإ ا ستنصب على المشبه به، لأنه هو الشيء الذي جاء به المتكلم ليقرن به المشبه، ومدى دقته، وكشف أسراره، حيث أنه لا يمكن أن ينقل المشبه به من نصه إلى نص آخر لأن المشبه به جيء به لغرض مناسب لروح النص، وهذا عمل الدراسة حيث نتعرف على الأسرار والدقائق، والإيحاءات والإيماءات التي من خلالها نتعرف على دقة البلاغة، وإحكام الصنع في التركيب، ونحاول الكشف عن دقة الإيماض، وخفي الوحي وهذا في جميع التشبيهات المفردة والتمثيلية لأن التشبيه يقع حسنا بمقدار ما فيه من حس، وما يضمره من معنى يرشد إلى دقة وعي القائل بما يقول، وبمقدار تعرفنا على هذه الدلالات في سياق النص النبوي نكون قد قربنا من غايتنا.

و الحديث النبوي أبلغ نص بعد القرآن إجماعا، مبدع لفظًا وتركيبا، وصورا وأخيلة، له نسق معين وأسلوب لا يضاهيه أسلوب.

كالبدر من أي النواحي رأيته   يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

---

(1)التلخيص في علوم البلاغة للإمام القزويني شرح الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي،دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(2)رواه مسلم.

والزيات ـ رحمه الله ـ يتحدث عن بلاغته ـ عليه الصلاة والسلام ـ في كتابه "وحي الرسالة" يقول: إن بلاغة الرسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن مقياسه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه، وإنما نعلم خبره، هل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة وهو يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة .... إن البلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية، وإذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز، فإن كلام الرسول سنة هذا البيان، وإذا كان البلاغ صفة كل رسول فإن البلاغة صفة محمد وحده.

وقد قامت هذه الدراسة التحليلية للتشبيه النبوي من خلال ثلاثة أبواب، وقد اندرج تحت كل بابٍ مجموعة من الفصول:

الباب الأول:

التشبيه النبوي المفرد، وفيه عدة فصول:

الفصل الأول: التشبيه النبوي في أحاديث العبادات.

وفي هذا الفصل خمسة مباحث:

١ ـ التشبيهات الواردة في الحديث عن الإيمان والإسلام.

٢ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث أركان الإسلام.

وفي هذا المبحث ما يلي:

أولاً: التشبيهات الواردة في أحاديث الصلاة وما يتعلق ا.

ثانيا: التشبيهات الواردة في أحاديث الزكاة والصدقة.

ثالثًا: التشبيهات الواردة في أحاديث الصيام.

رابعا: التشبيهات الواردة في أحاديث الحج والأماكن المقدسة.

٣ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث الجهاد.

٤ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث الذكر والدعاء.

٥ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث التكافل الاجتماعي.

الفصل الثاني:

التشبيه النبوي في موضوعات متفرقة، وفيه عدة مباحث:

١ ـ التشبيهات الواردة في قصة الإسراء والمعراج.

٢ ـ التشبيهات الواردة في السحر.

٣ ـ التشبيهات الواردة في الزواج وما يتعلق به.

٤ ـ التشبيهات الواردة في جوانب مختلفة.

الفصل الثالث:

التشبيه النبوي في أحاديث الفتن، وفيه مبحثان:

١ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث الفتن عامة.

٢ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث أشراط الساعة وفي هذا المبحث مايلي:

أ) التشبيهات الواردة في قصة الدجال وينقسم إلى:

١ ـ ما ورد من تشبيه في روايات وصف عينه.

٢ ـ ما ورد من تشبيهات في روايات وصفه ووصف فتنته.

ب)التشبيهات الواردة في قصة يأجوج ومأجوج.

الفصل الرابع:

التشبيه النبوي في أحاديث الآخرة، وفيه ثلاثة مباحث:

١ ـ التشبيهات الواردة في وصف مشاهد يوم القيامة.

٢ ـ التشبيهات الواردة في وصف الجنة وأهلها.

٣ ـ التشبيهات الواردة في وصف النار وأهلها.

وقد ختمت هذا الباب بملحق مستقل عن التشبيه النبوي الضمني وأثره في أداء المعنى في الصحيح.

الباب الثاني:

التشبيه النبوي التمثيلي:

في بداية دراستي لهذا الباب تحدثت عن الفرق بين التشبيه والتمثيل من خلال عرض آراء أربعة من علماء البلاغة القدماء كان أثرهم واضحا في التأليف البلاغي.

ثم قمت بتقسيم هذا الباب إلى خمسة موضوعات، حاولت في كل موضوع أن أجمع الأحاديث المتشا ة، وهذه الموضوعات هي:

١ ـ التشبيه التمثيلي في بيان الرسالة المحمدية.

٢ ـ التشبيه التمثيلي في أحاديث صفات المؤمنين وغيرهم.

٣ ـ التشبيه التمثيلي في أحاديث العبادات.

٤ ـ التشبيه التمثيلي في موضوعات مختلفة.

٥ ـ التشبيه التمثيلي في أحاديث الآخرة.

وقد تناولت كل صورة بالتحليل والتقليب والنظر المتأمل في عناصرها وما بين الكلمات المكونة للصورة من وشائج، وما لبعض الألفاظ من ظلال وإيحاءات كان أثرها في الصورة بارزا.

الباب الثالث:

الموضوعات والعناصر المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم وفي هذا الباب فصلان:

الفصل الأول:

المعاني والموضوعات المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم، وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: الدنيا وما فيها وفي هذه المبحث ما يلي:

أ ـ الدنيا نفسها.

ب ـ المنافقون.

جـ ـ الكافرون.

د ـ القمر.

هـ ـ عيسى عليه السلام.

و ـ الصدقة.

وقد درست الصورة التشبيهية في كل موضوع من هذه الموضوعات، وبينت أوجه الشبه والاختلاف بين الصورة النبوية والصورة القرآنية.

المبحث الثاني: يوم القيامة وما بعده، وفي هذه المبحث المضوعات التالية:

أ ـ يوم القيامة نفسه وما فيه من الأهوال.

ب ـ الجنة وأحوال أهلها.

جـ ـ النار ووصف أهوالها وعذاب من فيها.

وسأدرس ـ إن شاء الله ـ هذه الموضوعات على ج دراسة المبحث السابق مراعيا في التحليل الجانب الديني والجانب البلاغي.

الفصل الثاني:

العناصر المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم، وفي هذا الفصل سأحاول ـ بمشيئة الله ـ استقصاء جميع العناصر الواردة في الحديث النبوي وما جاء منها في القرآن الكريم بطريق التشبيه، وقد قسمت هذه العناصر إلى موضوعات:

١ ـ عنصر النبات.

٢ ـ عنصر الحيوان.

٣ ـ عنصر الجماد.

٤ ـ متفرقات.

وقد ختمت بحثي بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

وقد واجهتني صعوبة تحديد نوع وفهم الصورة التشبيهية في الصحيح وذلك لكثرة رواياته، وقد حاولت جاهدا أن أقع على المعنى البلاغي بالرجوع إلى كل رواية واستنتاج خلاصة ما قاله علماء الحديث والشراح البلاغيون.

ثم لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر أولاً لله ـ تعالى ـ على إتمام هذا البحث، ثم إلى جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية اللغة العربية فجزاهم الله خير الجزاء، ثم أخص بالشكر

سعادة الدكتور يوسف الأنصاري على ما بذله من جهد وتوجيه ونصح، وما أكرمني به من وقته حتى تم هذا البحث.

كما لا أنسى في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى مقام الدكتور شاكر الصباغ الذي بدأ معي هذه البحث في مراحله الأولى، فجزاهما الله عني خير ما جزى به عالم.

ثم أتقدم بخالص الدعاء إلى والدي الذين حرصا على توجيهي والدعاء لي بالتوفيق في الدنيا والآخرة، فرحم الله من انتقل إليه وألبس من بقي ثوب الصحة والعافية.

كما أتقدم بالشكر إلى من مد لي يد العون حتى خرج هذه البحث إلى النور.

وأخيرا أرجو من الله ـ العلي القدير ـ أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، كما أسأله أن يضاعف لنا أجر ما بذلنا من نظر في كتابه الكريم وحديث نبيه الأمين، والحمد لله رب العالمين.

مقدم البحث الطالب

أحمد عيضة أحمد الثقفي

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات
فرع الأدب

التشبيه في صحيح مسلم

دراسة تحليلية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد

من الطالب

أحمد عيضة أحمد الثقفي

٤ - ٨٢٥٢ - ٤١٨

إشراف

الدكتور / يوسف بن عبد الله الأنصاري

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

الباب الأول:

التشبيه المفرد في الحديث النبوي:

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول: التشبيه النبوي في أحاديث العبادات:

وفي عدة مباحث:

١ ـ التشبيهات الواردة في الحديث عن الإيمان والإسلام.

٢ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث أركان الإسلام.

وفي هذا المبحث ما يلي:

أولاً: التشبيهات الواردة في أحاديث الصلاة وما يتعلق ا.

ثانيا: التشبيهات الواردة في أحاديث الزكاة والصدقة.

ثالثًا: التشبيهات الواردة في أحاديث الصيام.

رابعا: التشبيهات الواردة في أحاديث الحج والأماكن المقدسة.

٣ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث الجهاد.

٤ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث الذكر والدعاء.

٥ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث التكافل الاجتماعي.

الفصل الثاني:

التشبيه النبوي المفرد في أحاديث الفتن:

وفيه مبحثان:

١ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث الفتن عامة.

٢ ـ التشبيهات الواردة في أحاديث أشراط الساعة، وفيه:

أ) التشبيهات الواردة في قصة الدجال وينقسم إلى:

١ ـ ما ورد من تشبيه في روايات وصف عينه.

٢ ـ ما ورد من تشبيهات في روايات وصفه ووصف فتنته.

ب)التشبيهات الواردة في قصة يأجوج ومأجوج.

الفصل الثالث:

التشبيه النبوي المفرد في **موضوعات متفرقة:**

وفيه عدة مباحث:

١ ـ التشبيهات الواردة في قصة الإسراء والمعراج.

٢ ـ التشبيهات الواردة في السحر.

٣ ـ التشبيهات الواردة في الزواج وما يتعلق به.

٤ ـ التشبيهات الواردة في جوانب مختلفة.

الفصل الرابع:

التشبيه النبوي المفرد في **أحاديث الآخرة:**

وفيه ثلاث مباحث:

الأول: التشبيهات الواردة في وصف مشاهد يوم القيامة.

الثاني: التشبيهات الواردة في وصف الجنة وأهلها.

الثالث: التشبيهات الواردة في وصف النار وأهلها.

وقد ختمت هذا الباب بملحق مستقل عن التشبيه النبوي الضمني وأثره في أداء المعنى في الصحيح.

الطالب

أحمد عيضة أحمد الثقفي

التشبيه ودلالته الفنية:

جاء في المعاجم اللغوية ((شبه : الشبه والشبه : المثلُ والجمع أشباه وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله ....

والتشبيه :التمثيل))[١].

والتشبيه ((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى))[٢] وقد تعددت تعريفات علماء البلاغة للتشبيه[٣] ألا أن مؤداها يشير إلى أنه عقد مشاركة بين شيئين في صفة مشتركة بأداة مذكورة أو مقدرة لغرض يقصده المتكلم والأديب عندما يريد إبراز وصف شئ ما يعمد إلى اختيار شئ آخر تكون الصفة فيه ظاهرةً وبارزةً ، فيجعله مشبهاً به ، ويأتي الجمال فيما ينقل من الصورة الكامنة وحسن الاختيار للطرف الثاني ـ المشبه به ـ وما ينتج من وجه الشبه من دلالة على قوة النفاذ إلى عمق الشيء .

وقد أُعجب الشعراء منذ الجاهلية بالتشبيه فأكثروا من صوره وافتنوا في تجويدها باعتباره طريقاً من طرق الإبانة عن المعاني ، والمتصفح لدواوين الشعر العربي والمختارات الشعرية كالمفضليات ، والأصمعيات ، وشروح الحماسة وغيرها يرى أ ا قد حوت القصائد على قدر كبير من التشبيهات الرائعة التي تجود ا قرائح الشعراء وتفيض ا ملكا م ، وتنطلق ا ألسنتهم بالطبع والسليقة .

وإذا كان الشعراء قد أُعجبوا بالتشبيه وبالقوافي في تجويد صوره ، فأنه قد حظي ((بمثل هذا الشغف والإعجاب من النقاد ، ودارسي الأدب على اختلاف منازعهم وتنوع البيئات الثقافية التي ينتمون إليها ، الافتنان بالتشبيه في تراثنا كان افتناناً عاماً يستوي فيه الشاعر المبدع والناقد المقوم))[٤].

---

(1) لسان العرب لابن منظور ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ، ج٢٣/٧.

(2) التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني ،تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط٢ ،القاهرة ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م.

(3) ينظر (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) ، د.أحمد مطلوب ،صـ ٣٢٣ ومابعدها ، ط٢ ١٩٩٦م ،مكتبة لبنان ناشرون.

(4) الصورة البيانية في التراث البلاغي ، د.حسن طبل ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ١٩٨٥م ،ص٣٤.

فالتشبيه أصل أصيل في الكلام العربي ،تعمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه ، وكانت صوره وماد ا مستمدة من البيئة التي عاش فيها الشاعر وتفاعل مع أحداثها ومظاهرها المختلفة على مر العصور والأجيال .

والتشبيه يقع في مقدمة الألوان البيانية لما يحدثه من ربط بين الأشياء وإيضاح واختصار ، فهو طريق من طرق التعبير التي يجد فيه القارئ متعته حين يدرك صنعة الشاعر في جمعه بين الأشياء المتباعدة .

وقد ((عني الباحثون بدراسة التشبيه عناية واضحة تتمثل في الدراسات الضخمة التي يراها المطلع على كتب الأدب والشعر واللغة والتفسير ، وهذا الاهتمام راجع إلى شيوع هذه الخاصية وجريا ا في كثير من فنون الكلام فصلاً عن كثر ا في القرآن الكريم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأ ا جزءً أصيل في بلاغة اللغة وآدا ا ، ومن هنا اجتهدوا في دراسته والكشف عن أسراره ، ومواطن التأثير فيه)) (١) .

وقد أشار القدماء إلى م لة التشبيه في البيان النبوي،وعلى رأسهم الجاحظ(ت٢٥٥) فقد تحدث عنه في مواضع كثيرة متفرقة من كتابه القيم البيان والتبيين ، ويهمنا منها تلك الموازنة التي عقدها تشبيه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله ـ :((الناس كلهم سواء كأسنان المشط) وقول الشاعر(٢):

سواءٌ كأسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلاً

ورأى أن الفرق بين التشبيهين هو مما يتفاضل به الكلام بعضه على بعض، فقال : ((وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحقيقته عرفت فضل ما بين الكلامين)) (٣) .

وبلاغة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلاغة تأتي في المرتبة الثانية بعد بلاغة القرآن الكريم ، وقد تحدث عن هذه البلاغة القدماء والمحدثون ، فوصفوها بعد تأمل لصورها وتراكيبها وألفاظها.

---

(1) التصور البياني / د.محمد أبو موسى / مكتبة وهبه / ط٣ /١٤١٣هـ ،١٩٩٣م /صـ ٢٥

(2) هو الشاعر كثير عزة

(3) البيان والتبيين / تحقيق عبد السلام هارون/ ١٩/٢

ولعل أول من أفرد التشبيه بمبحث خاص هو المبرد(ت٢٨٥هـ)حيث قال:((والتشبيه جار كثيراً في الكلام ـ أعني كلام العرب ـ حتى لو قال قائل إنه أكثر كلامهم لم يبعد)) [١].

وقال عنه ـ أيضاً ـ أبو هلال العسكري ـ ت ٣٩٥هـ : ((التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان))[٢].

وقد أهتم العلماء بهذا الأسلوب البلاغي ،وأُعجبوا بصوره،وأوردوا في مؤلفاتهم صوراً عديدة تناولوها بالتحليل والتمييز بين الصور في المعاني المشتركة في الموضوع الواحد[٣].

ولما كانت الغاية من البيان النبوي هي الكشف عن الحقائق التي أُرسل بها ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتوضيحها ، فقد كان مما توصل به إلى هذه الغاية أسلوب التشبيه الذي شاع وكثر في كلامه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند عرضه للمعاني المختلفة ، وذلك لما للتشبيه من أثر في النفس يزيد على غيره من الأساليب .

وقد تنوعت التشبيهات في البيان النبوي بين مفرده ومركبه ،ومنهجي في هذه الدراسة مع كل تشبيه أدرسه أقوم ببيان غرض التشبيه وأثره في بناء الأسلوب .

وسأبدأ أولاً ـ بمشيئة الله ـ بالتشبيه المفرد إذ أنه الأساس في باب التشبيه ،وقد صنفته حسب موضوعات الحديث النبوي الواردة في الصحيح ، وجعلتها فصولاً مكونة من مباحث، وختمت الباب بفصل عن التشبيه الضمني في الحديث النبوي ، ثم انتقل بعدها إلى التشبيهات المركبة في الحديث النبوي الشريف .

---

(1) الكامل /لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت ٢٨٥هـ ، تحقيق محمد أحمد الدالي ٩٩٦/٢، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

(2) الصناعتين الكتابة والشعر /تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري /تحقيق د.مفيد قميحة صـ ٢٦٥/ ط١٤٠٤/٢هـ /دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(3) ينظر مثلاً كتاب (فن التشبيه لعلي الجندي /ط١ /الأنجلو بالقاهرة / وكتاب (البلاغة التطبيقية / للدكتور أحمد موسى /ط١٩٦٣/١م/مطبعة المعرفة.

الفصل الأول:

التشبيه المفرد في أحاديث العبادات:

جمع الأمام مسلم ـ رحمه الله ـ عدداً من الأحاديث التي تدور حول العبادة ـ السرية منها والجهرية ـ وقد جاء في هذه الأحاديث عدد من الصور التي كانت تتحدث عن الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما من أمور معنوية تم تجسيدها من خلال التشبيه ، وعن الصلاة وأمور الزكاة والحج ، وبيان لمكانة أو حرمة بعض الأماكن المقدسة .

وكان من بين تلك الصور صور تناولت عبادة الجهاد ، وما فيه من فضل ، وماله من مكانة ، كما جاءت تشبيهات بينت فضل الذكر والدعاء ، وما فيهما من خير في الدنيا والآخرة ، وفي نهاية هذا الفصل جعلت مبحثاً حصرت فيه التشبيهات الواردة في أحاديث التكافل الاجتماعي في الإسلام من رعاية للأيتام والمساكين والأرامل وغير ذلك من صور العطف والرحمة فكان عدد مباحث هذا الفصل خمسة مباحث سنتناولها ـ إن شاء الله ـ بالدراسة والتحليل .

١ ـ المبحث الأول

التشبيهات الواردة في الحديث عن الإيمان والإسلام :

جاءت صور تشبيهية في الحديث النبوي تبين أموراً تتعلق بالإيمان والإسلام ، وقد جمعت في هذا المبحث أربعة تشبيهات تناولت جوانب مختلفة جاء التشبيه لبيانها إتقان العبادة المنبثق من قوة استشعار المراقبة لله تعالى ، وكراهة الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان ، والتحذير من الحلف بملة غير الإسلام ،وجاء في هذه الرواية تشبيه آخر يحرم لعن المؤمن لأخيه المؤمن .

وقد جعل عليه الصلاة والسلام المشبه به أمراً محسوساً لتقريب المعنى المراد للأفهام فكانت كما يلي ((كأنك تراه)) ، ((كما يكره أن يقذف في النار)) ، ((كقتله))، ((فهو كما قال)) . وهي في حقيقتها تشبيهات مرسلة جاءت الأداة "كأن" في الصورة الأولى لأن المقام يقتضي ذلك فهي تدل على قوة المشابهة بين الطرفين ، أما بقية الصور فقد جاءت فيها الكاف للبيان والإيضاح ، وهذه التشبيهات ستكون دراستنا لها على النحو الآتي :

إتقان العبادة:

هذه الصورة التشبيهية الرائعة جاءت في حديث بين فيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مفهوم الإسلام والإيمان والإحسان ، فعن عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال يامحمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ،وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ،أن استطعت إليه سبيلاً ، قال صدقت ،قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أمارا ا ، قال: أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق ، فلبثت ملياً ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) [١].

هذا الحديث العظيم حوى أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، والإحسان ، أي جميع العبادات الظاهرة والباطنة .

والتشبيه الذي يعنينا في هذه الرواية قول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإحسان ((أن تعبد الله كأنك تراه)).

فهو تشبيه من جوامع كلمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلو تخيلنا أن أحدنا قام في عبادة من العبادات وهو يعاين الله ـ عز وجل ـ فإنه لن يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخشوع والخضوع وحسن السمت وإتقان للعبادة ظاهراً وباطناً.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ج١٥٦/١ ـ ١٦٠.

والحديث يحث على الإخلاص في العبادة ، ومراقبة العبد ربه ـ تبارك وتعالى ـ في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك ، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياءً منهم ، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلانيته ؟))[١].

وقد وردت الصورة في رواية أخرى ((أن تخشى الله كأنك تراه))[٢].

وذكر الإمام العيني أن الإحسان على مقامين :

الأول : قوله ((أن تعبد الله كأنك تراه)) والثاني : قوله ((فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) قوله ((كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) قال النووي : هذا أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين ، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وك العارفين ودأب الصالحين . وتلخيص معناه : أن تعبد الله عبادة من يرى الله ـ تعالى ـ ويراه الله ـ تعالى ـ، فإنه لا يستبقي شيئاً من الخضوع والإخلاص وحفظ القلب والجوارح ، ومراعاة الآداب ما دام في عبادة ، وقوله : ((فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) يعني : أنك إنما تراعي الآداب إذا رأيته ورآك لكونه يراك لا لكونك تراه ، وهذا المعنى موجود وإن لم تره لأنه يراك ، وحاصله الحث على كمال الإخلاص في العبادة و اية المراقبة فيها . وقال .... هذا من جوامع الكلم .....))[٣].

حالتان تثمرهما معرفة الله وخشيته وطلب مرضاته لنيل ما عنده من الخير . فقد شبه عليه الصلاة والسلام عبادة العبد ربه التي ا يصل إلى درجة الإحسان بعبادة العبد لله عياناً ، يرى كل واحد منهما الآخر .

ووجه الشبه الخشوع والمهابة والإجلال والإتقان .

واختيار الأداة ((كأن)) له دلالة على إرادة الإبلاغ في تحقيق الحالين ومحاولة الارتقاء في مقام الاستحضار القلبي للمهابة من الله .

---

(1) المصدر السابق ١٥٨/١

(2) المصدر السابق ١٦٥/١

(3) عمدة القارئ شرح البخاري ٣٣٠/١ ـ ٣٣١

فهو تشبيه مرسل باعتبار ورود الأداة ((كأن)) التي ربطت بين محسوسين ، وهما طرفا التشبيه ، ومجمل لأن وجه الشبه محذوف ، وهو الخضوع والخشوع والمراقبة ... والغرض من التشبيه بيان الحال والمقدار في هيئة العبادة وبيان ما يجب أن يكون فيها من الخشوع والجلال والمهابة .

والعبادة هي التي خلق من أجلها جميع المخلوقات وخاصة الثقلين لذلك بدأ ا ((أن تعبد الله)) فالتشبيه تأكيد لما ورد في الحديث من تربية للمسلم على فضيلة المراقبة الذاتية واستشعار الهيمنة الإلهية في جميع أموره .

التنفير من اللعن والحلف بغير ملّة الإسلام :

عن ثابت بن الضحاك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ((من حلف على يمين بملّة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر في شيء لا يملكه))[١].

وفي رواية أخرى له :

قال : ((ليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله))[٢].

اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله وهذا الفعل لا ينبغي للمسلم ، والحديث يحذر في روايته الأولى من هذا الفعل ، وهذا أمر عظيم يجب على المسلم أن يجتنبه ، ولا يقدم عليه، فقد جعل عليه الصلاة والسلام اللعن كالقتل ، وقد بين الله جزاء القتل في قوله الكريم :﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدّ له عذاباً عظيماً[3]﴾.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٩/٢.

(2) المصدر السابق ١١٩/٢.

(3) سورة النساء : الآية : ٩٣

ذكر النووي أن اللعن من قبيل التحريم حيث قال : ((قوله لعن المؤمن كقتله)) يعني في قبيل التحريم سواء ظاهراً ، وأن كان القتل أغلظ ، وهذا هو الذي أختاره أبو عبد الله المارزي ، وقيل غير هذا مما ليس بظاهر .....))[١].

أما العيني فيجعل ذلك في التحريم أو الأبعاد أو مبالغة في الإثم[٢].

فاللعن دعاء على الملعون بأن يطرده الله من رحمته ، وأن يغرقه في غضبه ، وفي هذا دعوة بالتدمير المعنوي الذي قد يترتب عليه تدمير حسي .

واللاعن يرى أن الملعون لا يستحق الحياة والرحمة فهو كالقاتل ، وهذا أمر لا يجيزه الإسلام بل لم يقبل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعن الحيوان فكيف بلعن المسلم للمسلم ؟

فالمشبه لعن المؤمن لأخيه المؤمن .

والمشبه به: القتل

والوجه : الإثم والتحريم والإبعاد و التفظيع ....

والغرض بيان مقدار الإثم الذي يجنيه ويكتسبه اللاعن.

وهو معنوي بمحسوس.

وقد جاءت الروايتان في البخاري في حديث واحد:

((من حلف بغير ملّة الإسلام فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم ، ولعن المؤمن كقتله ......))[٣].

جاء في شرح الحديث :

قوله : ((فهو كما قال))، قال المهلب : يعني هو كاذب في يمينه لا كافر ، لأنه لا يخلو أن يعتقد الملّة التي حلف ا كفارة عليه بالرجوع إلى الإسلام ، أو يكون معتقداً

---

(1) هامش صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٥/٢.

(2) عمدة القارئ : ١٥٠/١٩.

(3) المصدر السابق ١٥٠/١٩.

الإسلام بعد الحنث فهو كاذب فيما قاله ..... وقيل : يراد به التهديد والوعيد ، وقال ابن القصار : معناه النهي عن موافقة ذلك اللفظ والتحذير منه لا أنه يكون كافراً بالله))[1].

فمن حلف بغير ما عليه الإسلام فقد عظم ذلك الدين الباطل ، فيكون حال تلك الدال عليها نطقه وبيانه مساوية لحاله وواقعه تصويراً أو مآلاً .

والحديث يحذر من الحلف بمثل هذه المخلوقات والواجب الحلف بالله تعظيماً له سبحانه .

٢ـ المبحث الثاني :

التشبيهات الواردة في أحاديث أركان الإسلام :

في هذا المبحث نتناول الصور التشبيهية الواردة في أحاديث تدور حول أركان الإسلام. والأركان التي وردت فيها تشبيهات تنوعت موضوعات تشبيها ا في كل ركن ، وسيتم ـ بمشيئة الله ـ دراسة هذا المبحث من خلال أربعة أركان هي :

أولاً : التشبيهات الواردة في الحديث عن الصلاة وما يتعلق ا من أمور :

وموضوع الصلاة وما يتعلق ا في أحاديث الصحيح جاءت فيه تسع عشرة صورة تشبيهية كانت تدور حول الوضوء التام ، ووجوب قراءة الفاتحة في الصلاة ، وعدم مسابقة المأموم للإمام ، والاطمئنان فيها وتسوية الصفوف ، ثم بين عليه الصلاة والسلام مقدار سترة المصلي ، كما بين وقت كل صلاة ، ثم بين خطر من ترك بعض الصلوات ، وأهمية وفضل صلاة الجماعة ، والترغيب في القيام بالنافلة في البيت ، وقد جاءت صورتان تبين ما يجب فعله يوم الجمعة من غُسلٍ ، وبيان أجر التبكير ، ثم بين عليه الصلاة والسلام أجر من صلى على جنازة ، وأخيراً جاء بيان أجر الصلاة في المسجد النبوي .

وهي موضوعات متفرقة ومعان جليلة بينها التشبيه إما ترغيباً في فعلها أو ترهيباً من ارتكا ا .

---

(1) عمدة القارئ : ١٥٠/١٩.

وقد جاء من هذه التشبيهات أربعة معاني تم توضيحها من خلال التشبيه البليغ وهي: وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة، النهي عن مسابقة الأمام ، وصلاة النافلة في البيت ، وكيفية الغسل ليوم الجمعة .

وبقية التشبيهات جاءت مرسلة ومجملة باعتبار ذكر الأداء وحذف وجه الشبه . أما أدوات التشبيه التي ربط ا الطرفان فجاءت لفظة ((نحو)) في بيان كيفية الوضوء التام ، وجاءت الأداء ((مثل)) مرتين في بيان مقدار السترة ، وأجر الجنازة ، أما ((الكاف)) فجاءت ثلاث مرات، في بيان تسوية الصفوف ، ودخول وقت كل صلاة ، وبيان مقدار أجر الصلاة في المسجد النبوي ، وجاء ت الأداء ((كأن)) تسع مرات في بقية المعاني السابقة وإليك التفصيل :

*** إتقان الوضوء :**

روي أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ دعا بوضوء ، فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات ، ثم مضمض واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاث مرا ت، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ، ثم قال رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ـ ((من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قام فصلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه))[١].

هذا الحديث أورده الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في كتاب الطهارة ، وهو أصل عظيم في صفة الوضوء التام الكامل ، قال ابن شهاب :

((وكان علماؤنا يقولون : هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد للصلاة))[٢].

وإسباغ الوضوء من أحب الأعمال إلى الله ـ سبحانه ـ فهو طريق من طرق محو السيئات والخطايا. والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشبه الوضوء الذي يجب أن

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي :١٠٥/٣ـ ١٠٨.

(2) المصدر السابق ١٠٩/٣.

يتوضأه أي مسلم بالوضوء الذي توضأه المصطفي ـ عليه الصلاة والسلام ـ المشار إليه بقوله : ((نحو وضوئي هذا)).

واختيار هذه الأداة ((نحو)) دون غيرها من أدوات التشبيه لما توحي به من مقارنة الطرفين وهذا ما أومأ إليه النووي بقوله:

((إنما قال صلى الله عليه وسلم نحو وضوئي هذا ولم يقل مثل لأن حقيقة مماثلته صلى الله عليه وسلم لا يقدر عليه أحد))[١].

وهذا من التحفيف على الأمة الإسلامية ، وهذا من رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمته لأن العبادة مقرونة بالاستطاعة .

وهذا من التشبيه المرسل المجمل والطرفان حسيان .

والغرض من التشبيه الحث على إسباغ الوضوء وبيان أجر الإسباغ والإخلاص في الصلاة " فصلّى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه" :

*** التنفير من رفع الرأس** في **الصلاة :**

جعل الله الأمام ليأتم المصلون به ، وقد وردت أحاديث كثيرة تحرم مخالفة المأموم للإمام ، ومن هذه المخالفات رفع المأموم لرأسه قبل الإمام .

حدثنا أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار))[٢].

وفي رواية :

((أن يحول الله صورته صورة حمار))[٣]. وفي أخرى : ((أن يجعل الله وجهه وجه حمار))[٤].

جعل الله الإمام ليؤتم به في الصلاة. ومتابعة المأموم للإمام واجبة ولا يجوز له مسابقته وهذا الحديث العظيم يبين لنا خطر تلك المسابقة ، وقد صور الرسول ـ صلى الله عليه

---

(1) المصدر السابق ١٠٨/٣.

(2) المصدر السابق ١٥١/٤.

(3) المصدر السابق ١٥١/٤.

(4) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

وسلم ـ مرتكب تلك المخالفة في أبشع صورة وأقبح منظر ((أن يجعل الله رأسه أو وجهه أو صورته رأس أو وجه أو صورة حمار)) ، إ ا مخالفة عظيمة استحق فاعلها عقاباً عظيماً ، فصورته لم تعد آدمية .

ونلحظ في هذه الروايات البدء بالاستفهام ((أما يخشى)) وما في هذا الأسلوب من الدلالة والدقة والإيحاء الذي يأتي من خلال الاستفهام الذي جاء للأمر الموحى بالتوبيخ .

والسؤال في **هذا الحديث**: لماذا أُختير الحمار دون غيره ؟ وما علاقته بالإثم ؟ وهل العقاب حسي أم معنوي ؟ .

فالجواب: اختلف العلماء في معنى الوعيد المذكور هنا فقيل : يحتمل أن يرجع ذلك إلى أمر معنوي ، فإن الحمار موصوف بالبلادة ، فأُستعير هذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من فرض الصلاة ، ومتابعة الإمام ، ويرجح هذا ا از أن التحويل لم يقع مع كثرة الفاعلين ، لكن الحديث ليس فيه ما يدل على أن ذلك يقع ولا بد وإنما يدل على كون فاعله متعرضاً لذلك ، وكون فعله ممكناً لأن يقع عليه ذلك الوعيد ، ولا يلزم من التعرض للشيء وقوع ذلك الشيء .

وقال العلامة أبو الفتح القشيري :

((يحتمل أن يراد بالتحويل المسخ أو تحويل الهيئة الحسية أو المعنوية أو هما معاً ، وحمله آخرون على ظاهرة إذ لا مانع من جواز وقوع ذلك ، وهو الأولى بحمل مثل هذه الأحاديث على ظاهرها كما فعل ذلك كثير من السلف ، وإلاّ خرجت عن الحكمة ، ويبعد ا از رواية ابن حبان : (أن يحول الله رأسه رأس كلب) لانتفاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار والله أعلم))[1].

---

(1) أثر التشبيه في تصوير المعنى / د. طه عبد الباري ، صـ ٧٩.

ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل تعليلاً يوضحه قوله : ((وذلك لإساءته في صلاته لأنه لا صلاة له ، ولو كانت له صلاة لرجى الثواب ولم يخف عليه العقاب أن يحول الله رأسه رأس حمار ، والله أعلم[١].

فالتشبيه مفرد مؤكد مجمل (بليغ) والطرفان حسيان ((رأسه رأس حمار)) إذا كان المعنى على ظاهر النص ويتم التغيير حسياً ، أما إذا كان التعبير على صورة الحمار معنوياً فالمشبه به عقلي .

وقد سلك الرسول عليه الصلاة والسلام طريق التشبيه بأوضح صورة وأيسر طريق للتنفير من هذا الفعل والتحذير من التساهل في أمر الصلاة.

والمخاطبون يدركون المراد من هذه الصورة البشعة . ومن هنا يتحقق الغرض من التشبيه الوارد في الحديث .

***سترة المصلي :**

عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: قال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصل ولا يبالي من مر وراء ذلك))[٢].

الصلاة صلة بين العبد وربه وهي من أعظم العبادات ويشترط لصحتها وجود السترة، ولا يجوز لأي شيء أن يدخلها حتى ينتهي من صلاته .

فالحديث يبين لنا فيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مقدار ارتفاع تلك السترة، فقال: ((مثل مؤخرة الرحل)).

فالمشبه : السترة التي يضعها المصلي أمامه أثناء الصلاة .

والمشبه به : مؤخرة الرحل .

ووجه الشبه : الارتفاع والمقدار .

---

(1) هامش الترغيب والترهيب من القرآن الكريم لمحمد منير الدمشقي على هامش الترغيب والترهيب للمنذري ١٨٠/١دار الحديث.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٦/٤ ، والمؤخرة : بضم الميم وكسر الخاء وهمزة ساكنة : العود الذي آخر الرحل وهي بمقدار عظمة الذراع.

وهو تشبيه مرسل مجمل تشبيه محسوس بمحسوس .

ووجه الشبه بين الطرفين ملموس في المشبه به ((مؤخرة الرحل)).

والغرض من التشبيه بيان المقدار .

وبلاغة هذا التشبيه تأتي من دقة اختيار الألفاظ فقد كان المشبه به مشاهداً واضحاً لا ينكره أو يجهله إنسان في ذلك الوقت متوفرة في البيئة العربية ، فالتشبيه قاطع لكل تساؤل حول تلك السترة .

فالتشبيه في مقام تعليم وبيان لشريعة ربانية بأعظم شعيرة دينية .

***أوقات الصلاة المكتوبة :**

في تحديد كل صلاة قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((وقت الظهر إذا زالت الشمس ، وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر ، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس ، ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق ، ووقت صلاة العشاء إلى منتصف الليل الأوسط ، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس،فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة، فإ ا تطلع بين قرني شيطان))(١) .

الصلاة إحدى شعائر الإسلام ، وهي الصّلة بين العبد وربه ، وهي الفرق بين الشرك والكفر والإسلام ولأهميتها فقد فرضها الله ـ سبحانه ـ ليلة الإسراء والمعراج .

ومن أهم أمور الصلاة أن تؤدى في وقتها ، قال تعالى : ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ (٢).

والتشبيه ورد في قوله عليه الصلاة والسلام : ((وقت الظهر إذا زالت الشمس، وكان ظل الرجل كطوله ....))

فقد شبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظل الرجل بطوله.

والغرض : بيان المقدار .

وهو تشبيه مرسل مجمل محسوس بمحسوس .

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ١١٢/٥.

(2) سورة النساء آية :١٠٣.

والبلاغة النبوية تظهر في هذا التشبيه في ظهوره في فترة لم يكن الوقت محدداً تحديداً دقيقاً كما هو عليه الآن حيث لجأ عليه الصلاة السلام إلى شيء محسوس مشاهد يستطيع أن يستخدمه كل إنسان ولا يجهله عاقل .

ولا يزال كثير من الشعوب يعملون ذه الطريقة لتحديد الوقت وخاصةً في القرى والبوادي البعيدة عن مناطق الحضارة .

***الحث على أداء الصلاة وبيان فضلها :**

وفي الحث على المحافظة على بعض الصلوات وبيان أثم من اون ا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ((الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله)) وفي رواية ((من فاته العصر فكأنما وتر أهله وماله))[١].

ومن حكمة الله تعالى أن جعل العبادات متنوعة خشية السأم والرتابة ، ومن هذه العبادات الصلاة ، ومن حكمته ـ سبحانه ـ أن جعلها في أوقات متنوعة ومتباينة ليبين جل وعلا المتمسك بالدين والمتهاون به ، وصلاة العصر من الصلوات التي نلحظ قلّة المهتمين ا المحافظين عليها مع جماعة المسلمين .

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ :

((واختلفوا في المراد بفوات العصر في هذا الحديث ، فقال ابن وهب وغيره : هو فيمن لم يصلها وقتها المختار ، وقال سحنون والأصيلي : هو أن تفوته بغروب الشمس ، وقيل هو تفويتها إلى أن تصفر الشمس ....))[٢].

وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى ، ويؤيد هذا ما روى عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الأحزاب : ((شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيو م وقبورهم ناراً ...))[٣].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٢٥/٥، ١٢٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢٨/٥.

(3) المصدر السابق : ١٢٦/٥ (الهامش).

وقد أمر الله بالمحافظة على الصلوات جميعاً وخص صلاة العصر بالأمر دلالة على أهميتها . قال تعالى : ﴿حافظوا على الصلوات والصّلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ (١).

والموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه(٢).

وجاء في اللسان :

((وتر حقه وماله : نقصه إياه ، وفي التنزيل العزيز "ولن يتركم أعمالكم))(٣).

وفي الحديث: ((من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله)) أي نقص أهله وماله وبقى فرداً . يقال وترته إذا نقصته فكأنك جعلته وتراً بعد أن كان كثيراً ، وقيل : هو من الوتر الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي ، فشبه من فاتته صلاة العصر بمن قُتل حميمه أو سلب أهله وماله ، وروى بنصب الأهل ورفعه ، فمن نصب جعله مفعولاً ثانياً لوتر واضمر فيها مفعولاً لم يسم فاعله عائداً إلى الذي فاتته الصلاة ، ومن رفع لم يضمر وأقام الأهل مقام ما لم يسم فاعله لأنهم المصابون المأخوذون ، فمن رد النقص إلى الرجل نصبها ، ومن رده إلى الأهل والمال رفعها ....))(٤).

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشبه من فاتته صلاة العصر بمن وتر أهلُه وماله .

وجه الشبه : الندم والحسرة .

والغرض من التشبيه : التنفير من المشبه وبيان أثر ترك تلك الفريضة والتحذير من التهاون فيها .

وهذا تشبيه مرسل وردت فيه أداة التشبيه ((كأن)) التي تفيد قوة المشابهة ، ومجمل محذوف الوجه .

وتشبيه محسوس بمحسوس ترك الصلاة كفقد الأهل والمال .

وقالوا في معنى التشبيه :

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٣٨.

(2) ينظر " القاموس المحيط " ١٥٢/٢.

(3) سورة محمد : آية : ٣٥

(4) لسان العرب : ابن منظور : صـ ٤٧٥٨ مادة (وتر).

[((فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله. أنه كالذي يصاب بأهله وماله إصابة يطلب ا وتراً ... فيجتمع عليه غمان)) ... ((ويتوجه عليه من الاسترجاع ما يتوجه على من فقد أهله وماله ، فيتوجه عليه الندم)) ... ((فاته من الثواب ما يلحقه من الأسف عليه كما يلحق من ذهب أهله وماله))][1].

فجميع هذه المعاني مستمدة من دقة اختيار عناصر التشبيه التي اختارها عليه الصلاة والسلام فالأهل والمال زينة الحياة الدنيا تطمئن النفس بوجودهما فكيف إذا فُقدا فجأة ؟ حاله كحال من فاتته تلك الصلاة ، ونلحظ دلالة لفظة ((فاتته)) وما توحي به وما تدل عليه ، فالمتأمل يرى في هذا التعبير ويتخيل أن هناك سباقاً بين العبد ووقت الصلاة ، فعليه أن يدرك أنه في صراع مع الزمن، وسباق دائم ومستمر حتى لا تفوته اللحظات ، لأن في الغفلة والتهاون خسارة عظيمة. وفي اختياره ((الأهل والمال)) بيان للأثر العظيم الذي سيلحقه ، لأن الأهل والمال قوام الحياة فلا تحلو ألاّ ما ، فإذا فقدهما ، فقد ناله شر عظيم ، واصبح وحده فرداً لا حول له ولا قوة مهدداً بالمخاطر ، تحفه الشرور ، ينتابه الضعف من جميع الجهات .

***الحث على الصلاة النافلة :**

وفي بيان استحباب جعل الصلاة النافلة في البيت يقول عليه الصلاة والسلام عن ابن عمر : ((اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً))[2].

وفي رواية عنه قال عليه الصلاة والسلام :

((صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً))[3].

وفي رواية أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام :

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٢٦/٥.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٧/٦.

(3) المصدر السابق ٦٨/٦.

((لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))[١].

هذه روايات أوردها الإمام مسلم في باب استحباب صلاة النافلة في البيت وجوازها في المسجد ، والمقصود من الحديث أي ((صلوا فيها ولا تجعلوها كالقبور مهجورة من الصلاة ، والمراد ا صلاة النافلة أي صلوا النوافل في بيوتكم ، وقال القاضي عياض : قيل هذا في الفريضة ومعناه اجعلوا بعض فرائضكم في بيوتكم ليقتدي بكم من لا يخرج إلى المسجد من نسوة وعبيد ومريض ونحوهم ، وقال الجمهور : بل هو في النافلة لأخفائها))[٢].

ورأي الجمهور هو الأرجح ويؤيده حديث جابر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

((إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده ، فليجعل لبيته نصيباً من صلاته ، فأن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً))[٣].

وحديث زيد بن ثابت قال: ((احتجر رسول الله ... فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فأن خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة))[٤].

وكان الحث على صلاة النافلة في البيت لكو ا في البيت أخفى وأبعد عن الرياء وأصون لتلك الصلاة من المحبطات ليتبرك البيت ا ويحصل له الخير ب ول الملائكة وطرد الشياطين، والحديث متضمن تشبيهاً بليغاً ((لا تتخذوها مقابر))، والتقدير : البيوت الخالية من الصلاة مقابر، فهو تشبيه بليغ محذوف الأداة ووجه الشبه .

وحذف الأداة من بناء التشبيه يجعل المشبه مشبهاً به من غير واسطة ، فالبيوت التي لا يقرأ فيها قرآن ولا يصلى فيها مقابر .

ووجه الشبه الوحشة والخوف وانعدام العبادة ، لأن الصلاة أم العبادات وأفضل القربات ومن بلاغته ـ صلى الله عليه وسلم ـ العالية اختيار الألفاظ التي يؤدى ا التشبيه

---

(1) المصدر السابق ٦/٦٨.

(2) المصدر السابق ٦/٦٧ (الهامش).

(3) المصدر السابق ٦/٦٨.

(4)صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٧٠.

المؤثر ، فقد اختار عليه الصلاة والسلام الفعل ((جعل)) الدال على التصيير والتحويل ، فهذا الفعل في هذا السياق يصور لنا استعداد البيوت لما يراد ا ، وأ ا لا تملك لنفسها حولاً ولا قوة وأننا نحن المتحكمون في مصيرها وهي البريئة من فعلنا .

((فهي في ذا ا صالحة لجعلها مقابر أو غيرها بما نزاول فيها من العمل))[١].

وكذلك لفظة ((مقابر)) وما فيها من إيحاء بالوحشة والانقباض والشعور بالخوف والأسى والحزن إضافة إلى السياق ، وما فيه من معان تضيفها الكلمات بعضها لبعض .

وننظر إلى الأسلوب الإنشائي الطلبي في قوله : ((اجعلوا من صلاتكم ...)) ، ((لا تجعلوا بيوتكم ....)) وما يحمله من أمر و ي يتحتم علينا امتثاله والبعد عن مخالفته .

فهذا تشبيه يحمل معنى التقبيح والتنفير من أصحاب البيوت الخالية من الصلاة والقرآن ، فهو توبيخ لهم .

وهناك إيحاء في هذا التشبيه ، بما أن البيوت التي هذا حالها كالمقابر ، فأهلها كالموتى الذين لا يطمع في نفعهم ولا يؤنس م .

وتأمل اختيار لفظة ((بيوتكم)) دون لفظة ((مساكنكم)) أو ((منازلكم)) وتناسبها مع كلمة ((مقابر)) فكلاهما مأوى للموت ((الحقيقي أو المعنوي)) فالبيت مكان البيتوتة أي النوم الذي بعد الوفاة الصغرى ، فإذا كان العبد طامعاً في إنارة قبره بعد موته فلينر بيته بالصلاة النافلة والقراءة ليشمله الخير والنور .

((والحياة الحقه المستكملة لعناصر الجودة هي الحياة التي تكون العبادة لحمتها وسداها، أما عندما تخلو من العبادة ، فإ ا تصبح موتاً وقبوراً)) [٢].

***فضل أعمال يوم الجمعة :**

وفي ذكر بعض أعمال يوم الجمعة يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((من أغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ، ثم راح فكأنما قرب بدنه ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح

---

(1) الحديث النبوي من الوجه البلاغية / عز الدين السيد / ص ١٤٨.

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي / محمد الصباغ / ص ٣١٠

في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِّكر))[١].

الحديث يحث على التبكير إلى صلاة يوم الجمعة ويبين فيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فضل التبكير وما يكون للمبكر من أجر .

وقد تضمن الحديث عدداً من التشبيهات :

قوله عليه الصلاة والسلام :

((من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)).

المقصود غسلاً كغسل الجنابة في الصفة[٢].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام الغسل الواجب يوم الجمعة بغسل الجنابة في الصفة والكيفية، والتشبيه تشبيه مصدري ((وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه))[٣].

والتشبيهات الواردة في الحديث متشابه وهي قوله عليه الصلاة والسلام :

((ثم راح فكأنما قرب بدنه ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة)).

فالتشبيهات أتت لبيان تدرج الثواب ، وبيان الفرق في الأجر بين من ذهب إلى المسجد مبكراً ومن ذهب إليه متأخراً ، وفرق بين من قدم بدنه ومن أهدى بيضة .

فالتشبيهات توضح حال من خرج لصلاة الجمعة وأ ا مرتبة في الأجر كحال من تصدق ببدنه أو بقرة أو كبش أو دجاجة أو بيضة ، وهذه التشبيهات مرسلة مجملة والطرفان عقليان أجر وثواب وهو التشبيه المتعدد.

***الحث على صلاة الجنازة :**

من ضمن العبادات المتعلقة بالصلاة والتي اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام من التشبيه أداة لبيان ثوا ا الصلاة على الجنازة وفضل اتباعها حتى تدفَن .

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٣/٦ ـ ١٣٦.

(2) غسل الجنابة شرحه العلماء في الفقه.

(3) المثل السائر : ابن الأثير ١٢٤/٢

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((من شهد الجنازة حتى يصلّى عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفَن فله قيراطان)) ، قيل : وما القيراطان ؟ قال ((مثل الجبلين العظيمين)) وكان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف ، فلما بلغه حديث أبي هريرة قال : لقد ضيعنا قراريط كثيرة)) [١].

وفي رواية: ((قيل وما القيراطان؟ قال: ((أصغرهما مثل أحد))[٢].

وفي رواية قيل لأبي هريرة ما القيراط ؟ قال مثل أُحد [٣].

هذا حديث عظيم برواياته المتعددة يدل فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فضل الصلاة على الجنازة وأجر اتباعها ، وفيه حث على الصلاة على الميت واتباعه ودفنه إيماناً واحتساباً ليقع أجره على الله .

وإذا عدنا إلى التشبيه نجد أن المصطفى ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ في الرواية الأولى شبه القيراطين بالجبلين العظيمين ، فكل قيراط كالجبل العظيم ، ووجه الشبه الضخامة في كلٍ ، وهو تشبيه مرسل مجمل ، والغرض من التشبيه بيان المقدار.

وفي الرواية الثانية شبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصغر القيراطين بجبل أُحد وهو من أعظم جبال المدينة، وهذا تشبيه مرسل مجمل، الغرض منه بيان المقدار.

وفي الرواية الثالثة جعل القيراط مثل أُحد فهو تشبيه مرسل مجمل والطرفان عقلي وحسي (الأجر ، الجبل) .

واختيار المشبه به أُحد لتجسيد المشبه المعنوي في صورة محسوسة لأن المسلمين يعرفون هذا الجبل لا سيما وأنه متصل بحدث تاريخي وقع في فجر الدعوة الإسلامية، ولا تزال ذكراه باقيةً في أذهان المسلمين على مر الأجيال.

والعيني يرى سبب اختيار أُحد ((لأنه من أعظم جبال المدينة، والشارع كان يحبه وهو أيضاً يحبه والله أعلم))[٤].

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٣/٧ ـ ١٤.

(2) المصدر السابق ١٦/٧.

(3) المصدر السابق ١٥/٧.

(4) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني،دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ٣١٣/١.

فقد أدى التشبيه الغرض المقصود، حيث رغب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه العبادة بذكر ثوا ا مجسداً،وبين أن الصلاة على الجنازة واتباعها من حق المسلم على أخيه المسلم.

إنه عمل يسير وأجر عظيم ، وفي هذا دليل على سعة رحمة الله وفضله على الأمة الإسلامية إذ يسر لها الأعمال وجعل عليها عظيم الثواب لا سيما تلك الأعمال التي ترتبط بالآخرين فتقوم بوظيفتها في تقوية العلاقة بين أفراد الأمة.

***فضل الصلاة** في **المسجد النبوي :**

وكما فضل سبحانه صلاة على صلاة فُضلت ـ كذلك ـ أماكن الصلاة ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((صلاة في مسجدي هذا خيراً من ألف صلاة أو كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلاّ أن يكون المسجد الحرام))[١].

المساجد بيوت الله أطهر بقاع الأرض، أحب الأماكن للملائكة، لها مكانة عظيمة في نفوس المسلمين .

وفي هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام مضاعفة الصلاة في مسجده بألف صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام فالصلاة فيه أفضل .

فالمشبه : الصلاة في المسجد النبوي .

المشبه به : ألف صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام .

وجه الشبه : الثواب الكثير في كل ومجموعه .

وهو تشبيه مرسل مجمل والطرفان معنويان .

الغرض من التشبيه الحث على أداء الصلاة في المسجدين المذكورين في الحديث، فهذان أفضل مسجدين مع الأقصى على وجه الأرض ، لذلك لا تشد الرحال إلاّ إليها.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٣/٩.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى))[1].

ثانياً : التشبيهات الواردة في أحاديث الزكاة والصدقة :

الزكاة ركن من أركان الإسلام حث عليها الشارع ورغب في إخراجها، وحذر من التهاون في ذلك، وجعل منها نوافل كنوافل بقية العبادات تقرباً إليه كالصدقة، ومساعدة المحتاجين والتبرع في أبواب البر وغير ذلك مما يقرب إلى الله.

والزكاة أهم عنصر من عناصر التكافل الاجتماعي المؤدي إلى المحبة، والتكاتف بين أبناء الجسد الواحد في هذا ا تمع الإسلامي.

وجدت ستة تشبيهات وردت في الزكاة وما يتصل ا، تنوعت أغراضها، وقد جاءت هذه التشبيهات على النحو التالي:

جزاء منع الزكاة يوم القيام، وحبه عليه الصلاة والسلام للإنفاق في سبيل الله، وبشاعة جمع الأموال آخر الزمن، وبين عليه الصلاة والسلام اهتمام الله ـ عز وجل ـ بصدقة العبد وتربيتها له، وأوضح عليه الصلاة والسلام سبب تحريم الزكاة والصدقة عليه وعلى آله، وآخر هذه المعاني بيان أجر الدلالة على فعل الخيرات وأن للدال على الشيء مثل فاعله، وقد جاءت هذه التشبيهات مختلفة الأداة فكان منها تشبيه بليغ بين من خلاله سبب تحريم الزكاة والصدقة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله.

أما التشبيهات المرسلة الخمسة الباقية فكانت أدوات التشبيه كالتالي:

جاءت الأداة ((كما)) مرتين وذلك في بيان معنيين هما: مقدار عذاب مانع الزكاة يوم القيامة، وبيان اهتمام الله ـ عز وجل ـ بصدقة العبد.

أما الأداة ((مثل)) فجاءت ثلاث مرات بينت مقدار حبه عليه الصلاة والسلام للإنفاق في سبيل الله، وإخراج الأرض كنوزها آخر الزمن، وأتت ـ كذلك ـ لبيان مقدار أجر الدال على الخير، وهذه التشبيهات مجملة لأن وجه الشبه محذوف.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٦٨ .

وقد رتبت هذه المعاني في هذا المبحث بناءً على ورودها في الصحيح الأول فالأول وهكذا.

***جزاء منع الزكاة :**

عن جابر بن عبد الله عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((ما من صاحب أبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلاّ أُقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه ذات الظلف بظلفها، وتنطحه ذات القرن بقر ا، ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن، قلنا: يا رسول الله وما حقها ؟ قال: إطراق فحلها، وإعارة دلوها، ومنيحتها، وحلبها على الماء، وحملُ عليها في سبيل الله، ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلاّ تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب، وهو يفرمنه، ويقال: هذا مالك الذي كنت تبخل به، فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه، فجعل يقضمها كما يقضم الفحل))(١).

توعد الله ـ تبارك وتعالى ـ مانعي الزكاة بالعذاب الأليم في هذا الحديث، وكما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ (٢).

والزكاة مفروضة في جميع أنواع المال كما ورد في كتب الفقه.

وقد تضمنت هذه الرواية تشبيهاً في قوله: ((فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه،فجعل يقضمها كما يقضم الفحل)) وفي رواية ((فجعل يقضمها قضم الفحل))(٣).

---

(1) الشجاع /الحية الذكر، الأقرع الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل هو الذي يواثب الراجل والفارس، ويقوم على ذنبه وربما بلغ رأس الفارس في الصحارى "هامش مسلم"٧١/٧.

(2) سورة التوبة : آية : ٣٣ ـ ٣٤.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧/٧ ـ ٧٢.

حيث شبه الرسول عليه السلام القضم من الشجاع الأقرع ليد صاحب الكـ الذي منع زكاته، والقضم هو الأكل بقضم الفحل، والفحل هو الذكر القوي الفائز على أقرانه من كل حيوان[1].

ووجه الشبه بين الطرفين السرعة والشراهة في الأكل وهذا تشبيه بليغ مصدري حذفت الأداة ووجه الشبه، وهو مؤكد مجمل، والطرفان محسوسان.

والرواية الأولى تشبيهها مرسل مجمل لوجود الأداة.

أما الغرض من التشبيه،فنجد أن الصورة التشبيهية جاءت للتنفير من هذه الصورة الكريهة التي يتعرض لها مانع الزكاة يوم القيامة، حيث يحذّر عليه الصلاة والسلام من منعها، متخذًا التشبيه بيانا للعقاب الذي يلحق بمن منعها فبين مقدار حال المشبه ذلك البيان الذي يرعب النفس من التردي في خطيئة منع الزكاة.

وقد ورد التشبيه نفسه في كتاب "القسامة".

قوله: ((أيعض أحدكم كما يعض الفحل، لادية له))[2].

***حب الرسول عليه الصلاة والسلام للإنفاق :**

في حديث طويل مبدوء بقصة عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال:

((أن خليلي أبا القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعاني،فأجبته، فقال: ((أترى أُحداً؟)) فنظرت ما علي من الشمس وأنا أظن أنه يبعثني في حاجة له، فقال:

((ما يسرني أن لي مثله ذهباً أنفقه كله إلاّ ثلاثة دنانير ....))[3].

هذا الحديث امتداد للعقاب الذي ينتظر صاحب المال الذي لا يؤدي حق الله فيه، فقد جاء في بداية هذه الرواية ((بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل)).

---

(1) معجم الوسيط٦٧٦/٢.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي /١٥٩/١١ ـ ١٦٠.

(3) المصدر السابق ٧٧/٧ ـ ٧٨ .

فالتشبيه في قوله: عليه الصلاة والسلام :

((ما يسرني أن لي مثله ذهباً أنفقه كلّه إلاّ ثلاثة دنانير)).

حيث شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذهب الكثير بجبل أُحد، وهو من أعظم جبال المدينة.

ووجه الشبه : الحجم.

وهو تشبيه مرسل مجمل محسوس بمحسوس، والغرض من التشبيه بيان المقدار، وأنه مهما بلغ الحب للمال، فأن الأنفاق في سبيل الله أعظم، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبين لنا ما يجب علينا نحو الأموال مهما كثرت ولو بلغت مثل جبل أُحد ـ وهذا الجبل معروف لدى المسلمين ـ فالواجب إنفاقها في سبيل الله إلاّ ما كانت الحاجة ماسة إليه كالإنفاق على الأولاد، أو سداد دين، وقد بين عليه الصلاة والسلام السر في الثلاثة دنانير فقال:

((ما يسرني أن لي أُحداً ذهباً تأتي علّى ثالثة، وعندي منه دينار إلاّ ديناراً أرصده لدين علّي))[١].

وفصل الدنانير الثلاثة ـ أيضاً ـ فقال:

((أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله))[٢].

فالمتأمل في عذاب مانع الزكاة لا يبقى في قلبه حب للمال ناهيك عن منع زكاته، فالرضف : الحجارة المحماة، والنغض :بضم النون وإسكان الغين المعجمة : وهو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف ، وقيل أعلى الكتف .

ونلحظ بلاغياً استعماله عليه الصلاة والسلام لأسلوب التشويق في قوله لأبي ذر: ((أترى أُحداً ؟)) وما في هذا الأسلوب من أثر لا يخفى لأن المعاني التي تعرض ذا الأسلوب في الذهن تأتي بعد يئة للنفس و ييج لانتباهها.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٧٤/٧.

(2)المصدر السابق ٨١/٧.

***بشاعة جمع الأموال آخر الزمان :**

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((تقيء الأرض أفلاذ كبدها[١] أمثال الأُسطُوان من الذهب والفضة، فيجئ القاتل، فيقول: في هذا قُتلت ، يجئ القاطع، فيقول: في هذا قُطعت رحمي، ويجئ السارق، فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه، فلا يأخذون منه شيئاً))[٢].

هذا حديث عظيم يدل على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام، والأحاديث متواترة في كثرة المال بين الناس قبل قيام الساعة، قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأ اراً))[٣].

هذا الحديث يصور لنا البشاعة في محاولة جمع الأموال، يجمعون بطرق غير شرعية، كالقتل وقطع الرحم والسرقة وغيرها، وقد تضمن هذا الحديث تشبيهاً للذهب والفضة في قوله عليه الصلاة والسلام: ((تقئ الأرض افلاذ كبدها كأمثال الأُسطُوان من الذهب والفضة)). إ ا صورة حية، صورة الأرض وكأ ا بعير أصابته حالة تقيؤ وغثيان، فهو يطرح ما في جوفه، فتزداد حالة التقيؤ حتى ينفذ ما بداخله، فيتقيأ قطعاً من كبده ولحمه، لكن افلاذ الأرض ليست لحماً ولا أكباداً وإنما الذهب والفضة، حجم كل قطعة كالأعمدة والسواري.

فقد شبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ افلاذ كبد الأرض وهي ما تخرجه من باطنها من ذهب وفضة بالأسطوان، والأسطوان جمع اسطوانه وهي السارية أو العمود.

ووجه الشبه : العظَم والكثرة .

---

(1) قال ابن السكيت: الفلذ القطعة من كبد البعير، وقال غيره: هي القطعة من اللحم، صحيح مسلم ٩٨/٧ "الهامش" ، اللسان١٠/٣١٨.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:٩٧/٧ ـ ٩٨. الأُسطُوان: بضم الهمزة والطاء جمع أسطوانة وهي السارية والعمود وشبهه .

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٧/٧.

والغرض من التشبيه : بيان المقدار، وهو تشبيه محسوس بمحسوس، ومرسل لذكر الأداة ((مثل)) ومجمل لحذف وجه الشبه.

ويعلق الدكتور عز الدين على هذا الحديث بقوله:

((يصور لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يتكالب عليه الناس من متاع، وما يجرم به بعضهم على بعض، هذه الصورة الذميمة، التي تغثى لها النفس، ويشمئز منها الطبع، فيجمع دو ا الثياب، صورة القيء والقيء لأفلاذ الكبد .

إننا الآن عمي .... عمي عن هذه الرؤية .... ستكتشف تماماً في الغد، حين يذوب الرواء الكاذب والبريق الخادع، الذي يلقيه الشيطان ليغشى أبصارنا عن الحقيقة، ليقتل القاتل طمعاً في غير محي، ويقطع القاطع رحماً في غير واصل، ويسرق السارق خلسةً ما يبيد، وهناك عندما يبطل السحر والساحر، فتنحبس نفثات الشيطان ستخرج الأرض أثقالها، ويظهر منبوذاً أو مبتذلاً ما كانوا به يجرمون......... فلا يرون سوى الذنب قد فعلوه، والإثم قد اقترفوه. في هذا الحطام الذي يغادرونه ولا يمسونه، لأ م به من الشيطان قد ظُلموا، وفيه للناس قد ظلموا)) (1).

والصدقة تطفي غضب الرب ولها عند الله مكان، فهي في موضع حفظ واهتمام وعناية، عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول:قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلاّ الطيب إلاّ أخذها الرحمن بيمينه* وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)) (2).

---

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية : د. عز الدين السيد / صـ ١٧٩.

*ورد في هذا الحديث إضافة اليمين لله ـ سبحانه ـ فما القول فيها؟.

لأهل العلم في احاديث الصفات قولان: أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في كيفيتها بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن ا ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله ليس كمثله شيء وأنه م ه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق ((وهذا القول أسلم)).

والقول الثاني: أ ا تتأول على ما يليق ا حسب مواقعها، وإنما يسوق تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب، وقواعد الأصول والفروع ذا رياضية في العلم " وفي هذا مخاطرة " .

وقال القاضي عياض في هذا الحديث: " لما كان الشيء الذي يرتضى ويعز يتلقى باليمين ويؤخذ ا استعمل في مثل هذا واستعير للقبول والرضا، كما قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

هامش صحيح مسلم بشرح النووي ٩٨/٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٨/٧ـ ٩٩.

وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلاّ أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل العظيم))[1].

هذا حديث يبين فيه عليه الصلاة والسلام مدى رحمة الله ؤلاء الخلق وتكرمه وتفضله عليهم فيضاعف الصدقة التي يتصدق ا العبد من مال حلال مهما كانت تلك الصدقة من حيث القلة أو الكثرة، فإن الله يربي تلك الصدقة حتى تصير أعظم من الجبل، وإذا كانت هذه الصدقة من مال طيب وخالصة لوجه الله كانت سبباً في نجاة صاحبها من النار، فعن عدي بن حاتم قال: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((اتقوا النار ولو بشق تمرة))[2].

وفي رواية ((فمن لم يستطع فبكلمة طيبة))[3].

إن الصدقة مهما كان حجمها، ولو بلغت حجم التمرة، وهي من كسب طيب فهي حجاب من النار وكذلك الكلمة الطيبة وفي الحديثين السابقين أمر صريح بأن التمرة أو الكلمة الطيبة تقي من النار، فمن لا يستطيع أن ينفق تمرة أو يقول كلمة طيبة ؟.

إن الصدقة اليسيرة التي تساوي عدل تمرة من كسب طيب يقبلها الله بيمينه وإنه لإكرام للمتصدق .... فهذه الصدقة القليلة يقبلها الله ـ تبارك وتعالى ـ بيمينه، ثم يربيها وينميها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، والعرب تعنى بالخيل عناية كبرى حتى أ م ليسقو ا اللّبن ولا يركبو ا في الأسفار ولا في الحروب عند الذهاب، ويدخرو ا للمعارك والكر والفر والغارة، وقد نطقت بذلك أشعارهم، وما يزال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ يربيها حتى تكون مثل الجبل، وإن انتقال الخيال من رؤية الصدقة وهي التمرة إلى رؤيتها مثل الجبل ليقف الإنسان على عظيم الأجر الذي يكون للمتصدق ويبعث على الصدقة وعلى ألاّ يمنع

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٩٨/٧ ـ ٩٩.

(2)صحيح مسلم ١٠١/٧.

(3)المصدر السابق ١٠١/٧.

المرء من الصدقة لقلة ما يقدر على بذله، واختيار (عدل التمرة في بلد يكثر فيه التمر له دلالته الكبيرة في تصوير الصدقة القليلة)[١].

ففي الرواية الأولى قوله عليه السلام :

((فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه[٢] أو فصيله))[٣].

وفي الرواية الثانية قوله عليه الصلاة السلام:

((.... فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه[٤] حتى تكون مثل الجبل العظيم)).

احتوت هاتان الروايتان على صورتين :

الأولى: إن الصدقة يأخذها الرحمن بيمينه، فما تزال تنمو حتى تصبح شيئاً كبيراً (أعظم من الجبل)

الثانية : إن الرحمن ـ سبحانه وتعالى ـ يربيها كما يربي المرء الفلو أو الفصيل أو القلوصه بالرعاية والاهتمام والمحافظة .

فقد شبه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الصدقة اليسيرة من الحلال أو الكلمة الطيبة في كف الرحمن وينميها لصاحبها بتربية الإنسان فَلُوه أو فصيله أو قلوصه بجامع حسن الرعاية وكمال الاهتمام والعناية والزيادة الواضحة والمراقبة المستمرة، والغرض من التشبيه في الرواية الأولى الحث على التصدق من المال الطيب، فالصدقة هذه يأخذها الرحمن بيمينه (وكلتا يديه يمين) فما تزال تنمو وتكبر حتى تصير أعظم من الجبل .

أما الرواية الثانية:

فالمشبه: الصدقة القليلة (تمرة) من الكسب الحلال.

والمشبه به :الجبل العظيم.

---

(1) التصوير الفني في الحديث النبوي: د.الصباغ ص ٣٢٩.

(2) فلوه: بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويروى : بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر سمي بذلك لأنه فلي عن أمه أي فصل.

(3) فصيله: الفصيل ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه.

(4)قلوصة بفتح القاف وضم اللام وهي الناقة الفتية ولا يطلق على الذكر.

وجه الشبه: العظم والضخامة.

والغرض من التشبيه: الحض على الصدقة من المال الطيب وإن كانت قليلة فهي تنمو وتكبر حتى تصير مثل الجبل، وهذا تشبيه مرسل مجمل.

وجاء في بعض الروايات أنه جبل أُحد.

((إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل أُحد))[١].

فالتشبيه صورة ((والصورة هنا تعتمد على الحس المباشر الذي يدرك المشاهد متابعته وتتجسم أمامه الأشياء تجسماً واضحاً يخلب النفس))[٢].

ونقف مع دقة الاختيار للألفاظ الدالة الموحية المعبرة، فقد اختار عليه الصلاة والسلام لفظ ((الرحمن)) دون غيره من أسماء الله تعالى، لأن هذا الاسم ينسجم مع مضمون الحديث المفعم بالرحمة والفضل العظيم .

وقد تم اختيار لفظ ((المهر)) لأن العربي يعتني بتربيته أكثر من غيره وقد ذكر أولاً قبل الفصيل والقلوصه .

((والحقيقة أن في التمثيل بتربيه المهر لتربية الأجر براعة فائقة ودقة متناهية، لأن المهر يبذل من الجهد في تربيته ما لا يبذل في غيره من الحيوان))[٣].

وقد ذكرت بعض الروايات الفصيل أو القلوصه لأن المهر قد لا يتواجد في جميع بيوتات العرب ليتم الغرض من التشبيه، وهو الحث على الصدقة من مال طيب مهما كانت قليلة، والحديث تدريب عملي على الجود والبذل والعطاء في سبيل الله، وترغيب في ذلك لينال عظيم الأجر وجزيل الثواب.

---

(1) صحيح الترمذي ١٦٤/٣.

(2)التصوير الفني في الحديث النبوي /٥٨.

(3)التصوير الفني في الحديث النبوي /٩٢.

وإذا تأملنا عناصر التشبيه وجدناها منتزعة من البيئة العربية ((التمر، الخيل، الفصيل، القلوصه، جبل أُحد)).

ولعلّ الجمع بين هذه العناصر يدخل في قول عبد القاهر:

((........ وهو أن لتصوير المشبه من الشيء في غير جنسه وشكله وألتقاط ذلك له من غير محتله واجتلابه إليه من النيق البعيد باباً آخر من الظرف واللطف ومذهباً من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل .....))[١].

***الزكاة والصدقة أوساخ الناس:**

فرض الله الزكاة وبين في كتابه الكريم الأصناف الذين يستحقون الزكاة، وحث عليه الصلاة والسلام على الصدقة والإنفاق على المحتاجين من طبقات ا تمع الإسلامي تحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي، غير أن الرسول عليه الصلاة والسلام بين في حديث طويل أن الزكاة والصدقة لا تعطى لآل البيت حيث يقول في الحديث الطويل الذي يرويه عبد المطلب بن ربيعة .

عن عبد المطلب بن ربيعه بن الحارث:

((أن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس ....))[٢].

أورد الإمام مسلم هذا الحديث في باب ((تحريم الزكاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب دون غيرهم)).

وقد أورد الإمام مسلم عدة أحاديث تبين تحريم الصدقة على آل البيت، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بتمرة في الطريق، فقال:

((لو لا أن تكون من الصدقة لأكلتها))[٣].

وفي التحريم خلاف بين الفقهاء ومن هم آله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ [١].

---

(1)أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني تحيق ريتر، ١١٥ ـ ١١٦.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧٧/٧ ـ ١٨٠.

(3)المصدر السابق ١٧٧/٧.

فالتشبيه الوارد في قوله عليه الصلاة والسلام:

((إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس......))

فقد شبه عليه الصلاة والسلام الصدقة ((الزكاة)) في تطهير الأموال ونفوس الناس بغسالة الأوساخ، وهي الماء المتبقي المختلط بالأوساخ أثناء الغسل.

ووجه الشبه: انتهاء الهدف منها وهو التطهير والتنظيف.

والتشبيه عقلي ((تطهير النفس والمال)) في المشبه، وحسي ((أوساخ)) في المشبه به.

والغرض من التشبيه: التنبيه على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني عبد المطلب لكرامتهم وتنـزيههم.

وهذا تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه ((الصدقة أوساخ الناس)).

وأثر القرآن واضح في كلامه عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى:

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ (٢).

فالمرء يتطهر بالصدقة، فتزيل ما علق به من أوساخ الذنوب وأدران المعاصي، ثم إن الزكاة لا تجوز إلاّ لمستحقيها، فإذا سمع المرء هذا الحديث الذي بين حالها في كو ا أوساخ الناس عافت نفسه الزكاة كما يعاف شرب أوساخ الناس، فينحصر أخذها في أصحا ا الواردين في قوله تعالى:

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ (٣).

وقد أدى الحديث الغرض الذي سيق من أجله ففيه الحث على إخراج الزكاة لمن توفرت في أموالهم شروط الزكاة، والحث على التعفف لمن لم يكن مضطراً لأخذها.

---

(1)المصدر السابق ١٧٦/٧ "الهامش".

(2)سورة التوبة الآية: ١٠٣.

(3)سورة التوبة الآية: ٦٠.

***الدلالة على الخير وأجر فاعلها:**

عن جرير بن عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل ا بعده كُتب له مثل أجرمن عمل ا ولا ينقص ذلك من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل ا بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل ا ولا ينقص من أوزارهم شيء))[١].

وفي رواية أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام:

((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً))[٢].

الحديث بروايتيه صريح في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل ا إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيِّئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل ا إلى يوم القيامة، وأن من دعا إلى هدى كان له من مثل أجور متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه،وسواء كان ذلك تعليم ..... أو عبادة أو أدب أو غير ذلك[٣].

فالرسول عليه الصلاة والسلام شبه الأجر الذي يناله الدال على السنة الحسنة أو الهدى بالأجر الذي يناله من عمل بتلك السنة الحسنة أو الهدى، والضلالة مثل ذلك. والمقصود بالسنة الحسنة ما مات من سنة رسول الله فأحياها وليس المراد البدع. ويؤيد هذا المناسبة التي وردت في الرواية الأولى.

((جاء ناس من الإعراب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم الصوف،فرأى سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فابطؤو عنه،

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٥/١٦ ـ ٢٢٦.

(2)المصدر السابق ٢٢٧/١٦.

(3)المصدر السابق ٢٢٦/١٦ ـ ٢٢٧.

حتى رئي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال: " من سن في الإسلام سنة حسنة ......)).

فالصحابي الذي جاء لم يكن هو المشرع لعبادة الصدقة، وإنما كان قدوةً للتبرع والبذل فتبعه الآخرون.

وهذا التشبيه مثل تشبيهه عليه الصلاة والسلام في قوله:

((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[١].

فهذه التشبيهات مرسلة لأن الأداة مذكورة، والغرض منها الحث على تحصيل الأجر والمثوبة، وأن يجعل الإنسان من نفسه داعياً إلى الهدى والخير.

فالتشبيه يتعدى الجانب الجمالي بامتطاء صهوة البيان البلاغي لغرس العزيمة في النفوس لتقوم بتلك الأعمال العظيمة.

ثالثاً:التشبيهات الواردة في أحاديث الصيام:

الصيام فريضة عظيمة فرضها الله ـ سبحانه ـ على جميع الأمم، وبين ـ سبحانه ـ الحكمة منه ، قال تعالى:

((يأيها الذين أمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعّلكم تتقون)) [٢].

وقد جاء الحديث عن الصيام في صحيح مسلم من خلال أربعة تشبيهات تناول كل واحد منها معنى وغرضاً خاصاً .

وهذه المعاني جاءت حسب ورودها في صحيح مسلم كالتالي :

---

(1)ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٣٨/١٣ ـ ٣٩.

(2)سورة البقرة الآية: ١٨٣.

بيان أن الصيام يحمي صاحبه من الآثام في الدنيا والعذاب في الآخرة، ثم حدد وقت ليلة القدر، ثم ورود تشبيهان بينا فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الست من شوال، وأن كل واحد منها يعدل صيام الدهر.

جاء التشبيه الأول بليغاً تم فيه حذف الأداة ووجهه الشبه معاً، أما التشبيهات الثلاثة الأخرى فكانت مرسلة باعتبار ذكر الأداة ومجملة باعتبار حذف وجه الشبه وكانت الأدوات كما يلي : ((الكاف)) وردت مرة واحدة لبيان فضل صيام الست من شوال، أما الأداة ((مثل)) فجاءت رابطة بين معنيين هما: تحديد ليلة القدر متى تكون، وبيان فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

***مشروعية الصيام وبيان أجر الصائم:**

بين عليه الصلاة والسلام فضل الصيام وما تميز به من أمور لا توجد في بقية العبادات، فعن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((قال الله ـ عز وجل ـ :كل عمل ابن آدم له إلاّ الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخب، فإن سآبه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك))[١].

الصيام فريضة فرضها الله ـ سبحانه ـ على جميع الأمم لذلك قال: ((لي وأنا أجزي به)) وقد اختلف العلماء في سبب قوله ((لي)) فقيل: ((لأن المشركين والكفار لم يتقربوا بالصيام لأوثا م، وقيل: لأنه خالٍ من الرياء لخفائه، وقيل غير ذلك))[٢].

وقد تضمن الحديث تشبيهين: الأول قوله عليه الصلاة و السلام: ((الصيام جنة)).

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٢٩/٨ ـ ٣١.

(2)المصدر السابق ٢٩/٨ "الهامش".

والجُنة بضم الجيم السترة والمانع.

فالصوم وقاية تحمي الصائم من الإثم وتصونه من المخالفات الشرعية .... تلك المخالفات التي تكون سبباً في دخوله النار، لأن الإمساك عن المعاصي والشهوات سبب في دخول الجنة، كما قال عليه الصلاة و السلام:

((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))(١).

والصورة في الحديث هي ((الصيام جنة)) وهو تشبيه بليغ .

((إن الصيام جنة تمنع صاحبها من المعصية وتقيه العذاب يوم القيامة، فتأكيد معنى الصيام بالتكرار وقاية من الاستثارة والوقوع في المعصية))(٢).

فالتشبيه بهذه الصورة أمر في غاية الروعة والبيان، فالنفس تذهب فيه كل مذهب، فكلما تذكرت معصية حال الصيام بينك وبينها. فهو وصف عظيم منه صلى الله عليه وسلم يفوق الخيال، ويتعثر على اللسان الافصاح عنه لمعرفة ما بين الصائم والجُنة من تقارب، وما تفيض به الأولى على الثانية ناهيك أن التشبيه جاء بليغاً، وما في التشبيه البليغ من قوة العلاقة بين الطرفين.

إنه وصف لا تسعه المحسوسات فهو فوقها، ولا تعيه المعقولات فهو أفسح منها، فهو جنة من المعاصي والآثام وسوء الأخلاق ((فإن سآبه أحد أو قاتله فليقل: إني أمرؤ صائم)) ووقاية له من دخول النار، فهو جنة مما نعلم وما لا نعلم مما لم لا تهتدي إليه لكونه باقياً في عالم الغيب.

وعند حذف وجه الشبه يبحر الخيال في كل جانب ويكون التفكير أعمق، وهذا بيان رفيع أدى الغرض المقصود منه من الحث على الصيام.

وفي الحذف وما يثري به السياق يقول عبد القاهر:

---

(1)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧/٩ ـ ٨.

(2)التصوير الفني في الحديث النبوي /٣٥٥.

((وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))[١].

التشبيه الثاني في قوله عليه الصلاة والسلام:

((والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)).

وهذا تشبيه ضمني سنقوم بدراسته وتحليله وبيان قيمته البلاغية في موضعه من هذه الدراسة إن شاء الله.

***تحديد ليلة القدر:**

بين لنا عليه الصلاة والسلام متى تكون ليلة القدر، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: ((أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة))[٢].

ليلة القدر ليلة عظيمة أهتم بأمرها السلف الصالح من هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فكثر السؤال عنها وعن وقتها خاصةً،وكثر الجدل فيها بين العامة والخاصة.

وليلة القدر أفضل الليالي التي يتسابق في الفوز بخيرها المتنافسون، وقد ذكر الله أمرها في كتابه فقال:

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر* تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر* سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ [٣].

تبين السورة الكريمة فضل ليلة القدر بأ ا خير من ألف شهر عبادة، وأن القرآن الكريم أُنزل فيها وأن الملائكة الكرام تنـزل إلى الأرض فيها، وأ ا خير الليالي.

---

(1)دلائل الإعجاز، عبد القاهر، تحقيق محمود شاكر، ص١٤٦.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/٨، والشق: بكسر الشين وهو النصف، والجفنة: أعظم ما يكون من القصاع.

(3)سورة القدر الآيات: ١ ـ ٥.

فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتذاكرون هذه الليلة عند المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيريد أن يفصل هذه القضية عليه الصلاة والسلام وأن يقلص رقعة الجدل، فيضرب لهم تشبيهاً ((حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة)).

فقد شبه عليه الصلاة والسلام القمر وقت ليلة القدر بنصف الجفنة في تقوسه وانحنائه.

وفي هذا الصدد يقول القاضي عياض:

((فيه إشارة إلى أ ا إنما تكون في أواخر الشهر لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلاّ في أواخر الشهر والله أعلم))[1].

فهو تشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة، ومجمل لأن وجه الشبه محذوف، والطرفان حسيان، تشبيه محسوس ((القمر)) بمحسوس ((شق جفنة)).

والجمع بين الطرفين هنا من التشبيه البعيد القريب، فيندر حضور المشبه في الذهن عند ذكر المشبه لبعد ما بينهما، وإنما الوظيفة الأولى للبياني التي تبرز براعته البلاغية التقاط ما بين الأشياء من تقارب مهما ابتعدت.

والمبدع إنما يستحق الذكر والرفعة لا بخلق المشا ة من أشياء بل بإدراكها وإبرازها ومفاجأة السامع بما يريد قوله من الجمع بين الصور المتباعدة، وفي بيان ذلك يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني :

((ألا ترون أن التشبيه الصريح إذا وقع بين شيئين متباعدين في الجنس ثم لطف وحسن لم يكن ذلك اللطف وذلك الحس إلاّ لاتفاق كان ثابتاً بين المشبه والمشبه به من الجهة التي ا شبهت إلاّ أنه كان خفيفاً لا يتجلى إلاّ بعد التألق في استحضار الصورة وتذكرها وعرض بعضها على بعض والتقاط النكتة المقصودة منها وتجريدها من سائر ما يتصل ا))[2].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٦/٨ "الهامش".

(2)أسرار البلاغة، ريتر، ص١٣٩ ـ ١٤٠.

فالمشبه والمشبه به من جنسين مختلفين، فالمشبه سابح في السماء، والمشبه به قابع في الأرض، فالجمع بينهما نادر جداً . لأن العين العربية لا تقرن القمر إلاّ بوجه المرأة مبالغة في جمالها.

فهنا سلك التشبيه طريقاً آخر في معرفة وجه الشبه.

((وما شرفت صنعة، ولا ذكر بالفضيلة عمل، إلاّ لأ ما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما من هذا المعنى ما لا يحتكم مما عداهما، ولا يقتضيان ذلك إلاّ من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات))[1].

والقمر آية من آيات الله العظيمة التي لا يغفل عنها بشر لملاصقته لحياته، قال تعالى:

﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [2].

وقد أدى التشبيه الغرض المقصود من تحديد ليلة القدر، وأ ا في العشر الأواخر من شهر رمضان، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان))[3].

***بيان فضل صيام التطوع:**

ومن حكمته ـ سبحانه ـ جعل أعمار هذه الأمة قصيرة، ولكنه عوض ذلك بتضعيف الثواب رحمةً منه وفضلاً، ومن هذا الفضل ما رواه عبد الله بن عمر وقال: أُخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يقول: ((لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت، فقال عليه الصلاة والسلام:

((أنت الذي قلت ذلك؟ فقلت له: قد قلته يا رسول الله، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر، قال: قلت: فإني أُطيق أفضل من

---

(1)أسرار البلاغة ص١٣٦.

(2)سورة يس آية: ٣٩ والعروجون عود المذق من النخل.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٤/٨.

ذلك، قال: ((صم يوماً وأفطر يومين، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله ، قال : ((صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود عليه السلام ....))[1].

والحديث دليل واضح على رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمته وشفقته عليهم، وإرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم وحثهم على أفضل الأعمال اليسيرة المتضمنة لأعظم الأجر والثواب مع الدوام عليها، وقد قال لهم:

((خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملّوا)) وقال: ((أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وأن قلّ(([2] . فالرسول عليه الصلاة والسلام يرشد أمته إلى الخير فما أرحمه بأمته !! وما أشد حرصه على سعاد م في الدنيا والآخرة وصدق الله العظيم فيما وصفه به في قوله الكريم :

((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم))[3].

فما ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام فالصحابي لا يستطيع ذلك إلاّ بعد مشقة، فقد قال: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحب إلى من أهلي ومالي.

والحديث يبين لنا عظيم الأجر وجزيل الثواب المنقول إلينا والموضح باسلوب التشبيه وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام:

((وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر)).

فشبه عليه الصلاة والسلام صيام ثلاثة أيام من كل شهر بصيام الدهر.

ووجه الشبه بين الطرفين عظيم الأجر والثواب.

والغرض من التشبيه بيان المقدار لحال المشبه.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٣٩/٨ ـ ٤١.

(2)المصدر السابق ٣٨/٨.

(3)سورة التوبة الآية: ١٢٨.

فهو تشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة، ومجمل لأن وجه الشبه محذوف، وهو عقلي لأن الطرفين هما المشبه ((الأجر الذي يناله من صام ثلاثة أيام من كل شهر)) الأجر عقلي، والمشبه به ((الأجر الذي يناله من صام عاماً كاملاً)) وأجر ذلك الصيام فهو عقلي ، وقد يكون الأجر يوم القيامة من الأمور الحسية والله أعلم.

وفي رواية:

((من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر))[١].

فالحسنة بعشر أمثالها والسنة ثلاثمائة وستون يوما، فرمضان ثلاثون يوماً، والحسنة بعشر أمثالها، فيصبح العدد ثلاثمائة، وسته أيام من شوال بستين، فيصبح ا موع ثلاثمائة وستين يوماً، فسبحان من بيده الخيركله. يؤتي فضله من يشاء من عباده.

رابعاً: التشبيهات الواردة في الحج والأماكن المقدسة:

الحج فريضة عظمى وعمودها الفقري يوم عرفة، وقد جاء الحج والأماكن المقدسة في الصحيح في أحاديث كثيرة، وقد وجدت في هذه الأحاديث سبعة تشبيهات بينت معان جليلة وهذه المعاني كالتالي: حرمة المال والدم بين المسلمين، وبيان فضل الحج، ثم بيان فضل مكة والمدينة وما للمدينة من مزيد مزية كبقاء الصالحين فيها وخروج المنافقين منها وعذاب من أرادها بسوء، وفضل ما بين المنبر وما بين بيت الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد جاء من هذه التشبيهات تشبيهان بليغان بينا مقدار عذاب من أراد أهل المدينة بسوء وبيان فضل ما بين المنبر وبيته عليه الصلاة والسلام، أما التشبيهات الخمسة الباقية فمرسلة لورود الأداة ((الكاف)) ومجملة لحذف وجه الشبه .

***بيان حرمة مكة:**

كما حرم الله سفك دم المسلم وعرضه وماله حرم مكّة، فلا يسفك فيها دم ولايعضد ا شجر،فعن أبي شريح العدوي[٢]أنه قال لعمرو بن سعيد ـ وهو يبعث البعوث إلى مكة ـ

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٥٦/٨.

(2)وقع خلاف في اسمه وله ترجمة في هامش الصحيح ١٢٧/٩.

ائذ لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلّم به أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال:

((إن مكّة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لأمريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك ا دماً ولا يعضد ا شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها، فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعةً من ار [1] وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب.........))[2].

هذا الحديث بيان لحرمة مكة، وأن الله حرمها فلا يحل صيدها ولا يعضد شجرها ولا يخلى خلاها ولا يقطع شجرها.........الخ.

وموضع التشبيه في قوله عليه الصلاة والسلام:

((........ وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس........)).

فالمشبه : حرمة مكة اليوم، ((الزمن الذي قيلت فيه الخطبة الغد من يوم الفتح)).

المشبه به: حرمة مكة المكرمة بالأمس ((الزمن الذي سبق فتحها قبل أن يأذن الله لرسوله بالقتال فيها))، أي عادت حرمتها كما كانت عليه إلى يوم القيامة، وهذا هو الغرض من التشبيه.

ويؤيد ذلك التحريم ما روى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

وعمرو بن سعيد بن العاص، ليست له صحبه، ولّاه يزيد بن معاوية على المدينة، وكتب إليه يزيد أن يوجه إلى عبد بن الزبير بمكة جيشاً فوجهه واستعمل على الجيش عمرو بن الزبير بن العوام ...." ينظر عمدة القارئ: شرح البخاري٨/٣٧٠.

(1)مقدار الساعة: الوقت الذي تم فيه فتح مكّة فقط.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٧/٩ ـ ١٢٨.

((.......إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلاّ ساعة من ار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة))[١].

والتشبيه مرسل مذكور الأداة ومحذوف وجه الشبه فهو مجمل.

ونلحظ في رواية الحديث اطناباً طريقة التتميم في قول العدوي((.......... قولاً .... سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي)).

فالمراد من هذا الأسلوب التهويل للأمر وأن الأقدام على أمر كهذا فيه خطر عظيم، كما يوضح حرص الراوي وعنايته الشديدة بمضمون الحديث لكونه مشتملاً على بيان حرمة مكة.

***بيان حرمة المدينة المنورة:**

عن عبد الله بن زيد بن عاصم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((إنّ إبراهيم حرم مكّة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكّة وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكّة))[٢].

وفي رواية:

((مثل ما دعا به إبراهيم))[٣].

يبين صلى الله عليه وسلم أنه جعل المدينة محرمة بأمر من الله كما جعل إبراهيم ـ عليه السلام ـ مكّة محرمة بأمر الله قبل ذلك، وأنه عليه السلام دعا لأهل المدينة كما دعا إبراهيم لأهل مكّة بالبركة.

وقد تواترت الأحاديث في تحريم مكّة من قبل إبراهيم ، وتحريم المدينة من قبله عليه الصلاة والسلام من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٣/٩ ـ ١٢٦.

(2)المصدر السابق ١٣٤/٩، ١٣٥.

(3)المصدر السابق ١٣٩/٩.

ما روى عن أنس ((اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم به إبراهيم مكّة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم))[١].

وما روى عن أبي هريرة:((اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكّة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكّة ومثله معه))[٢].

وما روى عن أبي سعيد ((إني حرمت ما بين لابتي المدينة كما حرم إبراهيم مكّة))

فقد شبه عليه الصلاة والسلام تحريمه للمدينة والدعاء لأهلها بالخير والبركة بتحريم إبراهيم عليه السلام لمكة والدعاء لأهلها.

ووجه الشبه ما روى عن أبي سعيد أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((اللهم إن إبراهيم حرم مكّة فجعلها حراماً، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها[٣] أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلاّ لعلف، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم أجعل مع البركة بركتين))[٤].

وقد تغيرت المدينة بعد دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها فقد اشتكى الصحابة من المرض ـ كبلال وأبي بكر وغيرهم فلما رأى ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكّة أو أشد وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وحول حماها إلى الجحفة))[٥].

ورغب في سكناها والصبر على ما فيها فقال:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٥/٩ ـ ١٤٦.

(2)المصدر السابق: ١٤٩/٩، واللابتان الحرتان وهما الأرض الملبسة بالحجارة السوداء وللمدينة حرتان شرقية وغربية والمدينة بينهما.

(3)المأزم: عجز بعد الميم وبكسر الزاي أي الجبل "الهامش" ١٤٧/٩.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤٦/٩، ١٤٧.

(5)المصدر السابق ١٥٠/٩.

((لايصبر على لأواء المدينة وشد ا أحد من أمتي إلا كنت له شفيعا يوم القيامة، أو شهيدا))[١].

ومن فضائل المدينة أ ا ممنوعة من الطاعون ومن دخول الدجال قال عليه الصلاة والسلام: ((على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال))[٢] .

كما بين عليه الصلاة والسلام أن المدينة لا يبقى فيها إلاّ خيار الناس قبل قيام الساعة قال: ((يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلُم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبةً عنها إلاّ أخلف الله فيها خيرا منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد))[٣].

وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام:

((أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد))[٤].

وفي رواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

أن أعرابيا بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ فقال: يا محمد قلني بيعتي، فأبى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم جاءه، فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه، فقال: أقلني بيعتي، فأبى، فخرج الأعرابي، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((إنما المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها))[5].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٠/٩.

(2)المصدر السابق ١٥٣/٩.

(3)المصدر السابق ١٥٣/٩، والخبث: الشوائب والأوساخ التي تخرج منه أثناء تعرضه للنار.

(4) المصدر السابق ١٥٤/٩، ومعنى القرى فيه وجهان، أحدهما: أ ا مركز الجيوش الإسلامية في أول الأمر فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها، والثاني: أن أكلها ومير ا تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها. "الهامش".

(5)المصدر السابق ١٥٥/٩.

وفي رواية عن زيد بن ثابت عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال:

((إ ا طيبة يعني المدينة، وإ ا تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة))[١].

هذه روايات متعددة تبين أن المدينة لا يبقى فيها إلا الصالحون، وأن شرار الناس ومنافقيها يخرجون منها، فتبقى نقيةً طاهرةً من كل فاسد ومبتدع.

فالمشبه: المدينة المنورة وهي تخرج وتنقي شرارها.

والمشبه به: الكير ـ وهو موضع الحداد الذي يوقد فيه النار ليصهر به المعادن ـ في كونه يخرج خبث الحديد والفضة.

وجه الشبه: التنقية الدقيقة، وإخراج فاسد من صالح فيبقى الصالح نقيا من الشوائب.

والغرض من هذا التشبيه: بيان قيمة المدينة وفضلها وأنه لا يسكنها ويبقى ا آخر الزمان إلا كل نقي وصالح.

والظاهر أن هذه المعاني خاصة بزمن الرسول ـ صلّى الله عليه وسلم ـ))[٢]، فالذين لا يستطيعون العيش بالمدينة من مرض يصيبهم أو شدة الحر أو الفقر أو غيره كانوا يخرجون وخاصة الأعراب لأ ا كانت ـ في نظرهم ـ بلد غربة.

وقد اختار صلّى الله عليه وسلّم الحديد والفضة لأ ما معلومان لدى السامعين، فالحديد ومعايشة صناعته وإدخاله في النار ليسهل طرقه وصناعته كأدوات الحرب والأدوات الزراعية منه معلوم لدى الصحابة في تلك الأيام، وكذلك الفضة وأ ا اشهر الحلي في ذلك الوقت، فوقع التشبيه موقعا حسنا وأدى المقصود منه، وأن العناصر التي بني منها التشبيه منتزعة من البيئة العربية سواءً في مكّة أو المدينة، فا تمع مجتمع حروب وزراعة وله مع مصانع الحدادين مواقف، فلا يكاد يوجد رجل لم يمر يوما من الأيام على حداد أو صائغ.

فالتشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة والطرفان حسيان بقاء الصالحين بالمدينة وإخراج الفاسدين كبقاء الحديد أو الفضة نقيا وإزالة ما ما من خبث وشوائب.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٥/٩ ـ ١٥٦.

(2) المصدر السابق ١٥٣/٩ ـ ١٥٤ "الهامش".

تبين لنا أن المدينة في آخر الزمان لا يبقى فيها إلا الصالحون، وفي حديث آخر يبين عليه الصلاة والسلام العقاب الذي يلحق من أراد أهلها بسوء قال عليه الصلاة والسلام:

((... ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء))[١].

المراد بهذا الحديث كما صرح بذلك القاضي:

((... من أرادها في حياة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كفى المسلمون أمره واضمحل كيده كما يضمحل الرصاص في النار، قال: وقد يكون في اللفظ تأخير وتقديم أي اذابه الله ذوب الرصاص في النار ويكون ذلك لمن أرادها في الدنيا، فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطانا بل يذهبه عن قرب كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم ابن عقبة، فإنه هلك في منصرفه عنها، ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على أثر ذلك ... وقيل قد يكون المراد من كادها اغتيالاً وطلبا لغرتها في غفلة فلا يتم له أمره ...))[٢].

فقد شبه الرسول صلّى الله عليه وسلّم إذابة الله لمن أراد المدينة وأهلها بسوء بذوبان الرصاص في النار أو إذابة الملح في الماء.

وجه الشبه: شدة الذوبان في كل منهما المترتب على ذوبان شيء في آخر.

وهو تشبيه مصدري؛ بليغ، مؤكد لأن الأداة محذوفة، ومجمل لأن وجه الشبه غير مذكور والحديث تشبيه محسوس بمحسوس.

والغرض من التشبيه التخويف والتحذير من الاقتراب من المدينة وأهلها بسوء واختيار هذا النوع من التشبيه ـ المصدري ـ أثر لا يخفى في إيضاح المقصود.

*** فضل الروضة الشريفة:**

لا يزال الفضل من الله في فضل المدينة متصلاً، فعن عبد الله بن زيد المازني أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم قال: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة))[٣].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٣/٩ ـ ١٥٤ "الهامش".

(2) المصدر السابق ١٣٧/٩ ـ ١٣٨ "الهامش".

(3)المصدر السابق ١٦١/٩.

وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام:

((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي))[(١)].

هذا الحديث يبين فضل موضع منبره صلّى الله عليه وسلّم، وذكروا في معناه قولين:

((أحدهما: أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة، والثاني: أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة))[(٢)].

فهذا فضل عظيم منحه الله لهذا المكان الموجود الآن داخل المسجد النبوي الشريف ((ما بين بيتي ومنبري)) فالعبارة التي تم ا في دراستنا قوله عليه الصلاة والسلام: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)).

فهذه العبارة إما أن تكون على سبيل الحقيقة، أو التشبيه أو ا از.

فإن كانت من قبيل التشبيه فهو تشبيه بليغ محذوف الأداة والوجه معا.

فالمشبه: المنطقة الواقعة بين المنبر وبيت الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بالمدينة.

والمشبه به: روضة من رياض الجنة.

ووجه الشبه: الطمأنينة ونزول الرحمة وعظيم السعادة.

وهذا من الأمور الغيبية، والأسلم أن نحمل مثل هذه العبارات على الحقيقة المطلقة. والله أعلم .

٣ ـ المبحث الثالث: التشبيهات الواردة في أحاديث الجهاد:

الجهاد ذروة سنام الدين، وهو من أفضل الأعمال التي يتقرب ا العبد إلى مولاه، فهو التجارة الرابحة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [(٣)].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٢/٩.

(2)المصدر السابق ١٦١/٩ "الهامش".

(3)سورة الصف: الآية ١٠ ـ ١١.

وقد جاء في هذا الموضوع أحاديث كثيرة في الصحيح، وكان في هذه الأحاديث ستة تشبيهات تناولت جوانب متعددة ترغيبا فيها أو ترهيبا منها.

فجاء بيان فضل الجهاد، ثم أوردت في هذا المبحث قصصا حدثت أثناء الاستعداد للجهاد أو أثنائه، كالدلالة على الخير، وقصة ماعز، وقصة البعير الذي نفر من صاحبه، ثم بين عليه الصلاة والسلام مقدار حرمة نساء المجاهدين، وبيان أجر من خلف المجاهد في أهله وماله بخير.

أمـور ومعان جلاّها التشبيه لأغـراض متعددة سنقوم بإيضاحها من هـذه الدراسة.

وقد جاءت هذه المعاني بأسلوب التشبيه المرسل المجمل، وكانت الأداة الرابطة بين الطرفين (مثل، والكاف) فجاء كل واحده منهما ثلاث مرات، وفي بيان فضل الجهاد وأن المجاهد كالقائم الصائم جاءت الأداتان مجتمعةً (كمثل).

***الدلالة على الخير:**

عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجلٌ إلى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، فقال: إني أُبدع بي[1] فاحملني، فقال: ((ما عندي)) فقال رجل: يا رسول الله أنا أدلّه على من يحملُه، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[2].

الحديث يبين جانبا من جوانب كسب الخير، وليس مقصورا على الجهاد فقط بل في جميع العبادات، فمن دلّ على خير فله مثل أجر الفاعل.

فهذا الصحابي الجليل يريد الجهاد، فيأتي رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بعد أن هلكت دابته، فيطلب من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يحمله أي أن يعطيه دابةً للجهاد، فيجيبه بأنه لا يملك ما يحمله عليه، فيسمع صحابي آخر ما كان يدور من حوار بين

---

(1)أُبدع بي: بضم الهمزة ومعناه: هلكت دابتي وهي مركوبي.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٣٨ ـ ٣٩.

الرجل والرسول عليه الصلاة والسلام، فيخاطب رسول الله بأنه سيد له على من يستطيع مساعدته، فيجيب عليه الصلاة والسلام بقولٍ فتح به طريقًا لكسب الثواب.

وقد أورد سبحانه طرقًا من هذه القصة في القرآن الكريم قال تعالى:﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألاّ يجدوا ما ينفقون))(١).

وقد تضمن الحديث تشبيها في قوله عليه الصلاة والسلام:

((من دل على خير فله مثل أجر فاعله)).

فالمشبه: ثواب الدال على الخير.

والمشبه به: ثواب الفاعل المدلول على ذلك العمل.

وجه الشبه: الثّواب والأجر في كلٍ، والتشبه مرسل مجمل.

والغرض بيان فضل الدلالة على الخير، وتعليم وظائف العبادات لا سيما لمن يعمل ا من المتعبدين.

والتشبيه يدعو كل مسلم أن يكسب الخير من أي طريق، إما بالدعوة أو بالأمر بالمعروف أو بالفعل أو بالقدوة ليعم الخير في هذه الأمة.

وقد جعل الله ـ سبحانه ـ الخيرية التي تميزت ا امتنا في أ ا تنشر الخير بأمرها بالمعروف و يها عن المنكر قال تعالى:

﴿كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(٢).

***أجر القائم على أهل الغازي:**

أما جزاء من قام على أمور أهل الغازي بخير فأجره عظيم، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ بعث إلى بني لحيان ليخرج من كل رجلين رجل، ثم قال للقاعد:

---

(1)سورة التوبة الآية: ٩١ ـ ٩٢.

(2)سورة آل عمران آية: ١١٠.

((أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج))[1].

((بنو لحيان بكسر اللام وفتحها والكسر أشهر، وقد اتفق العلماء على أن بني لحيان كانوا في ذلك الوقت كفّارا، فبعث إليهم بعثًا يغزو م، وقال لذلك البعث ليخرج من كل قبيلة نصف عددها وهو المراد بقوله من كل رجلين أحدهما، وأما كون الأجر بينهما، فهو محمول على من خلف الغازي بخير في أهله من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعد م في أمرهم، ويختلف قدر الثواب بقلّة ذلك الخير وكثرته))[2].

فخلف ا اهد في أهله وماله بخير أمر رغّب فيه الشارع ـ سبحانه ـ فعن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال:

((من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا))[3].

ويرى الإمام العيني ـ رحمه الله ـ أن كلمة (نصف) في الرواية الأولى مقحمة بين كلمتي (مثل)، و(أجر) كأ ا زيادة من يسامح في إيراد اللفظ))[4].

ويؤيد هذا الكلام الرواية الثانية للإمام مسلم.

ولعلّ السبب في تساوي الأجر بينهما أن القائم على أهل الغازي وماله نائب عن الغازي في هذه الأعمال، فالغازي مطمئن على أهله وماله إذ لو لم ينب أحد عنه لعاقه الأهل والمال عن الغزو في سبيل الله.

فالتشبيه بين أن القاعد الخالف الغازي في أهله وماله بخير مثل أجر الغازي دون نقص لأجر الغازي.

والتشبيه مرسل ومفصل لأن الأداة مذكورة ((مثل)) ووجه الشبه مذكور ((أجر)) والغرض من التشبيه الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهما م.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي : ٤١/١٣.

(2)المصدر السابق ٤٠/١٣ "الهامش".

(3)المصدر السابق ٤٠/١٣.

(4)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٨٢/١١.

***حرمة نساء الاهدين:**

هذا بيان أجر من خلف الغازي في أهله بخير أما من خلفه فخان في الأهل والمال فما عقابه؟

عن سلمان بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

((حرمة نساء ا اهدين على القاعدين كحرمة أمها م، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من ا اهدين في أهله فيخونه فيهم إلاّ وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء. فما ظنكم؟))[1].

((هذا الحديث جوهرة من جواهر أحكام عقد الجهاد يبين فيه صلّى الله عليه وسلم حرمة نساء ا اهدين على القاعدين، وأ ا مثل حرمة أمها م عليهم، وهذه الحرمة من جانبين:

أحدهما: تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم وخلوة وحديث محرم وغير ذلك.

الثاني: في برهن والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي يترتب عليها مفسدة ولا يتوصل ا إلى ريبة ونحوها)) [2].

فالمشبيه : حرمة نساء ا اهدين على القاعدين.

والمشبه به: حرمة أمها م عليهم.

وجه الشبه: عدم انتهاك تلك الحرمة.

والغرض من هذا التشبيه بيان مقدار شدة حرمة نساء ا اهدين على القاعدين وأ ن مثل أمها م.

وهذا تشبيه مرسل فالأداة مذكورة (الكاف) ومجمل لحذف وجه الشبه.

وفي اية هذا الحديث يذكر عليه الصلاة والسلام عقاب من لم يخلف الغازي في أهله وماله بخير فقال:

((وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من ا اهدين في أهله فيخونه فيهم إلاّ وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء. فما ظنكم؟.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٤٢/١٣.

(2)المصدر السابق٤١/١٣ ـ ٤٢ "الهامش".

معناه: ما تظنون في رغبته في أخذ حسناته والاستكثار منها في ذلك المقام أي لا يبقي منها شيئًا إن أمكنه.

والتشبيه قد بين مقدار تلك الحرمة فبين أ ا حرمةٌ عظيمة مثل حرمة الأمهات.

*** ما يذبح به:**

عن رافع بن خديج قلت: يا رسول الله إنا لاقوا العدو غداً وليست معنا مدى، قال صلى الله عليه وسلّم: ((أعجل أو أرني[١] ما أ ہر الدم[٢] وذُكر اسم الله، فكلُ ليس السن والظفر، وسأحدثك، أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة، وأصبنا ہب[٣] إبل وغنم، فند[٤] منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم: ((إن لهذه الإبل أوابد[٥] كأوابد الوحش، فإذا غلبكم منها شيء فاصنعوا به هكذا)) [٦].

الحديث يبين جواز الذبح بكل ما أ ہر الدم إلا السن والظفر وسائر العظام. ونلحظ في طيات الحديث الأدب الذي اتصف به الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقد استشاروا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أمر لم يكن لهم به عهد، فقالوا: يا رسول الله إنا لاقوا العدو غداً وليست معنا مدى، أي: ماذا نفعل في الذبائح؟ فيجيبه عليه الصلاة والسلام بما اشتمل عليه الإسلام من يسر وسماحة فيقول: ((أعجل أو أرني ما أ ہر الدم ...)).

والتشبيه النبوي وارد في قوله عليه الصلاة والسلام:

((إن لهذا الإبل أوابد كأوابد الوحش)).

فالمشبه: الآبد من الإبل الإنسية.

المشبه به: أوابد الوحش.

---

(1)قوله: أعجل أو أرني هما بمعنى واحد وهو النشاط والخفة أي أعجل ذبحها لئلا تموت خنقا...

(2)أ ہر الدم: أي أساله وصبه بكثرة.

(3)النهب: المقصود به هنا غنيمة.

(4)ند: أي شرد وهرب.

(5)الأوابد: النفور والتوحش، وهو جمع آبده بالمد وكسر الياء.

(6)صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٢/١٣ ـ ١٢٥.

وجه الشبه: النفور والتوحش في الطرفين.

والتشبيه مرسل فالأداة الرابطة بين الطرفين مذكورة وهي (الكاف) ومجمل فوجه الشبه محذوف والتشبيه مرسل في سياق بيان إباحة عقر الحيوان الأهلي إذا ند وعجز واستحال ذبحه، ثم بين عليه الصلاة والسلام في اية الحديث أن هذا الحكم ليس مقصوراً على ذلك الموقف فقط بل يتعداه إلى ما شاكل ذلك فقال:

((فإذا غلبكم منها شيء فاصنعوا به هكذا)) أي كما صنع الصحابي بذلك البعير.

*** قصة ماعز:**

وكان مما أورده الإمام مسلم في أحاديث الجهاد قصة ماعز بن مالك، فعن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال:

((رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلٌ قصير أعضل[١] ليس عليه رداء، فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((فلعلك)) قال: لا والله إنه قد زنى الأخر[٢].

قال: فرجمه، ثم خطب فقال:

((ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس[٣] يمنح أحدهم الكُثبة[٤]، أما والله إن يمكني من أحدهم لأنكلنه عنه)) [٥].

وفي رواية:

((كلما نفرنا غازين في سبيل الله تخلّف أحدكم ينب نبيب التيس يمنح إحداهن الكُثبة إنّ الله لا يمكني من أحد منهم إلاّ جعلته نكالاً (أو نكلته))) [٦].

---

(1)أعضل: الضاد المعجمة أي مشتد الخلق.

(2)الأخر: معناه الأرذل والأبعد والأدنى، وقيل اللئيم، وقيل: الشقي ومراده نفسه فحقرها.

(3)نبيب التيس: صوته عند السفاد.

(4)الكُثبة: بضم الكاف واسكان المثلثة: القليل من اللبن وغيره.

(5)ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١١/١٩٤ ـ ١٩٥.

(6)المصدر السابق ١١/١٩٦.

هذا حديث يبين فيه عليه الصلاة والسلام حد الزنا للمحصن وهو الرجم، والزنا من أبشع وأكبر الكبائر التي توعد الله صاحبها بالعذاب الأليم قال تعالى في وصف عباد الرحمن:

﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التّي حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾(١).

وحذّر سبحانه من كل شيء يمكن أن يوصل إلى الزنا قال تعالى:

﴿ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشةً وساء سبيلاً﴾(٢).

ومن أساب الزنا إطلاق النظر، وقد حذّر الله ـ تبارك وتعالى ـ من إطلاقه، لأن العواقب وخيمة قال تعالى:

﴿قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم ويحظفوا فروجهم﴾(٣).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه)) (٤).

والحديث الذي بين أيدينا بروايتيه يذكر جانباً من قصة ماعز بن مالك، وقد ورد فيها تشبيهاً في قوله عليه الصلاة والسلام:

((ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله خلف أحدهم ((أحدكم)) له نبيب كنبيب التيس)).

فقد شبه عليه الصلاة والسلام صوت الزاني عند الزنا بصوت التيس عند السفاد على سبيل التشبيه المرسل ا مل.

والغرض من التشبيه: التحقير للمشبه.

---

(1)سورة الفرقان آية: ٦٨ ، ٦٩.

(2)سورة الإسراء آية: ٣٢.

(3)سورة النور آية: ٣٠.

(4)متفق عليه، ينظر "رياض الصالحين" ص٥٢٤.

أما في الرواية الثانية فقد جعل الغرض أشد تحقيراً حيث لجأ عليه الصلاة والسلام إلى التشبيه البليغ، ومعلوم ما يدل عليه التشبيه البليغ من قوة الشبه بين المشبه والمشبه به.

٤ ـ المبحث الرابع:

التشبيهات الواردة في أحاديث الذكر والدعاء:

الذكر والدعاء من أحب الأعمال إلى الله ـ سبحانه ـ تتجلى فيها قوة العلاقة بين العبد وخالقه، ويتحقق فيها معنى العبودية.

وقد جاء ثلاثة تشبيهات في هذا المبحث في الصحيح دارت حول معان مختلفة وهي دعاؤه على مضر، وبيان فضل الذكر والتحميد، ثم بين عليه الصلاة والسلام أن الإيمان يزيد وينقص حسب الأمكنة.

وجميع التشبيهات الواردة في هذا المبحث مرسلة باعتبار ورود أداة التشبيه ومجملة لأن وجه الشبه محذوف، جاءت أدوات التشبيه على النحو التالي:

جاءت ((مثل)) مرة واحدة أما ((الكاف)) فجاءت ثلاث مرات.

أما دعاؤه عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة أو دعاؤه على بعض القبائل فتتبين لنا الصورة والأسلوب النبوي ما روي عن أبي هريرة أنه يقول: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم يقول:

((اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسنى يوسف، اللهم ألعن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ [1] .

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٦/٥ ـ ١٧٧.

وفي رواية:

((أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ لما رأى من الناس إدبارا قال:((اللهم سبع كسبع يوسف.قال:فأخذ م سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع)) [١].

وفي رواية:

((... دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصا م قحط وجهد، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد وحتى أكلوا العظام، فأتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلٌ فقال: يا رسول الله استغفر الله لمضر فإ م قد هلكوا، فقال: لمضر إنك بمريء، قال: فدعا الله لهم، فأنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عايدون﴾ [٢] قال: فمطروا فلما أصابتهم الرفاهية قال: عادوا إلى ما كانوا عليه، فأنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى النّاس هذا عذابٌ أليم يوم نبطش البطشة الكبرىٰ إنا منتقمون﴾ [٣].

قال: يعني يوم بدر)) [٤].

وردت الرواية الأولى في باب ((استحباب القنوت في صلاة الصبح إذا نزلت بالمسلمين نازلة)).

وقد ذكر فيها عليه الصلاة والسلام عددا من الصحابة ودعا لهم بالنجاة فقال: ((اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة ...)) وهؤلاء المدعو لهم قوم من أهل مكة أسلموا ففتنهم أهل مكّة وعذبوهم، وبعد ذلك نجوا وهاجروا إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر عليه الصلاة والسلام عددا من القبائل: ((لحيان ورعلاً وذكوان وعصية)) وهذه القبائل اشتركت في قتل أصحاب بئر معونة، وهم السبعون القراء، وقد حزن عليهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا واضح في دعائه عليهم باللعنة،

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٤١/١٧.

(2)سورة الدخان الآية: ١٥.

(3)سورة الدخان آيات: ١٠، ١١، ١٥.

(4)صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٣/١٧.

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: ((ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجد على سرية ما وجد على السبعين الذين أُصيبوا يوم بئر معونة، كانوا يدعونَ القراء فمكث شهرا يدعو على قتلتهم)) [١].

والتشبيه النبوي في قوله عليه الصلاة والسلام:

((اللهم اشدد وطأتك[٢] على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف)).

وسنين يوسف ـ عليه السلام ـ هي تلك السنون التي ذكرها في تفسير رؤيا الملك وهي البقرات العجاف والسنبلات اليابسات، كما قال عنها سبحانه:

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلاَّ قليلاً مما تحصنون﴾ [٣].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام الضمير العائد على الوطأة المدعو ا على مضر في قوله: (واجعلها) شبهها بوطأة سني يوسف.

ووجه الشبه: الشدة والقحط والغلاء وقلّة الأرزاق.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار هذه الوطأة المدعو ا سواءً على مضر أو قريش.

والتشبيه يوحي بقسوة عظيمة وشدة تغير معالم هذه الحياة، فالأرض ليست تلك الأرض والطعام ليس الطعام المعهود، والجوع قد امتدت رقعته حتى وصلوا إلى أكل الجلود والميتة والعظام، وفي تعبيره وأسلوبه ـ صلّى الله عليه وسلم ـ ((اللهم أشدد وطأتك على مضر)) إيحاء بمدى غضبه عليه الصلاة والسلام وهذا واضح من السياق، فاستجاب له ربه، فأجدبوا وأكلوا كل شيء، فأكلوا حتى العظام والجلود القديمة والميتة حتى ضعفت قواهم وخارت، فأصبح الواحد منهم من شدة الجوع يرى دخانا بين السماء والأرض، حتى جاء أبو سفيان واسترحم واستعطف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره بصلة الرحم فدعا لهم فسقوا...)) [٤] كما جاء في الرواية الثانية.

ومثل هذا التحليل يقال في رواية ((اللهم سبع كسبع يوسف)).

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٩/٥ "الهامش".

(2)الوطأة بفتح الواو وإسكان الطاء وبعدها همزة البأس ١٧٧/٥ "هامش الصحيح".

(3)سورة يوسف الآية: ٤٨.

(4)صحيح مسلم ١٤١/١٧.

فالمشبه: سبع سنين يريد أن تحل م، والتنوين عوض عن محذوف ((أي سبع سنين)).

والمشبه به: ((سبع يوسف)) أي السبع السنين التي حلّت بأهل مصر زمن يوسف عليه السلام.

ويؤيد هذه التقديرات ما جاء في بعض الروايات:

((اللهم أشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف)) [١].

على سبيل التشبيه المرسل ا مل.

أي سنينا شدادا في كل جوانب الحياة مثل تلك السنين التي أنزلها الله بأهل مصر.

ونلحظ كل هذه البلاغة النبوية من أسلوب الدعاء، مرةً عليهم في أولى الروايات، ثم بالدعاء لهم في اية الأمر.

إنه أسلوب رائع وجميل ورونق بديع ر البلغاء من خلال انتقال الذهن مباشرةً إلى أحوال المشبه به ((سني يوسف)) لأن فيها بيانا وتفصيلاً لمقدار تلك الشدة التي يريد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تحل م وهذا جانب بلاغي نبوي اتخذ الدعاء وسيلةً بلاغية فريدة.

وقد بين عليه الصلاة والسلام أنواعا من الذّكر تجلب لصاحبها مع إخلاص النية خيرا كثيرا ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((من قال لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكُتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطّت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر)) [٢].

الحديث بيانٌ لفضل التهليل والتسبيح والتحميد.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٧/٥.

(2)المصدر السابق ١٧/١٧.

وقد جاء في كلامه عليه الصلاة والسلام تشبيهاً في قوله:

((ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر)).

والتسبيح معناه: التنزيه عما لا يليق به ـ سبحانه ـ من الشريك والولد والصاحبة وجميع النقائص والعيوب.

فقد شبه المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذنوب التي تحطها التسبيحات والتحميدات بزبد البحر في كثرتها.

والطرفان عقلي ((الذنوب المغفورة بسبب التسبيح والتحميد)) و((حسي)) زبد البحر فهو تشبيه عقلي بحسي وجاء أسلوب التشبيه مرسلاً لأن الأدة ((مثل)) مذكورة، ومجمل لأن وجه الشبه محذوفاً والغرض من التشبيه بيان مقدار المشبه.

والحديث يدعو المسلم والمسلمة إلى الأعمال القليلة التي ينال من ورائها على الثواب والأجر العظيم.

كلمات يسيرة لا تحتاج إلى جهد بعضو اللسان الذي منحه الله قوة وقدرةً عجيبة مع الإخلاص لله ينال صاحبها هذا الفضل.

ـ عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

(من قال: لا إله ألا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشرة مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل)) [١].

هذا حديث عظيم يبين فيه الرسول عليه الصلاة والسلام أفضلية التهليل وذكر الأجر العظيم الذي يناله من فعل هذا النوع من الذكر، والذكر أمره عظيم وجزاؤه عظيم وقد حثّ الله عليه ورغّب فيه قال تعالى:

﴿فاذكروني أذكركم﴾[٢]،وقال ـ سبحانه ـ:﴿واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون﴾[٣].

والأحاديث والآيات في الترغيب في الذكر كثيرة ليس المجال لذكرها.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٧.

(2)سورة البقرة الآية: ١٥٢.

(3)سورة الجمعة الآية: ١٠.

والحديث الذي بين أيدينا شبه فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأجر الذي يناله من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات بأنه كمن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل، فهما في الأجر سواء.

وجه الشبه: الأجر العظيم في كلٍ.

أما الغرض من التشبيه بيان فضل ومقدار التهليل والتحميد.

والتشبيه تشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة ووجه الشبه محذوف.

والقلوب في حالة الذكر مطمئنة تشعر بلذة واستقرار، لذلك اشتكى بعض الصحابة من فقدان هذه الحلاوة بعد انتهاء مجالس الذكر والانشغال بالأموال والأولاد.

عن حنظلة قال: كنا عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوعظنا فذكر النار، فقال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة قال: فخرجت فلقيت أبابكر، فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر، فلقينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة، فقال: ((مه؟)) فحدثته بالحديث،قال أبوبكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل، فقال:

((يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق)) [١].

هذا الحديث يبين فيه عليه الصلاة والسلام فضل الدوام على الذكر والتفكر في أمور الآخرة، فحنظلة ـ رضي الله عنه ـ يجد شيئًا في نفسه من الطمأنينة والراحة إذا كان في حلقة الذكر عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقل تلك الراحة النفسية إذا خالط الدنيا ومتاعها من الأهل والأولاد والأموال فيشكو هذه الحالة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فيجد نفس الحالة عنده، فيذهبان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيخبره حنظلة بقوله: نافق حنظلة فيأتي الاستفسار ((مه؟)) قال القاضي عياض: أي معناه الاستفهام أي ما تقوله والهاء هنا هي هاء السكت، قال: ويحتمل أ ا للكف والزجر والتعظيم لذلك)) [٢].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٧/١٧.

(2)المصدر السابق ٦٧/١٧ "الهامش".

فيذكر عليه الصلاة والسلام لهما حقيقة الأمر وأن هذا خارج عن إراد ما : ((ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق)).

فالمشبه: حالة القلوب بعد الذكر.

المشبه به: حالة القلوب عند الذكر.

وجه الشبه: الراحة والطمأنينة وحب الموت واستشعار عظمة الله ...

والتشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة ومجمل لأن وجه الشبه محذوف.

والغرض من التشبيه بيان حال المشبه.

وفيه الحث على الإكثار من الذكر ومجالسة الصالحين وبيان أثر ذلك ((لصافحتكم الملائكة في الطرق)).

*** خيرية المؤمن:**

يبين لنا فيه الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم صفات المؤمن، فهو الخير كله، فالمؤمن مصدر النفع ورمز العطاء في جميع احواله حياً وميتاً وتتبين هذه المعاني من خلال التشبيه التمثيلي الذي ثبت هذه المعاني وجلاّها.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:

((إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإ ا مثل المسلم،فحدثوني ما هي؟ (فوقع الناس في شجر البوادي، وقال عبد الله: ووقع في نفسي أ ا النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال: فقال: (هي النخلة)، قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا))[1].

شبه الرسول صلّى الله عليه وسلم النخلة بالمسلم، في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام فإن ثمرها منذ أن يطلع لا يزال يؤكل حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، وخشبها وورقها وأغصا ا يؤخذ جذوعاً وحطباً

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٣/١٧.

وعصياً وحبال وأواني....... فهي منافع كلها وخير وجمال، و (المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه ومواظبته على صلاته وصيامه وذكره والصدقة وسائر الطاعات)(١).

فوجه الشبه عموم النفع وعظيمه في الحياة وبعدها.

والنخلة رمز للثبات والمؤمن ثابت في إيمانه راسخ العقيدة، وقد نقل ابن حجر عن القرطبي كلاماً عن النخلة يقول:

((فوقع التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستوراً بدينه، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حياً وميتاً))(٢).

وما يمكن استخراجه من معان من الطرفين يكون وجه الشبه، وهذه المعاني تثري التشبيه وتوسع حدوده والنخلة ترمى بالحجارة فتعطي أطيب الثمر، والمؤمن يدفع بالتي هي أحسن.

٥ ـ المبحث الخامس:

التشبيهات الواردة في أحاديث التكافل الاجتماعي:

المسلون إخوة، يرحم بعضهم بعضا، يسعد المحسن الفقير والضعيف، وينال المحسن أجرا كثيرا، أعمال تكسر حواجز الكبر، و دم بنيان الطغيان والجبروت في النفس.

في المبحث السابق ذكرنا أن ا اهد كالقائم الصائم، أما القيام على الأرملة والمسكين ـ وهو شريحة مهملة في بعض ا تمعات مع كثر م ـ فأجره كأجر ا اهد في سبيل الله وكالصائم القائم.

---

(1) عمدة القاري ١٤/٢.

(2) فتح الباري ١٤٧/١.

وقد وردت في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تحث على التكافل، والرحمة، حاملةً في طيا ا عدة معان، جاء بيان أجر القيام على الأرملة والمسكين، وأجر من كفل يتيماً، وقد جاء التشبيه مقرونا بالوصف الحسي، وردت هذه المعاني عن طريق التشبيه وهي كالتالي:

*** أجر الساعي على الأرملة والمسكين:**

عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((الساعي على الأرملة والمسكين كا اهد في سبيل الله)) وأحسبه قال:((وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)) [(١)].

حديث عظيم يبين فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جانبا من جوانب الرحمة الإسلامية، فما أجر من يسعى ويخدم الأرملة الضعيفة والمسكين المحتقر بين الناس؟

فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتخذ التشبيه أسلوبا للترغيب في هذا العمل، فيذكر فضله وماله عند الله، فيجعله كا اهد في سبيل الله أو كالقائم الذي لا يفتر عن قيام ويدعو ويناجي ربه ومولاه، أو مثل الصائم الذي منع بدنه مما أحل الله، فضعف جسمه طلباً لمرضاة ربه.

فالمشبه: الساعي على الأرملة والمسكين.

والمشبه به: ا اهد في سبيل الله أو القائم الذي لا يفتر والصائم الذي لا يفطر إذ أن الجهاد والصلاة والصيام من أفضل الأعمال المنجية من عذاب النار.

وجه الشبه: الأجر العظيم.

والتشبيه مرسل، فالأداة ((الكاف)) موجودة والوجه محذوف، فهو مجمل.

والغرض من التشبيه بيان مقدار الأجر الذي يستحقه من قام على شئون الأرملة أو المسكين،ونلحظ في هذه الصورة ما تدل عليه لفظة ((الساعي)) وما توحي به من تكرار وتعهد ورعاية مستمرة دؤوب وما فيها من حرص على الكمال.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١١٢/١٨، والأرملة من لا زوج لها سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل: هي التي فارقت زوجها، قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج...

الفصل الثّاني: التشبيه المفرد في أحاديث الفتن:

وردت عدة أحاديث في صحيح مسلم تبين من خلالها كثرة الفتن التي ستحدث قبل يوم القيامة ، وقد حذّر منها المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين خطرها، وأنواعها، وما يجب على المسلم فعله تجاهها.. ويضم هذا الفصل أربعة وعشرين تشبيهاً موزعة إلى مبحثين:

الأول: سأتحدث فيه عن الفتن، وبيان أنواعها، وأثرها على العبد.

الثاني: سوف أجمع فيه ـ إن شاء الله ـ التشبيهات التي تدور حول فتن أشراط الساعة وأكثرها ستدور حول فتنتي الدجال ويأجوج ومأجوج.

المبحث الأول: التشبيهات الواردة في أحاديث الفتن عامة

في هذا المبحث حاولت أن أجمع فيه التشبيهات الواردة في الفتن بصفة عامة، وقد حصرت ثمانية تشبيهات في هذا المبحث اختلفت أغراضها وموضوعا ا، بدأ ا بأنواع الفتن ثم موقف القلوب منها ثم بوصفه عليه الصلاة والسلام للأثر الذي يحدث للقلب إذا قبضت منه الأمانة وما يعتريه من سواد، ثم بين عليه الصلاة والسلام شدة فتنة القبر، وأ ا فتنة عظيمة يتعرض لها الأموات، وهناك تشبيهان وردا في قصة الخوارج، ومن خلال هذه القصة تبين ما يستحقون، ثم بين عليه الصلاة والسلام أن هناك فتناً تخرج آخر الزمان، وذلك بانتشار صنفين من الناس، الصنف الأول أُناس يضربون الناس من غير ذنب، ونساء كاسيات عاريات، ثم ذكر عليه الصلاة والسلام أن العبادة آخر الزمان إذا فسد الناس واختلطت أمورهم تعدل الهجرة إلى النبي عليه الصلاة والسلام وذلك لكثرة الفساد وانتشاره.

ثمانية تشبيهات جاء تشبيهان منها بليغان وذلك في بيان عقاب الخوارج وما يستحقون ،أما الستة الباقية فهي تشبيهات مرسلة حيث أتت الأداة " مثل " ثلاث مرات أما الأداة " الكاف" فقد وردت ثلاث مرات، وهي تشبيهات مجملة لأنه تم حذف وجه الشبه منها.

*** الفتن وأنواعها:**

هذا الحديث في بيان الفتن وبيان أنواعها ،عن ابن شهاب أن أبا إدريس الخولاني كان يقول: قال حذيفة بن اليمان: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلاّ أن يكون رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ أسر إلى في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم وهو يعد الفتن:

((منهن ثلاثُ لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار))[1]. قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

هذا بيان للفتن، وإ ا أنواع، منها ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، وهذا دليل على خطرها وعظم أمرها ((ليتصور خيالنا الفتن التي لا تكاد تذر شيئاً أتت عليه........ إ ا صورة تترك للخيال أن يذهب في تصور هذه الفتن مذاهب شتى في التدمير والإفساد والإغواء...... لا تذر شيئاً إلاّ أتت عليه .... لا تذر حياً إلاّ قتلته، ولا نباتاً إلاّ قطعته، ولا بنياناً إلاّ هدمته))[2].

والتشبيه جاء لبيان الأنواع الأخر من الفتن التي جعلها كرياح الصيف التي تختلف من حين لآخر،مرة تأتي قوية،ومرةً تأتي ضعيفة،تختلف ـ أيضاً ـ في الاتجاه وقد تكون مدمرة وقد تكون أقل تدميراً(منها صغار ومنها كبار)وقدم الصغار لكثر ا وخفاء أمرها.

قال الصباغ:

((ورياح الصيف يعرفها العرب أتم معرفة، فقد تكون رياحاً لا يحس الناس ا إلاّ بصعوبة، وقد تكون رياحاً تملأ الرحب الكبير والفضاء الواسع، وتثير الغبار الذي يحجب

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/١٨.

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي : د.الصباغ / ص ٢٦٣.

الرؤية، ويدخل كل بيت، ويضيق على الناس سبيل التنفس، إ ا صورة مأخوذة من الحياة العربية في الجزيرة العربية....))[١].

وجه الشبه منتزع من متعدد، تذهب النفس فيه كل مذهب لتأويله .والغرض من التشبيه بيان حال تلك الفتن.

وقد تجسدت الفكرة المعنوية إلى شيء محسوس، وهو رياح الصيف.

أما الحديث التالي فجاء التشبيه فيه لبيان حال ومقدار الفتن، فعن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال: ((بادروا بالأعمال الصالحة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا))[٢].

هذا من أحاديث الفتن التي أخبر ا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيث رغّب فيها بالأعمال الصالحة والمبادرة إليها قبل أن ينشغل عنها، فهي فتن عظام متراكمة واحدة تلو الأخرى لذلك شبهها عليه الصلاة والسلام بقطع الليل المظلم، فهي فتن بعضها على بعض يصعب على من حدثت له أن يفرق بينها، وأن يرى الحق من خلالها تجعل صاحبها أعمى لا يدري عن شيء، يتخبط في ظلام دامس لا يدري إلى أين يتجه.

إ ا فتن متتالية حالكة السواد، يحتاج إلى تبديد ظلامها عمل صالح كثير، وفي هذا دليل على أن الأعمال الصالحة كالمصابيح تضيء لصاحبها الطرق، وتبين له المهالك حتى لا يقع فيها.

فتن عظام تلعب بقلب من قلّت أعماله الصالحة، فتن غيرت الحياة (يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمنا ويصبح كافراً)، فتن لا تدع للخير أرضاً ولا للأمان مسكناً، ولا شك أننا اليوم نعيش بعضاً من تلك الفتن، ولا منجى إلاّ بالرجوع إلى الله ـ سبحانه.

في لفظة (بادروا) دلالة على خطورة الأمر وشدته.

---

(1) المصدر السابق : ص ٢٦٣.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٣٣/٢.

شبه عليه الصلاة والسلام الفتن في سوادها وعدم المعرفة للحق والنور بقطع الليل المظلم، المتراكمة على بعضها.

صورة تمثيلية الغرض منها بيان حال المشبه ومقداره، ونلحظ من خلالها تحذيره عليه الصلاة والسلام من التهاون في اتخاذ العدة لمواجهة الباطل وأهله، وأن سلاح المؤمن في كل فتنة الإيمان بالله والعمل الصالح.

صورة موحشة تبعث الخوف، قطع من الليل متراكمة يعلو بعضها بعضاً، الليل مخيف فما بالك بظلام متعدد لا تدري ما الذي سيأتيك منه، والفتن مثل ذلك.

هذه هي الفتن فما موقف القلوب منها؟ سيأتي الجواب في الحديث الذي يليه.

***موقف القلوب من الفتن:**

هذا الحديث جاء التشبيه فيه لبيان موقف القلوب من الفتن، وبيان كيف يتأثر القلب ا.

قال حذيفة سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول: ((تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشر ا[١] نكت فيه نكته سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتةٌ بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا[٢] فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلاّ ما أشرب من هواه))[٣].

حديث عظيم تضمن عدة تشبيهات.

الأول: شبه صلّى الله عليه وسلم عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض الحصير على صانعيها واحداً واحداً إذا انتهت فتنة جاءت أخرى ((كقطع الليل المظلم، وجه الشبه بين الطرفين التتابع مع اختلاف الحجم.

---

(1) أشر ا: دخلت فيه دخولاً تاماً شابه الشراب.

(2) الصفا: الحجر الأملس.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧٠/٢ وما بعدها، وا خي: المنكوس

الثّاني: شبه عليه الصلاة والسلام القلب الذي أنكر الفتن ولم يتقبلها بالحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، فهو قلب طاهر نقي ينكر المنكر ويعرف المعروف لا تضره تلك الفتن ما دامت السموات والأرض.

قال القاضي عياض:

((ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه لكن صفة أخرى، لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا))[١].

فوجه الشبه نقاء، وضوح، رسوخ، عدم تأثر، وهذا من التشبيه المفرد.

الثالث: شبه عليه الصلاة والسلام القلب الذي أشرب الفتن واستسلم لها بالكوز المنكوس الذي لا يدخل فيه شيء، فهو لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، امتلأ ظلمة من المعاصي والذنوب، خرج منه الخير، وبقيت ظلمة المعاصي ودرن الذنوب، تمنع وصول الخير إليه.

وجه الشبه بين هذا الصنف من القلوب التي تقبل الفتن وبين الكوز ا خي عدم ثبات شيء فيهما بل خروجه وضياعه.

يقول الصباغ معلقاً على الصورة:

((إنّ الكأس المنكوس مهما وضعته تحت الماء المنهمر لا يمتلء ولو بقيت الدهر كلّه، وهو أسود مغبر....... قائم كالح ...... ليس مظنة الخير وليس لديه شيء من التفاؤل وتوقع الخير ....))[٢].

نعم إ ا المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.

صورة متكاملة بينت موقف القلوب السليمة والمريضة من الفتن ومدى أثر تلك الفتن في كل قلب، نسأل الله العافية.

* زوال الأمانة:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٢/٢ "الهامش".

(2) ينظر "التصوير الفني في الحديث النبوي" ص ٢٦٢.

لزوال الأمانة من القلوب، وتصوير الأثر الذي يلحق العبد بسبب زوال شيء منها.
جاء عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا، أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن ..... ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال:

((ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت[١]، ثم ينام النومة، فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المَجل[٢] كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منبترا[٣] وليس فيه شيء، ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال أن في بني فلان رجلاً أميناً ....))[٤].

((معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت، وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كا ل، وهو أثر محكم لايكاد يزول إلاّ بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يد حرجه على رجله حتى يؤثر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى التنفط. وأخذ الحصاة ودحرجته إياها أراد ا زيادة البيان وإيضاح المذكور والله أعلم))[5] وإذا تأملنا الدقة في اختياره عليه الصلاة والسلام لألفاظ الصورة (الوكت، وا َلَ)[٦] ثم نتأمل اختيار صورة الدحرجة للجمر على الرجل وما فيها.

---

(1)هو بفتح الواو وإسكان الكاف وبالتاء المثناء من فوق وهو الأثر اليسير كذا قال الهروي، وقال غيره هو السواد اليسير، وقيل: هو لون يحدث مخالف للون الذي قبله.

(2)بفتح الميم وإسكان الجيم وفتحها لغتان ... قال أهل اللغة والغريب ا ل هو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

(3)منبترا : مرتفعا.

(4)صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٧/٢ وما بعدها.

(5)صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٩/٢ "الهامش".

(6)تمت معرفة المراد ا من الحاشية وينظر: المعجم الوسيط ١٠٥٣/٢، والقاموس المحيط ٤٩/٤، والمعاني متقاربة إن لم تكن متفقة.

فالمشبه به في التشبيه الأول الوكت يدل على الأثر اليسير الذي يحدث عند زوال أول جزء من الأمانة.

والمشبه به في التشبيه الثاني ا َلمَ يدل على الأثر المحكم الذي يحدث عند زيادة زوال جزء أكبر من الأمانة.

والتشبيه الثالث جاء المشبه به حجراً مدحرجاً ليدل على زوال نور الأمانة من القلب، وقد جاءت الألفاظ معبرة كل لفظة ناسبت مرحلة زوال بعض الأمانة، والحديث بتشبيهاته صورة تمثيلية رائعة بينت مراحل زوال الأمانة.

والتشبيه بين حال المرء الذي بدأت رجله تـ لق في سرداب الخيانة الذي انتهى به الأمر إلى قعر الخيانة.

*** فتنة القبر:**

أما الحديث الثّاني فهو بيان لفتنة القبر التي يتعرض لها العبد بعد موته، فعن عائشة رضي الله عنها أ ا قالت:

((......... فخرجت في نسوة بين ظهري الحُجر في المسجد، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مركبه حتى انتهى إلى مصلاّه الذي كان يصلي فيه، فقام وقام الناس وراءه، قالت عائشة: فقام قياماً طويلاً ثم ركع، فركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع.........، ثم رفع وقد تجلّت الشمس، فقال:

((إني قد رأيتكم تفتنون[1] في القبر كفتنة الدجال)) قالت عمرة، فسمعت عائشة تقول: فكنت أسمع رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ بعد ذلك يتعوذ من عذاب النار وعذاب القبر)) [٢].

هذا الحديث ورد في كتاب (الكسوف)، ((وفي هذا الحديث إثبات عذاب القبر وفتنته، وهو مذهب أهل الحق))[١].

---

(1)تفتنون: أي تمتحنون.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٥/٦ ، ٢٠٦.

والقبر أول منازل الآخرة، ومن نجا فيه فقد نجا، ومن هلك خسر كل شيء، والنجاة تعتمد على تثبيت الله ـ سبحانه وتعالى ـ للعبد بالقول الصحيح حول الأسئلة الثلاثة: من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ والإجابة امتداد لمنهج العبد مع ربه في حياته، فإن كان موفقاً للصالحات، فالفوز والنجاة، وإن كان الجواب خلاف ذلك فالهلاك، قال تعالى:

﴿ يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ [٢].

والتشبيه جاء في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام:

((إنى قد رأيتكم تفتنون في القبر كفتنة الدجال)).

فالمشبه: فتنة العبد في قبره، والفتنة هي أسئلة الملكين.

والمشبه به: فتنة الدجال.

وجه الشبه: شدة الهول وعظيم الخطر في كل، فإن العبد يمتحن محنةً شديدة يقول الملكان للإنسان في قبره: ما علمك بهذا الرجل ؟ فيقول المؤمن: هو رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ ويقول المنافق : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، وكما جاء في الرواية الأخرى للحديث))[٣].

ولو نظرنا إلى ما بين الطرفين من مقاربة نجد أن أهل الهدى في كلٍ على الحق ثابتةً، أقدامهم، ولا تضل قلوبهم ،ولا يلتبس عليهم الحق فيصمدون أمام الدجال مهما أغراهم بما يملك، فيزدادون رسوخاً وتمسكاً بالمنهج.

وأهل الباطل لا قرار لهم ولا ثبات، فالأفئدة مضطربة، والعقول مخدوعة، والألسنة متلجلجة، غرقى في الضلال، كذلك أهل القبور نجد المصير مترتباً على المنهج الذي سار عليه صاحبه في الحياة حيث الإيمان والنفاق.

(1) المصدر السابق ٢٠٦/٦ "الهامش".

(2) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٠/٦ ـ ٢١١.

فالثبات جزاؤه الحسنى، والزيغ جزاؤه سوء المنقلب.

وقد كان اختيار المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للمشبه به (فتنة الدجال) اختيار موفقاً لتجسيد تلك الفتنة العظيمة التي تحدث للعبد بعد موته، وفتنة الدجال معروفةٌ شد ا لدى الصحابة بما ورد من أخباره وعظيم فتنته.

*** فتنة الخوارج:**

أما الحديث الثالث فهو بيان لما يستحقه الخوارج، فعن جابر بن عبد الله قال أتى رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجعرانة .... لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))[١].

وفي رواية :

((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود))[٢].

هذا حديث طويل جاءت هذا التشبيهات في سياق الحديث عن الخوارج.

فالمشبه في الروايتين: قتله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الخوارج إن أدركهم وظهروا في عهده.

والمشبه به: قتل عاد في الرواية الأولى، قتل ثمود في الرواية الثانية.

ووجه الشبه: القتل الجماعي المستأصل لهم من الجذور.

وقد وضح الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما حدث لعاد وثمود في قوله:

﴿الحاقّة ما الحاقّة، وما أدراك ما الحاقّة، كذّبت ثمود وعادُ بالقارعة، فأمّا ثمود فأُهلكو بالطاغية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ عاتية، سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيّام حسوما فترىٰ القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترىٰ لهم من باقية﴾[٣].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٢/٧.

(2)المصدر السابق: ١٦٣/٧.

(3)سورة الحاقة الآيات: ١ ـ ٨.

﴿فأما ثمود بأهلكوا بالطاغية﴾ وهي الصيحة التي اسكتتهم، والزلزلة التي اسكنتهم، ﴿وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ﴾أي باردة "عاتية" شديدة الهبوب حتى نقبت أفئد م بغير رحمة .... ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً [١].

نلحظ تأثره عليه الصلاة والسلام بالقرآن.

*** صنفان من أهل النار:**

وفي الحديث الرابع يبين عليه الصلاة والسلام بعض الفتن التي ظهرت في زماننا، والتي حذّر منها ـ عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:

((صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون ا الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا))[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام:

((يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله))[٣].

وفي رواية:

((إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر)) [٤].

---

(1)تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٤١٤/٤.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٩/١٤ ـ ١١٠.

(3)المصدر السابق ١٩٠/١٧.

(4)المصدر السابق ١٩٠/١٧.

الحديث يبين أن هناك صنفين من أمته لم يرهما ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسيأتون بعده، وقد حدث ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، وما نشاهده ونسمع به خير دليل على ذلك وهؤلاء الصنفان من أهل النار.

الصنف الأول المتضمن للتشبيه الأول قوله عليه الصلاة والسلام:

((قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون ا الناس))

فقد شبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ السياط التي مع هؤلاء الصنف من الناس (رجال الشرط) بأذناب البقر.

والغرض من التشبيه: التنفير والتحقير من هذا العمل الذي يزاوله هؤلاء القوم من الناس إرضاء للولاة والحكام، فبطاعتهم للحكّام في إغضاب الله وتعذيب الناس استحقوا النار.

وقد بين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حالهم، فقال: ((يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته)).

ونلحظ التعبير النبوي بالأفعال المضارعة (يغدون، يروحون) وما يدل عليه الفعل المضارع من أ م في استمرار، فغدو في سخط الله ورواح في لعنته.

ولم تكن تلك السياط لرفع الظلم ونشر الحق، ولكنها أدوات تعذيب فاستحقوا النار.

أما الصنف الثاني: ((نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة..........)).

هذا وصف مختص بالنساء اللواتي نرى أمثالهن كثيراً في هذه الأيام ـ والله المستعان ـ والمقصود بالكاسيات العاريات، عدة أقوال:

((قيل معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل معناه: تستر بعض بد ا وتكشف بعضه إظهاراً بحالها ونحوه، وقيل معناه: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بد ا، وأما مائلات فقيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، مميلات: أي يعلمن غيرهن فعلهن

المذموم، وقيل: يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات يمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا ....))[(١)].

والتشبيه هو (رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة).

فالمشبه : رؤوس هؤلاء النسوة اللاتي وردت صفا ن وهذا فعلهن.

والمشبه به : أسنمة البخت المائلة، والبخت هي الإبل.

وجه الشبه : الضخامة والميل إلى شق.

والغرض من التشبيه : التحقير والتنفير من شكل المشبه.

وقد أدى التشبيه الغرض منه بأوجز لفظ وأجمل تصوير، فرؤسهن كأسنمة البخت، والبخت إبل مشهورة يعظُم سنامها.

فترى المرأة منهن قد أعدت شعرها وتفننت في رفعه ولفه إلى أعلى فكأنه سنام تلك الإبل.

وفي التشبيه براعة (فالسنام أعلى شيء في البخت،وكذلك الشعر المرفوع أعلى شيء في المرأة))[(٢)].

ومما يزيد التشبيه روعة ما جاء بعده من جناس اشتقاقي في الحديث (مائلات ـ مميلات ـ مائلة) وما يوحي به وما يدل عليه من أ ن قد ملْن عن الحق وانصرفن عن جادة الفطرة.

فجزاؤهن ((لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا....)).

***فضل العبادة في زمن الفتن:**

أما الحديث الخامس فهو حديث يبين فيه عليه الصلاة والسلام فضل العبادة في أمواج الفتنة إذا اختلطت أمور الناس، قال الإمام مسلم ـ رحمه الله :

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١١٠/١٤ "الهامش".

(2)التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص١٨٠.

حدثنا حماد عن المعلّى بن زياد رده إلى معاوية بن قرة رده إلى معقل بن يسار رده إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((العبادة في الهرج كهجرة إلى))[1].

العبادة هي الأمر الذي يجعل العبد على صلة بخالقه، وبوجودها يتحقق معنى العبودية لله ـ تبارك وتعالى ـ وفي هذا الحديث يتبين لنا فضلها في هذه الظروف التي يصعب على العبد الإتيان ا على الوجه الأكمل.

فحين تشتعل الفتن كالنار في الهشيم، وأمور الناس قد اختلطت، والمحافظة على الأمور الدينية بدأت تضعف وتضمحل، فيجعل عليه الصلاة والسلام فضل العبادة في هذه الأحوال والظروف كفضل الهجرة إليه صلى الله عليه وسلم ترغيبا وجبرا لخاطر ذلك العبد المؤمن ليثبت على منهج الله.

فالمشبه : العبادة في الفتنة عند اختلاط أمور الناس .

والمشبه به :الهجرة إليه ـ عليه الصلاة والسلام.

ووجه الشبه بين الطرفين :كثرة الفضل في كلٍ.

أما الغرض الذي سيق التشبيه من أجله فهو بيان فضل العبادة، وأجر مخالفة الهوى والشيطان في هذه الظروف التي كثُر فيها القتل والنهب والزنا وكل ما يغضب الله ـ تعالى ـ لأن الناس ينشغلون ويغفلون عن عبادة الله في مثل هذه الظروف التي ضعف فيها الوازع الديني.

وقد جاء هذا الفضل بأسلوب التشبيه الذي جاء على صورة التشبيه المرسل ا مل.

المبحث الثاني: التشبيهات الواردة في أحاديث أشراط الساعة:

في هذا المبحث سأتناول ـ إن شاء الله ـ قسمين من الصور التشبيهية التي وردت في أحاديث أشراط الساعة، وقد وجدت الصور التي سأدرسها تتحدث عن فتنتي الدجال ويأجوج ومأجوج. وقد بلغ عدد هذه التشبيهات في الفتنتين سبعة عشر تشبيهاً، وقسمتها إلى قسمين:

الأول: التشبيهات الواردة في قصة الدجال:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٨٨/١٨، والهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس.

في هذا القسم سأتناول - بمشيئة الله - الصور التشبيهية التي وردت في الأحاديث النبوية التي تتحدث عن فتنة الدجال، وقد حصرت تلك المعاني في أثني عشر تشبيهاً ، وقد جاءت الصور التشبيهية مختلفة الغرض، فكانت وصفاً لعينه ووجهه، وكان منها بيان مقدار خوفه إذا رأى نبي الله عيسى - عليه السلام - ومحاولته الاختفاء عنه، ثم بين عليه الصلاة والسلام أن كل نبي حذّر قومه من فتنته، وأ ا فتنة عظيمة ، يأتي معه بجنة ونار وهمية، وقد بين الرسول - عليه الصلاة والسلام - أنه يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، ويعيث في الأرض فساداً بسرعة المطر استدبرته الريح، تتبعه الكنوز من الخرائب، يفتن المؤمنين عن دينهم، وقد ورد في بعض الروايات وصف للهيئة التي ي ل عليها نبي الله عيسى - عليه السلام - من السماء، معان غيبية جاء بيا ا من خلال التشبيه المفرد.

اثنا عشر تشبيهاً، جاء أحدها بليغاً، وذلك في اختبار الدجال لإيمان أحد المؤمنين.

أما بقية التشبيهات فقد جاءت مرسلة بأدوات مختلفة تم حصرها كما يلي:

جاءت الأداة "كأن" مرةً واحدة.

وكذلك جاءت الأداة "مثل" مرةً واحدة.

أما الأداة "الكاف" فقد جاءت عشر مرات، اقترنت بـ (أشبه) مرةً واحدة، ومرتين مقترنة بما، وفي بقية التشبيهات جاءت مجردة.

أما وجه الشبه فقد تم حذفه في جميع التشبيهات، فهي تشبيهات مجملة.

لقد أورد الإمام مسلم - رحمه الله - أحاديث كثيرةً في صحيحه تتحدث عن الدجال في أماكن مختلفة من كتابه العظيم، وقد بين عليه الصلاة والسلام شدة خطره، وحذّر منه وبين منهجه في الفتنة وشخصه للأمة، فوصف عليه الصلاة والسلام كل ما يمكن أن يتعلق به.

*** وصف الرسول عليه الصلاة والسلام للدجال:**

بين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعض صفاته الخَلْقية، فعن نافع قال: قال عبد الله بن عمر: ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال:

((إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور إلاّ أن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبةُ طافية)) وقال صلى الله عليه وسلم :

((أراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجلُ أدم كأحسن ما ترى من أُدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماءً، واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم ، ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال))[1].

هذا الحديث بيان لبعض أحوال وصفات المسيح عيسى بن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبعض صفات المسيح الدجال ـ عليه لعنة الله ـ ولا فرق بين اللفظين شكلاً، ولكن عيسى ـ عليه السلام ـ مسيح هدى، والدجال مسيح ضلالة، فهي صفة مدح في حق عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصفة ذم في حق الدجال.

((وقيل: مسيح بكسر الميم وتشديد السين، وقيل: مسيخ بكسر الميم وتخفيف السين وبالخاء المنقوطة، وقيل: مسيح بكسر الميم وتخفيف السين وبالحاء المهملة، واختلف في سبب التسمية في كل منهما، فأما عيسى ـ عليه السلام ـ فقالوا: لأنه لم يمسح ذا عاهة إلاّ بريء، وقيل: لأنه ممسوح بدهن البركة، وقيل: لأن الجمال مسحه أي: أصابه وظهر عليه، وقيل: لأن الله تعالى مسحه أي: خلقه خلقاً حسناً، وقيل: لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص له، وقيل: هو اسم سماه الله تعالى به أي غير مشتق، وقيل: غير ذلك والله أعلم.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣٥/٢ ـ ٢٣٦، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري ٨٦/١٣.

أما الدجال، فقيل: سمي بالمسيح لأنه ممسوح العين، وقيل: لأنه أعور، والأعور يسمى مسيحاً، وقيل: لمسحه الأرض، أي: قطعها بالذهاب عند خروجه، ومن قال بالخاء مسيخ ((فمن المسخ وقيل غير ذلك....))[١].

وقد لاحظنا بعضاً من صفات نبي الله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ في الفصل الثاني من هذا الباب.

ولكننا نجد أن الأوصاف الواردة في تلك الأحاديث كانت ليلة الإسراء والمعراج، وجمهور العلماء يرون ((أن الإسراء كان في حالة اليقظة، وأنه بالروح والجسد، وأن رؤية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانت بالأشخاص، وإن زعم البعض أ ا كانت بالأرواح))[٢].

أما الحديث الذي نحن بصدده فقال فيه: ((أراني الليلة في المنام عند الكعبة ....))

فقد صرح بأن ذلك كان رؤيا رآها في المنام، ولكن يبقى تساؤل:

من المسلم به أن رؤيا الأنبياء والرسل حق لاشك فيها، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن الدجال بأنه يطوف بالبيت ، كيف هذا وهو محرم على الدجال دخول مكة والمدينة؟

هذا السؤال يجيب عليه العلاّمة البدر العيني ـ رحمه الله ـ فقال:

((ذلك في زمن خروجه على الناس، وأيضاً لفظ الحديث أنه لا يدخل مكّة، وليس فيه نفي الدخول في الماضى))[٣].

وإذا أتينا إلى صفات الدجال الموضحة بالتشبيه نجدها كما يلي:

أولاً : وصف عينه فقد ورد في **الرواية الأولي:**

((ألا وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأنّ عينه عنبه طافيةُ)).

وفي رواية أخرى:

---

(1)المصدر السابق ٢٣٤/٢ "الهامش".

(2)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٨٨/١٣.

(3)المصدر السابق ٨٨/١٣، ٨٩.

((ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبةٌ طافئةٌ))[١].

ونلحظ ورود كلمة ((طافية)) بدون همزة في الرواية الأولى، وفي الرواية الثانية بالهمزة ((طافئة)) هنا أتت الرواية بأن عينه العوراء هي اليمنى، هناك رواية أ ا اليسرى، فعن حذيفة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((الدجال أعور العين اليسرى ....))[٢].

وهناك رواية لم تبين أين العور. عن أبي سلمة قال: سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه،إنه أعور وأنه يجيء ....))[٣].

وللجمع بين هذه الروايات يمكن أن نقول أن إحدى عيني الدجال ذاهبة والأخرى معيبة ومن هنا يصح القول في كل عين أ ا عوراء، لأن العور عيب وكلا عيني الدجال معيبة إحداهما بذها ا والأخرى لعيبها.

وقد جاء في بعض الروايات أن عينه طافئة بالهمز، ويؤيد الهمز رواية أخرى أنه ممسوح العين وأ ا ليست حجراء ولا ناتئة بل مطموسة، وهذه صفة حبة العنب إذا خرج وسال ماؤها.

وأما رواية ترك الهمز فقد أيدته روايات أخرى أ ا جاحظة وكأ ا كوكب وكأ ا نخاعة في حائط.

ويجمع بين هذه الصفات في الروايات " بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بحجراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز، وهي العين اليمنى، وتكون الجاحظة والتي كأ ا كوكب وكأ ا نخاعة هي الطافية بغير همز وهي العين اليسرى))[٤].

ونلحظ الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة الموحية المعبرة ووضعها في موضعها المناسب حيث قال:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٥٩/١٨.

(2)المصدر السابق ١٨ /٦٠ ـ ٦١.

(3)المصدر السابق ٦٢/١٨ ـ ٦٣.

(4)المصدر السابق ٢٣٥/٢ "الهامش".

((كأن عينه عنبة طافئة)).

شبه عليه الصلاة والسلام عين الدجال بحبة العنب الطافئة في كو ا ناتئة بارزة من بين أخوا ا.

حرص الأنبياء على أممهم:

أما الحديث الثالث فهو لبيان أمانة الرسل في بيا م لأممهم وتحذيرهم من فتنته وفي مقدمة المنذرين رسولنا عليه الصلاة والسلام، فعن أبي سلمة قال: سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه. أنه أعور، وإنه يجيء ومعه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إ ا الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه))(١).

إ ا فتنة عظيمة يحتاج العبد إلى قوة إيمان حتى لا يقع في شراكها، وقد تضمنت الرواية تشبيهين هما:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام:

((وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار)).

حيث شبه ما يأتي به الدجال من براهين ليتم تصديقه بمثل الجنة يضع فيها من يتبعه ويؤمن به، ومثل النار يجعلها فيما يخيل للناظرين أنها نار يرمي فيها من عصاه وكذّب بألوهيتة.

ووجه الشبه : الحال الوهمية لما جاء به، فكأ ا جنة، وكأن الأخرى نار في وجود نعيم وعقاب وهمي مخالف للحقيقة .

والغرض من التشبيه :

بيان عظمة تلك الفتنة وحثٌ على الصبر والثبات على الإيمان بالله حتى يرمي بالعبد في ناره الوهمية التي ستكون حاله حقيقةً في جنة رب العالمين.

ونلحظ قوله عليه الصلاة والسلام: ((فالتي يقول أ ا الجنة هي النار)).

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٢/١٨ ـ ٦٣.

وسبب ذكر جنته ـ في رأيي ـ لكثرة أتباعه الذين يرغبون في الجنة وقلّة الداخلين في ناره الوهمية فذكرها تنبيهاً لعظم الفتنة والله أعلم.

الثاني: قوله عليه الصلاة والسلام:

((وإني أنذرتكم كما أنذر به نوح قومه)).

الرسل هم أفضل البشر، هم الرحماء بأممهم أمناء على دين الله، يبينون لأممهم سبل الخير فيرغبو م فيها ويخبرو م عن الشر ويحذرو م منه.

شبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنذاره وتحذيره من الدجال وبيان خطره على الأمة ووجوب الثبات على دين الله بإنذار نوح ـ عليه السلام ـ لقومه.

وجه الشبه: الكثرة في الإنذار والإلحاح الدائم والمستمر في بيان صفاته وذكر شدة فتنته.

وأرى في سبب اختيار نوح ـ والله أعلم ـ من بين بقية الرسل أنه من أولي العزم، وأنه من أطول الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عمراً، وإشارة إلى الإنذار وأنه كان مع أول رسالة سماوية لأهل الأرض، وأن الرسول ـ عليه السلام ـ شديد الحرص على أمته كما كان نوح ـ عليه السلام ـ شديد الحرص على هداية قومه . والله أعلم .

*** ثالثاً: آخر فتنته:**

ما ورد في قوله ـ عليه الصلاة والسلام : ((........ ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فيـ ل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتي[1] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه

---

(1) المهروذتان: ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران.

جمان[١] كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفَسِه إلاّ مات، ونفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.......)).

فالتشبيه قوله:

((......... فيقطعه جزلتين رمية الغرض ....))

جزلتين أي قطعتين حيث شبه الرجل الشاب الممتلئ بأنه كالغرض المقصود بالرمي ـ والله أعلم ـ

أما التشبيه الآخر فقوله :

((....... إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ.........))

هذا التشبيه ورد في وصف عيسى عليه السلام ـ عند نزوله من السماء .

فقد شبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما يتحدر من ماء مثل اللؤلؤ في الصفاء والبياض وقبل ذلك شبه الماء بالجُمان لشبهه به في الصفاء .وقد كان الغرض من هذه التشبيهات في هذا الحديث العظيم التقريب للأفهام والتجسيد للمعاني بالصور الحسية المعروفة.

وقد أدت هذه التشبيهات الغرض الذي سيقت من أجله، فكانت موضحةً للمعاني المرادة أبلغ توضيح .

الثّاني: التشبيهات الواردة في قصة يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج علامة عظيمة وفتنة كبيرة تأتي قبيل قيام الساعة، وقد حاولت أن أجمع الصور التشبيهية التي وردت في قصتهم في الحديث النبوي، ثم ختمت هذا المبحث بذكر ثلاثة تشبيهات جاءت لوصف الحياة الدنيا، وحقار ا، وقصر مد ا، لأن الفصل الرابع سيكون ـ بمشيئة الله ـ عن التشبيه المفرد في أحاديث الآخرة.

وقد حصرت في هذا القسم من الفتن ستة تشبيهات جاءت بياناً ووصفاً لجوانب معنوية مختلفة.

---

(1)الجمان: بضم الجيم تخفيف الميم وهي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته فسمي الماءُ جمانا لشبهه به في الصفاء.

جاء التشبيه بيان لمقدار الفتحة والثقب الذي حدث في الجدار الذي بناه ذو القرنين عليهم ، ثم جاء التشبيه الثاني لبيان سرعة إهلاكهم عن طريق إرسال النغف في رقا م، ثم بين عليه الصلاة والسلام ما يحدث لهم بعد الهلاك من إرسال طير تحملهم، ومن ثم تحملهم السيول.

أما بقية الصور التشبيهية فكانت تدور حول الحياة الدنيا التي شارفت على الفناء.

أسئلة كثيرة تطرح نفسها، ما مدة الحياة الدنيا؟ وما حقيقتها في حياة المؤمن والكافر مقارنةً بالآخرة؟.

أسئلة جاء الجواب عنها من خلال التشبيه النبوي.

فمد ا بالنسبة للآخرة قطرة من محيط، وهي جنة الكافر وسجن المؤمن.

ستة تشبيهات جاء منها تشبيهان بليغان وذلك في بيان حقيقتها بالنسبة للمؤمن والكافر.

أما بقية التشبيهات فجاءت بأسلوب التشبيه المرسل حيث تم ذكر الأداة، فجاءت ((مثل)) مرتين، كما جاءت ((الكاف)) مرتين.

فتنة يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة الكبرى، وقد أورد الله قصتهم في سورة الكهف وما فعل م ذو القرنين ، قال تعالى:

﴿قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدّا * قال ما مكّنىّ فيه ربّى خير فأعينونى بقوةٍ أجعل بينكم وبينهم ردماً * أتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتونى أفرغ عليه قِطْراً * فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾ [1].

وفي صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ بين ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما حدث في عصره لذلك الردم متخذاً التشبيه أداة لبيان مقدار تلك الفتحة في ذلك الردم، فعن زينب بنت جحش أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استيقظ من نومه وهو يقول:

---

(1)سورة الكهف آية: ٩٤ ـ ٩٧.

((لا أله إلاّ الله ويل للعرب من شر قد اقترب. فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وعقد سفيان[1] بيده عشرة ـ قلت : يا رسول الله أ لملك وفينا الصالحون؟ قال: ((نعم إذا كثر الخبث))[٢].

وفي رواية أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإ ام والتي تليها وعقد وهيب بيده تسعين))[٣].

هذا الحديث بدأ به الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ باب الفتن.

ورواية الحديث: ((عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش ،فاجتمع في هذا الإسناد أربع صحابيات زوجتان لرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وربيبتان له بعضهن عن بعض، ولا يعلم حديث اجتمع فيه أربع صحابيات بعضهن عن بعضٍ غيره))[٤].

وقد تضمن الحديث تشبيهاً لتقريب المعنى.

فالمشبه: ما فُتح من ردم يأجوج ومأجوج.

والمشبه به: المشار إليه بقوله "مثل هذه" واختلف فيها، ففي الرواية الأولى عقد سفيان بيده عشرة، وفي الرواية الثانية عقد وهيب تسعين، فرواية أبي هريرة مخالفة لأن عقد تسعين أضيق من العشرة.

قال القاضي:

((لعل حديث أبي هريرة متقدم فزاد قدر الفتحة بعد هذا القدر قال: أو يكون المراد التقريب بالتمثيل لا حقيقة التحديد)) [٥].

---

(1)هو سفيان بن عيينة أحد رواة الحديث.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٨ ـ ٣، والخبث بفتح الخاء والباء فسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: الزنا، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً، "اللسان" ٩/٤ ـ ١٢.

(3)المصدر السابق ٤/١٨.

(4)صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٨ "الهامش".

(5)المصدر السابق ٢/١٨ "الهامش".

وفي الحديث تمثيل باليد لقدر تلك الفتحة، والغرض من التمثيل للمعاني جلاّه ووضحه الإمام عبد القاهر الجرجاني في قوله :

((............ فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل، ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب ويقول: هاهو ذا فأبصره تجده على ما وصفت))[١].

والحديث يحث على العمل الصالح، ويحذّر من الغفلة التي تؤدي بصاحبها إلى مزالق الفتن، فإذا كثرت المعاصي، فإن عذاب الله قريب لذلك استفسرت أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ((أ لك وفينا الصالحون؟))فكانت الإجابة ((نعم إذا كثر الخبث)).

والحديث إيحاء إلى أن الأمة كالسفينة في بحر مظلم كلما كثر فسادها فقد أوشكت على الغرق. ويلفت الانتباه قوله عليه الصلاة والسلام : ((ويل للعرب)).

فهو أسلوب يدعو إلى أخذ الحيطة والحذر، والاستعداد بالأعمال الصالحة لأن الفتن تترا، وفي كثر ا إيذان بنهاية الدنيا وقرب يوم القيامة.

((وخص العرب بالذكر لأ م أول من دخل في الإسلام، والإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك إليهم أسرع))[٢].

وهو تشبيه مرسل فالأداة مذكورة "مثل" وهو مجمل، والغرض من التشبيه: بيان مقدار تلك الفتحة التي حدثت في ذلك الحاجز.

أما التشبيهات التي تحكي أحوال قوم يأجوج ومأجوج فهي في الرواية الطويلة التي ذُكر طرف منها في مبحث الدجال، وقد ضمت جانبا من قصة يأجوج ومأجوج مع نبي الله عيسى[٣] وسأكتفي ـ إن شاء الله ـ بذكر مواطن تلك التشبيهات.

*** التشبيه الأول:**

---

(1)أسرار البلاغة ريتر ص١٠٩.

(2)عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦٣/٢٠.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/١٨ ـ ٧١.

يبين عليه الصلاة والسلام طريقة وكيفية هلاكهم حيث يرسل الله عليهم النغف[1] في رقا م فيصبحون قتلى بسببه ، قال عليه الصلاة والسلام:

((........ فيرسل الله عليهم النغف في رقا م، فيصبحون فرسى[2] كموت نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى......))[3].

هذا الجزء من الحديث يدور حول فتنة يأجوج ومأجوج، فبعد أن يرسل الله إليهم النغف في رقا م، وهم يحاصرون عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه، يتم هلاكهم فيصبحون فرسى، أي: قتلى.

أما التشبيه في قوله: ((فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة)).

فقد شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفا م وقتلهم جميعاً بوفاة وقتل نفس واحدة.

وجه الشبه: السرعة في كلٍ مع كثر م.

والغرض بيان سرعة وشمول ذلك الهلاك الذي حلّ م.

وهذا تشبيه مرسل وردت فيه أداة التشبيه "الكاف" ووجه الشبه محذوف فهو تشبيه مجمل.

وبعد أن يتم هلاكهم لا يجد نبي الله عيسى وأصحابه في الأرض موضع شبر ألاّ ملأه زهمهم (دسمهم) وروائحهم الكريهة فيدعون الله، فيرسل ـ سبحانه ـ طيراً كأعناق الإبل فتحملهم فتطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل ـ سبحانه ـ مطراً لتنظيف الأرض منهم.

انتهت الحياة الدنيا وذهب المؤمنون وبقي شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة، فكيف مرت هذه الأعمار وهذه الأمم ؟ فترةٌ زمنيةٌ قدر وقتها العليم الخبير، إ ا الدنيا أحسن فيها المحسن وأساء فيها المسيء ، ما صورة هذه الحياة الدنيا في الحديث النبوي؟

فقد ورد في صحيح مسلم عدة أحاديث ولكن الذي يهمنا في هذا الفصل حديث بين من خلاله عليه الصلاة والسلام حقيقة الدنيا.

---

(1)النغف: بنون وغين معجمة مفتوحتين، ثم فاء وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة.

(2)الفرسى: بفتح الفاء مقصور أي: قتلى، واحدهم فريس.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/٧٠ـ ٧١.

فهو بيان لحال المؤمن في الدنيا وحال الكافر ـ كذلك ـ فيها، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[١].

هذا هو المؤمن في الدنيا مسجون، ممنوع في الدنيا من الشهوات التي تغضب الله ـ سبحانه وتعالى ـ مطلوب منه الطاعة لله واتباع رسوله، فهو ملْك لأوامر الله، وأوامر رسوله، فإذا مات أُطلق سراحه وخرج من الدنيا إلى النعيم الأبدي، إلى جنة عرضها السموات والأرض، أما الكافر أو العاصي فهو مطلق السراح لا يحكمه شرع، يتخبط في براثن المعاصي المحفوفة بالمنغصات والمكدرات، فإذا مات انتقل إلى العذاب الأليم .

فالدنيا سجن المؤمن إذا قُورنت بما سيلقاه من نعيم في الآخرة، والدنيا جنة الكافر إذا قُورنت بما سيلقاه في الآخرة من النكال والعذاب الدائم الأليم .

والحديث تشبيه ((الدنيا سجن المؤمن ـ وجنة الكافر)).

فهما تشبهان بليغان، ثم حذفت الأداة ووجه الشبه.

والغرض بيان حقيقة الدنيا وتحقيرها.

والحديث إرشاد للمؤمن وبيان لحقيقة الدنيا، وما يجب عليه نحوها من عدم الانقياد لمغريا ا ولذائذها ليطمئن قلبه ، ويرتاح جسده في ظل العبودية لخالقه ومولاه.

والمؤمن عبد الله، محكوم بشرعه فكأنه في سجن لا حرية له، والكافر والعاصي عبد للشيطان ولنفسه الأمارة بالسوء، فهو منفذ لكل ما يمليانه عليه من فسق وفجور ولا يمنعه مانع.

الفصل الثالث:

التشبيه المفرد في موضوعات متفرقة:

في هذا الفصل حاولت جاهداً أن أحصر عدداً من الصور في مبحث واحد لوجود علاقات بينها، وقد حصرت التشبيهات المفردة في هذا الفصل في أربعة مباحث، تناولت في الأول التشبيهات التي وردت في روايات قصة الإسراء والمعراج، من وصف للعالم العلوي،

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٩٣/١٨.

وأوصاف بعض الأنبياء عليهم السلام، والمبحث الثاني سأورد فيه التشبيهات الواردة في مرضه عليه الصلاة والسلام بالسحر، والمبحث الثالث عن الزواج وما يتعلق به من أمور، أما المبحث الرابع فمجوعة من الصور المتفرقة التي لم أجد لها عنواناً أصنفها فيه.

١ - المبحث الأول:

التشبيهات الواردة في **قصة الإسراء والمعراج:**

الإسراء والمعراج معجزة من معجزات الرسول - عليه الصلاة والسلام - الدالة على نبوته،وقد ورد في هذه القصة وصف لخمسة أشياء كان التشبيه سبيل البيان عنها، يبين فيها عليه الصلاة والسلام مقدارأوراق وثمر سدرة المنتهى، ثم وصف النار - عليه الصلاة والسلام - عددا من الأنبياء وهم موسى وعيسى وإبراهيم عليه السلام، ثم بين عليه السلام وصفاً تقريبيا لجبريل - عليه السلام - إذا أتى إلى الرسول - عليه السلام - في صورة البشر.

معان غيبية جلاّها لنا التشبيه في صورة محسوسة؛ ستة تشبيهات جاءت مرسلة مجملة في هذه القصة تنوعت فيها أدوات التشبيه، أولها ((الكاف)) وردت مرتين في وصف سدرة المنتهى، ووردت ((كأن)) في وصف موسى عليه السلام، أما الأداة الثالثة ((شبها)) فقد وردت ثلاث مرات ولأول مرة تأتي هذه الأداة.

وهناك سؤال في اية هذا المبحث يطرح نفسه وهو لماذا تم اختيار هؤلاء الأنبياء دون غيرهم؟

وستتم الإجابة - إن شاء الله - في اية المبحث.

وسأبدأ أولاً بذكر حديث الإسراء والمعراج كاملاً ثم نعقب بعده بالحديث عن التشبيهات الواردة فيه.

عن أنس بن مالك أن رسول اله - صلى الله عليه وسلم - قال:

((أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس،قال: فربطته بالحلقة التي يربط ا الأنبياء،

قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل - عليه السلام - بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل - عليه السلام - : اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففُتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل - عليه السلام - فقيل: من أنت؟ قال:جبريل. قيل:ومن معك؟ قال: محمد قيل:وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا - صلوات الله عليهما - فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد - صلى الله عليه وسلم - قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بيوسف - صلى الله عليه وسلم - إذا هو قد أُعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل - عليه السلام - قيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قال: وقد بعث إليه،قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس ودعا لي بخير. قال الله عز وجل: ((ورفعناه مكاناً عليا))، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا ارون - صلى الله عليه وسلم - فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل - عليه السلام - قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففُتح لنا، فإذا أنا بموسى - صلى الله عليه وسلم - فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال:محمد - صلى الله عليه وسلم - قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففُتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم - صلى الله عليه وسلم - مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال. قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما

أوحى، ففرض علي خسمين صلاة في كل يوم وليلة، فـ لت إلى موسى ـ صلى لله عليه وسلم ـ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبر م، قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يارب خفف على أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمسا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي ـ تبارك وتعالى ـ وبين موسى ـ عليه السلام ـ حتى قال: يا محمد إ ن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن علمها كُتبت له عشرا، ومن هم بسيئة، فلم يعملها لم تكتب له شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فـ لت إلى موسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه)) [(١)].

الحديث شرح لقصة الإسراء والمعراج، وقد تعددت رواياته فاكتفيت ـذه الرواية لأمرين:

الأول: أ ا أقصر رواية أورداها الإمام مسلم،وقد افتتح ا الباب.

الثاني: أن التشبيهات الواردة فيها هي الواردة في بقية الروايات.

وقد تضمن هذا الحديث عددا من التشبيهات التي سنفصل القول فيها.

وصف سدرة المنتهى:

((... ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال)). فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشبه ورق سدرة المنتهى بآذان الفيلة في كبر حجمها وشكلها، ثم يشبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثمر تلك السدرة بالقلال، والقلّة جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر، ووجه الشبه بين الطرفين الضخامة في الحجم، وقد جاء في بعض الروايات ((مثل قلال هجر)) وهي مشهور العظَم.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٣/٢ ـ ٢١٥.

والتشبيهان مرسلان، فالأداة موجودة ((الكاف)) ومجملان لأن وجه الشبه محذوف، والطرفان حسيان.

والغرض من التشبيه تقريب صورة المشبه واستحضارها، فالسامع للحديث لا شك أنه يتبادر إلى ذهنه ((آذان الفيلة أو القلال)) فكأ م يشاهدون صورة سدرة المنتهى، والتشبيه جسد هذا الأمر الغيبي بتقريب صورته من خلال أمر محسوس وهو الآذان والقلال. ((وسميت بسدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل: سميت بذلك لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله والله تعالى أعلم))[١].

*** وصف الأنبياء:**

عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((عرض علي الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فإذا أقرب من رأيت له شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم (يعني نفسه) ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية، وفي رواية ابن رمح دحية بن خليفة [٢].

هذا الجزء من الحديث يحكي بعض ما رآه صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج، وهو يدور حول أوصاف بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكان هدفه من ذلك تقريب صورهم للصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فشبههم بأناس يعرفو م.

أولاً: صورة موسى عليه السلام:

لقد تحدث ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن موسى ونعته بعدة صفات تجليه من غيره، حيث يقول عليه الصلاة والسلام في الرواية الأولى:

((... فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة)).

وفي رواية:

---

(1)أثر التشبيه في تصوير المعنى د. عبد الباري طه ص: ٣٦.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣١/٢ ـ ٢٣٢.

((موسى آدم طوال كأنه من رجال شنوءة)) [١].

وفي رواية أخرى:

((مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة)) [٢].

الضرب من الرجال:

((هو كل الرجل بين الرجلين في كثرة اللحم وقلته أي الذي له جسم بين جسمين ليس بالضخم ولا الضئيل وهذه صفة محمودة)) [٣].

والأدمة: السمرة، والجعد: جعودة الجسم وهو اكتنازه فهو قريب من (ضرب)، أما شنوءة: فهي قبيلة معروفة، ومنه أزد شنوءة وهم حي من أحياء اليمن.

قال ابن قتيبة:

((أزد شنوءة، من قولك: رجل فيه شنوءة، أي تقزز، ويقال: بل سموا بذلك لأ م تشانأوا وتباعدوا)) [٤].

وجاء في اللسان في مادة ((شنأ)).

((والشنوءة علىوزن فعولة: التقزز من الشيء؛ وهو التباعد من الأدناس، ورجل فيه شنوءه أي تقزز، فهو مرة صفة ومرة اسم، وأزد شنوءة قبيلة من اليمن ...)) [٥].

وفي أساس البلاغة:

((ورجل)) شنوءة: يتقزز من كل شيء))[٦].

تدور كلمة شنوءة حول التقزز والترفع عن الدنايا والأدناس والأقذار، وهو المعنى المراد هنا في وصف موسى ـ عليه السلام ـ وإذا أخذنا ما يهمنا في هذا الحديث وهو

---

(1)المصدر السابق ٢٢٦/٢.

(2)المصدر السابق٢٢٧/٢.

(3)ينظر: المفهم شرح صحيح مسلم ٤١٠/١.

(4)"أدب الكاتب" ابن قتيبة ص: ٦٣.

(5)"لسان العرب" لابن منظور مادة "شنأ" ص٢٣٣٥.

(6)"أساس البلاغة" للزمخشري ص٢٤٢ طبعة دار المعارف.

التشبيه، نجد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شبه موسى ـ عليه السلام ـ فقال: ((كأنه من رجال شنوءة)) والجامع بينهما التقزز أي الترفع والتباعد من الأدناس وكيفية الخلقة أو الطول بالذّات، ويؤيد هذا الوجه ما أورده البخاري في إحدى رواياته للحديث، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((... وأما موسى فآدم جسيم سبطٌ كأنه من رجال الزط)) [1].

والزط: بضم الزاي وتشديد الطاء المهملة جنس من السودان طوال، والجسامة: قيل كما تكون في الشخص باعتبار السمن تكون فيه ـ أيضاً ـ باعتبار الطول، ولهذا قال: كأنه من رجال الزط [2].

فالروايتان عند مسلم والبخاري تؤيدان صفة طوله عليه السلام.

ولم يحدد لنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واحداً من أفراد تلك القبيلة، لأن تلك الصفة وهي البعد عن الأدناس والأقذار متوفرة موجودة في أي واحد منهم.

والطرفان حسيان فهو تشبيه محسوس بمحسوس.

والأداة مذكورة ((كأن)) وما توحي به من قوة التشابه في الصفة فهو مرسل، ومجمل لحذف وجه الشبه.

ثانياً: صورة عيسى ـ عليه السلام ـ :

قال صلى الله عليه وسلم:

((ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود)).

والمراد بعروة هنا هو عروة بن مسعود الثقفي وهو رجل معروف في الجاهلية وصدر الإسلام، وهناك روايات أخرى تبين بعض الميزات والصفات الخلقية لعيسى ـ عليه السلام ـ ففي رواية:((ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس)) [1].

---

(1)"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" ٨٥/١٣.

(2)المصدر السابق ٨٦/١٣.

وفي رواية:

((ورأيت عيسى فإذا رجلٌ ربعةٌ أحمر كأنما خرج من ديماس)) [٢].

فإذا أخذنا معاني المفردات اتضحت لنا الصورة وقربت إلى الأذهان، فقوله:

جعد: المراد جعودة الجسم، وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر لأنه في إحدى الروايات المتقدمة ذكر أنه (سبط الرأس) والشعر السبط المسترسل ليس فيه تكسر.

المربوع: هو الرجل بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقير.

أحمر: وصف للون، وبعض الروايات بأنه آدم[٣]، والآدم الأسمر، فلا يكون المراد حقيقة الحمرة وحقيقة الأدمة بل ما يتوسطهما والله أعلم.

قوله: ((كأنما خرج من ديماس)).

الديماس: قيل هو السرداب، وقيل: هو الكن، وفسره الراوي في صحيح مسلم بالحمام[٤].

وأرى أنه شبه بذلك بسبب ما يعلوه من نضارة وحيوية ونعومة في الوجه وصفاء.

فالتشبيه مرسلٌ لأن الأداة مذكورة ((كأنه)) وتشبيه مجمل لحذف وجه الشبه.

والطرفان حسيان.

ثالثاً: صورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ:

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((ورأيت إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم (يعني نفسه).

أي إن الوحيد الذي يشبه إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والروايات الأخرى تؤيد هذا:

((وأنا أشبه ولد إبراهيم به)) [١].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٢٧.

(2)المصدر السابق ٢/٢٣٢.

(3)المصدر السابق ٢/٢٣٣.

(4)المصدر السابق ٢/٢٣٣.

وفي رواية:

((...وإذا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم ((يعني نفسه)) [٢].

فقد شبه إبراهيم ـ عليه السلام بنفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الشكل الخارجي وما حباه الله له من أخلاق حسنة.

رابعاً : صورة جبريل عليه السلام:

ومن ضمن ما وصف عليه الصلاة والسلام من الشخصيات جبريل عليه السلام فقال: ((ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت شبهاً به دحية)) وفي رواية ابن رمح ((دحية بن خليفة)).

وكان هذا التشبيه عندما يأتي جبريل عليه السلام إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صورة البشر.

والغرض من التشبيه في جميع التشبيهات التي سبقت في أحاديث الإسراء والمعراج هو البيان والتوضيح بالصورة الحسية وتقريب المشبهات للسامعين.

ونستنتج من هذه الأحاديث أن الغرض يدل دلالة واضحة على أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رأى هذه المشبهات رأي العين وكان في لقائه م وكان وصفه لهم عن روية وتأن وتأمل.

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو:

لماذا اختار عليه الصلاة والسلام هؤلاء الأنبياء دون غيرهم؟

فأرى ـ والله أعلم ـ أن السبب لأ م أقرب الأنبياء إلى العرب وإلى البعثة المحمدية، ووجود يهود بالمدينة ونصارى بنجران.

---

(1)"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" ٢٩/١٣.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٣٣٨/٢.

وفي اتخاذ التشبيه طريقاً وسبيلاً للتعريف م ووصفهم حكمة - والله أعلم - أي أ م لم يفضلوا البشر بأشكالهم وأجسادهم، وإنما كانت الميزة ما احتوته قلو م ووعته عقولهم من الحكمة وما قاموا به من جهاد ودعوة إلى الله.

٢- المبحث الثاني:

التشبيهات الواردة في **مرضه عليه الصلاة والسلام:**

السحر أمر ثابت له حقيقة كحقيقة غيره، وقد حرم الإسلام السحر، وجلعه من السبع الموبقات، وجزاء الساحر القتل، والمسحور يتصرف تصرفات خارجه عن إرادته، ولم يسلم الرسول صلوات ربي وسلامه عليه - من هذا الأمر - ولله حكمة - فقد سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، تم سحر بصره عليه الصلاة والسلام فيخيل إليه أشياء لم يفعلها، ولم يتطرق السحر إلى عقله وهذا مذهب أهل السنة.

وقد ورد في هذه القصة تشبيهات وصف من خلالها بستان بني زريق - وهو بستان من بساتين اليهود في المدينة كان مهجوراً - وقد وصف بأمرين هما:

الأول: كان الوصف لماء البئر، وما يتصف به من تغير اللون لأن؛ الماء قد اختلط بأوراق الشجر والأعواد الميتة، وهذا دليلٌ على عدم استخدام ذلك الماء وبقائه في البئر مدة طويلة.

الثاني: كان الوصف للنخل المتبقي على تلك البئر - بئر أروان - وما يتصف به من بشاعة المنظر.

وهذان التشبيهان مرسلان لورود الأداة ((كأن)) فيهما، وهي تبين وتوضح ما بين الطرفين قوة المشا ة.

ومجملان لأن وجه الشبه محذوف، وهذان يصوران قبح المكان وبشاعة منظره لا سيما وأن التشبيهين قد سبقا بقسم.

((يا عائشة والله لكأن ...)).

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يهودي من يهود بني رزيق يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله - صلى

الله عليه وسلم ـ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم دعا ثم دعا ثم قال:

((يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفيته فيه، جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب[١]، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيءٍ؟ قال: في مشط ومشاطة[٢] قال: وجف[٣] طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان[٤]، قالت: فأتاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أناس من أصحابه، ثم قال:

((يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة[٥] الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشاطين)) قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته، قال: ((لا أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت ا فدفنت)) [٦].

ورد هذا الحديث في باب السحر، ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء أن السحر ثابت وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافًا لمن أنكر ذلك، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم فقال:

﴿واتّبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشيطين كفروا يعلمون الناس السحر ومآ أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه،وما هم

---

(1)مطبوب: مسحور.

(2)المشاطة: بضم الميم وهي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه.

(3)جف: بالجيم والفاء وفي رواية بالجيم والباء،وهو وعاء طلع النخل وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى؛ ولذا قيده هنا في الحديث بطلعة ذكر ...

(4)بئر ذي أروان: هي بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

(5)النقاعة: بضم النون الماء الذي ينفع فيه الحناء.

(6)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٤/١٤ ـ ١٧٨.

بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ...﴾ [١].

السحر من أكبر الكبائر وهو من السبع الموبقات، والحديث عن قضية السحر يحتاج إلى وقت وليس مجال الدراسة بصددها بل يهمنا أن نقف عند التشبيهات المتعلقة بمرضه عليه الصلاة والسلام.

وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل في البصر لا لخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة)) [٢].

وقد ورد في هذه القصة تشبيهات في قوله عليه الصلاة والسلام في وصف بئر أروان: ((والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين)).

فالتشبيه الأول قوله:

((والله لكأن ماءها نقاعة الحناء))

فقد شبه عليه الصلاة والسلام ماء بئر أروان في تغير لونه إلى الحمرة لما اختلط به من الشوائب بنقاعة الحناء.

والغرض من التشبيه بيان مقدار تغير لون ماء البئر.

والتشبيه يدل على أن تلك البئر لا يؤخذ ماؤها وأ ا مهجورة مما أدى إلى تغير لون الماء فيها، فهو تشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة ((كأن)) ومجمل والطرفان حسيان.

أما التشبيه الثاني فقوله:

((ولكأن نخلها رؤوس الشاطين))

فهذه رواية مسلم أما رواية البخاري فهي((كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين)) [٣].

فالمشبه: النخل ((رؤوس النخل)).

---

(1)سورة البقرة آية: ١٠٢.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٥/١٤ "الهامش".

(3)عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٤٢٠/١٧.

والمشبه به: رؤوس الشياطين.

وجه الشبة: بشاعة المنظر وقبح الصورة، والتشبيه مرسلٌ ومجمل.

والغرض البلاغي من هذا التشبيه: تقبيح صورة النخل وأن المزرع مهجور بدلالة شكل النخل وتغير لون الماء.

وقد قيل:

((والعرب إذا قبحت مذكرا شبهته بالشيطان، وإذا قبحت أنثى أشبهتهابالغول)) [1].

فالشيء القبيح يشبه برؤوس الشياطين، قال تعالى في حديثه عن شجرة الزقوم:﴿طلعها كأنّه رؤوس الشياطين﴾ [2].

فالبلاغيون يجعلون مثل هذه التشبيهات في كلام البشر من قبيل التشبيه الوهمي، وأرى أن هذه التشبيهات في القرآن الكريم والحديث الشريف من التشبيه الحقيقي ـ والله أعلم ـ الثابت في المخيلة.

ونلحظ التأثر النبوي بالقرآن الكريم والاستفادة من صوره البديعة.

وبقية تشبيهات هـذا المبحث تمثيلية وسيأتي بيا ا في مكا ا من الدراسة إن شاء الله.

المبحث الثالث:

التشبيهات الواردة في أحاديث الزواج وما يتعلق به:

الزواج سنة من السنن التي رغّب فيها الإسلام، لما في ذلك من الحفاظ على النسل البشري بطريق حلال، وجعل ـ سبحانه ـ بين الزوجين مودةً ورحمة وأوجب لكل واحد حقوقاً وواجبات.

---

(1)المصدر السابق ٤٢٢/١٧.

(2)سورة الصافات آية: ٦٥.

وقد أورد الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ عدداً من الأحاديث المبينة لهذا الموضوع، وقد وجدت سبعة أحاديث تناولت صورا تشبيهية مختلفة الجوانب لأغراض جاء التشبيه من أجلها.

فالصيام له أثر عظيم لمن لم يستطيع الزواج، كما بين عليه الصلاة والسلام حقيقة العزل، وحقيقة الدنيا، وأ ا متاع أفضل متاعها المرأة الصالحة، كما بين حقيقة المرأة وأ ا ضلع أعوج يجب مسايرته والتلذذ به على هيئته، ثم حذر عليه الصلاة والسلام من الدخول على النساء الأجانب وأن الخطر عظيم إذا كان حموا ـ وهم أقارب الزوج ـ فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه الموت ـ أي الحمو ـ وأخيراً بين عليه الصلاة والسلام ما يقوم به عليه من حب، وعطف، ونفقه، وحسن معاشرة لزوجه أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وأنه يعاملها كما عامل أبو زرع أم زرع.

سبع صور تشبيهية بينت سبعة معان وقد جلاّها التشبيه وكشفها وأبرزها في أمور محسوسة، وهذه المعاني جاءت على النحو التالي:

أربع صور جاءت عن طريق التشبيه البليغ (فإنه له وجاء)، ((ذلك الوأد تخفي))، ((الدنيا متاع))، ((الحمو الموت)).

أما الصور الثلاث الباقية فجاءت مرسلة حيث ربط بين الطرفين بأداة التشبيه ((الكاف)) وهي تشبيهات مجملة لأنه تم حذف وجه الشبه.

ونجد أنه ورد مشبه واحد اختلف المشبه به، فقد جاء في مبحث الصيام السابق أن الصيام جنة، وهنا نجد أنه وجاء. فهو جنة من جميع الشرور والفتن، ووجاء عن الوقوع في الحرام فالأخير خاص والأول عام.

*** الترغيب في الزواج:**

عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة[١] ، فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء[٢])) [٣].

هذا حديث يرغب الشباب في الزواج، ويذكر منافع الزواج العائدة على المتزوج إذا كان مستطيعاً على ذلك الزواج وما يترتب عليه،وقد أمر الله ـ تعالى ـ بالزواج، قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم إلا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ [٤].

والاستطاعة هي القدرة الجسدية والمادية، فمن كان ضعيف القدرة، فليلجأ إلى الصوم، فإنه كابح لزمام الشهوة، وقاطع للشرور، ومغلق لأبواب الوساوس الشيطانية.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

((فإن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))

فالصوم وجاء، تشبيه نبوي بليغ حذفت الأداة، وحذف وجه الشبه، والمشبه به خبر للمبتدأ فكأن الخبر هو المبتدأ في الصفة.

فقد شبه عليه الصلاة والسلام الصوم في قطع الشهوة وإضعافها وتضيق مداخل الغريزة بالوجاء، وهو رض الخصيتين للذّكر.

ويمكن اعتبار ((فإنه له وجاء)) من باب الحقيقة، وأرى أنه تشبيه بليغ الغرض منه توضيح حال المشبه وهو الصوم في كونه يدفع الشهوة ويقطع السوء كما يفعله الوجاء. ولو تأملنا الضمير في ((له)) فهو عائد إلى الإنسان الذي لم يستطيع الزواج، وقد جعل الصوم وجاءً له، وهو وجاء لشهوته فلم يذكر الشهوة وذكر الإنسان كلّه، وفي هذا لفتة ودلالة على أن الصيام كابح ومانع ومتحكم في جميع أنواع الشهوات وأصناف الـ وات فهو ممحص للأخلاق ومبعد عن الرذائل.

---

(1)الباءة: اختلف العلماء في معناها، فقيل: الجماع، وقيل: مؤن الزواج... "الهامش" ١٧١/٩.

(2)الوجاء: بكسر الواو وبالمد وهو رض الخصيتين.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧١/٩ ـ ١٧٢.

(4)سورة النساء الآية: ٣.

وقد سبق بيان هذه اللفته في قوله عليه الصلاة والسلام ـ ((الصوم جنة)).

*** حكم العزل:**

عن جدامة بنت وهب أخت عكّاشة قالت: حضرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أناس وهو يقول:

((لقد هممت أن أ ى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً)) ثم سألوه عن العزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ذلك الوأد الخفي)) زاد عبد الله في حديثه عن المقري وهي ﴿وإذا المؤودة سئلت﴾[1] .

هذا حديث يبين فيه عليه الصلاة والسلام جواز وطء المرضع وكراهة العزل، والغيل أن يجامع الرجل امرأته وهي مرضع، والوأد دفن البنت وهي حية، وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية خشية الفقر أو العار، فحرم ذلك الإسلام، قال تعالى:

﴿وإذا الموءدة سيلت، بأى ذنب قُتلت﴾ [2].

أما العزل بالزاي هو أن يجامع الرجل، فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج، فعندما سئل عليه الصلاة والسلام عنه قال:

((وذلك الوأد الخفي))

فالمشبه : العزل.

والمشبه به: الوأد.

وجه الشبه: تفويت الحياة ووصفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخفي ليظهر لنا الفرق بين العزل والوأد.

وقد يكون ذلك حقيقة.

وأرى أنه من باب التشبيه البليغ الذي حذفت فيه الأداة وحذف وجه الشبه.

قال ابن الأثير معقباً على هذا الحديث:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/١٦ ـ ١٧.

(2)سورة التكوير آيات : ٨ ـ ٩.

((وهذا تشبيه بليغ، والوأد هو ما كانت العرب تفعله في دفن البنات أحياء، فجعل العزل في الجماع كالوأد إلا أنه خفي، وذاك أ م كانوا يفعلون ذلك هربا منهن، وهكذا من يعزل في الجماع فإنما يفعل ذلك هرباً من الولد.

وكذلك قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((هو الوأدة الصغرى)) وهذا من الحس إلى غاية تغض لها العيون طرفها، ولا ينتهي الوصف إليها فيكون ترك وصفها كوصفها...)) (١).

أما سبب تسميته وأداً خفياً ((فلأن الرجل إنما يعزل عن امرأته هرباً من الولد وحرصاً على أن لا يكون، فجرى قصده ونيته وحرصه على ذلك مجرى من أعدم الولد بوأده لكن ذالك وأد ظاهر من العبد فعلاً وقصداً، وهذا وأد خفي إنما أراده ونواه عزماً ونيةً فكان خفياً...)) (٢).

وقد بين عليه الصلاة والسلام أمر العزل بطريق التشبيه له بالوأد، والصحابة عاشوا في العصر الجاهلي ويعلمون بشاعة هذا الأمر وخطره النفسي والاجتماعي.

*** المرأة الصالحة خير متاع:**

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((الدنيا متاع(٣) ، وخير متاعها المرأة الصالحة)) (٤).

فالحديث يبين حقيقة الدنيا، وأ ا متاع، وأن خير متاعها المرأة الصالحة، وأن الدنيا سريعة الفناء والزوال كما قال تعالى :

﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً﴾ (5).

وخير ما يتمتع به المرء في الدنيا المرأة الصالحة لأ ا معينة على أمور الآخرة.

قال الطيبي:

---

(1)المثل السائر ١٥١/٢.

(2)ينظر: " ذيب سنن أبي داود" ابن القيم، تحقيق أحمد شاكر ١٣٩٩هـ ـ ٨٥/٣.

(3)المتاع: كل شيء ينتفع به ويتزود ويتبلغ به، والفناء يأتي عليه في الدنيا "اللسان مادة متع".

(4)صحيح مسلم بشرح النووي ٥٦/١٠.

(5)سورة النساء آية: ٧٧.

((وقيد الصالحة إيذانٌ بأ ا شر لو لم تكن على هذه الصفة)) [١].

فالمشبه: الدنيا.

المشبه به: المتاع.

وجه الشبه: سرعة الزوال والتمتع والانتفاع ا.

والغرض من التشبيه: التحذير من الدنيا فمن أراد ا خيرا كانت له متاع بلاغ للآخرة، وخير معين فيها المرأة الصالحة، ومن طلبها لذا ا فهي الهلاك المترتب عليه خسارة الآخرة وأ ا له متاع غرور.

وقد وصف ـ سبحانه ـ الدنيا بقوله: ﴿وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور﴾[٢].

فتأثره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقرآن واضح والاستفادة من صوره.

قال الزمخشري في هذه الآية:

((شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلّس به على المستام ويغر حتى يشتريه، ثم يتبين له فساده ورداءته، والشيطان هو المدلس الغرور، وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة ا فإ ا متاع بلاغ)) [٣].

وإذا تأملنا الفرق بين الآية والحديث نجد أن الله ـ تعالى ـ قيد المتاع بالغرور لأن الحديث كان عن ذم الانشغال بالدنيا، أما الحديث فقد جاءت الصورة فيه في سياق الحث على طلب الخير في الدنيا فذكر أفضل متاعها المؤدي إلى النجاة في الآخرة، فرغب في الزوجة الصالحة، لأ ا خير معين لزوجها بالنصح والإرشاد وغير ذلك من صفات المؤمنات اللآتي يرجين رضا الله بطاعة أزوجهن في غير معصية.

والتشبيه في الحديث والآية تشبيه بليغ محذوف الوجه والأداة.

*** حقيقة المرأة:**

---

(1)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح على قاري ٢٦٥/٦ مكتبة رشيدية. باكستان.

(2)سورة آل عمران آية: ١٨٥.

(3)تفسير ((الكشاف)) للزمخشري ٤٨٦/١.

ومع أن خير متاع الدنيا المرأة الصالحة،فقد بين عليه الصلاة والسلام أن المرأة تختلف عن الرجل فهي أكثر منه نقصا، وأن ذلك النقص من سنن الله.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

((المرأة كالضلع إذا ذهبت تقيمها كسر ا،وإن تركتها استمتعت ا وفيها عوج))[1].

إ ا سنة من سنن الله يجب على المؤمن التسليم والانقياد لأمر الله، فالزواج أمر شرعه الله ورغّب فيه، وعلى المؤمن أن يرضى بما قسم الله له، وعليه - كذلك - أن يصبر إن رأى غير ما يريد قال تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيراً﴾[2].

فوجب الصبر عليهن امتثالاً لأمر الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر))[3].

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يشبه المرأة بالضلع بجامع الانحناء والاعوجاج، وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى وجه الشبه فقال: ((إذا ذهبت تقيمها كسر ا وإن تركتها استمتعت ا وفيها عوج)).

فحال المرأة مع زوجها في صعوبة إقامتها على ما يريد مع احتفاظها بتلك الحال التي خلقها الله عليها يشبه حال الضلع في استعصائه على الاستقامة لمن أراد أن يقيمه.

وأن المنفعة كامنة في أخذه على ما خلق الله، ومحاولة تقييمه لا تنتهي إلا بكسره، ومحاولة تعديل تصرفات وسلوكيات المرأة لا تنتهي إلا بالطلاّق.

فهذا ((تشبيه رائع يبين أن العوج في المرأة لا مفر منه، فمن رضي بما قسم الله له منها استمتع وسر، ومن أراد أن يعارض سنة الله في خلقه ويحاول تقويم العوج استحال عليه أن يعيش معها، وكان الطلاق))[1].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٥٦/١٠ ، والضلع: مفرد وجمعه أضلع وأضالع وأضلاع وضلوع ينظر: اللسان. مادة (ضلع).

(2)سورة النساء الآية: ١٩.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ٥٨/١٠.

فالتشبيه يفيد أن الإنسان يقنع بحال امرأته فيستمتع ا على تلك الحال، ويصبر عليها ويلاطفها ويحسن إليها ويعلم أ ا ناقصة عقلاً وديناً.

وفي الحديث إشارة إلى خلق أمنا حواء ـ عليها السلام ـ فقد خلقت من أعوج ضلع من أضلاع أبينا آدم ـ عليه السلام ـ وهو الضلع الأعلى، فلا يستطيع أحد أن يغيرهن مما جبلت عليه أُمهن.

التحذير من الدخول على النساء:

في سياق التحذير من الاختلاط يبين عليه الصلاة والسلام خطر الدخول على النساء، فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((إياكم والدخول على النساء)) قال رجل من الأنصار : يارسول الله افرأيت الحمو[٢]؟ قال: ((الحمو الموت)) [٣].

إنه تحذير عظيم من الدخول على الأجنبيات اتخذ أسلوب التحذير ((إياكم)) طريقاً لبيان شدة النهي، ثم يريد رجل من الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ أن يستفتي في الحمو (أقارب الزوج) فكان الجواب الجامع الشامل البليغ الموجز ((الحمو الموت)).

أي دخوله كالموت مهلك، يعني الفتنة منه أكثر لمساهلة الناس في ذلك، وهذا على حد الأسد الموت والسلطان النار،أي:قر ما كالموت والنار،فليحذر منه كما يحذر من الموت.

قال أبو عبيد: معناه فليمت ولا يفعل ذلك، أو خلوة الرجل مع الحمومة يؤدي إلى زناها على وجه الإحصان فيؤدي ذلك إلى الرجم)) [٤].

وقال القاضي عياض:

((معناه الخلوة بالأحماء مودية إلى الفتنة والهلاك في الدين فجعله كهلاك الموت)) [١].

---

(1)التصوير الفني /٥٥٣.

(2)الحمو: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٣/١٤.

(4)مرقاة المفاتيح ٢٧٨/٦.

قال الطيبي ـ رحمه الله ـ :

((فأن قلت: أي فرق بين الإخبار والدعاء؟ قلت: في الإخبار أداة التشبيه ووجهه مضمر أي: الحمو كالموت في الشر والضرر، وفي الدعاء إدعاء أن الحمو نوعان:

متعارف وهو القريب، وغير متعارف وهو الموت، فطلب لها غير المتعارف لما استفتى الرجل عن المتعارف مبالغة ...)) [٢].

والحمو أشد خطراً من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه، وهذا هو المراد بالموت.

فقد عقد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تشبيهاً بليغاً حين شبه الحمو ((أقارب الزوج)) بالموت بجامع الشر والضرر والهلاك.

والغرض من هذا التشبيه التحذير والتخويف من الدخول على الأجنبيات.

فالحمو موت وهي جملة توحي بكل ما يوحي به الموت وما يجب أن نحذره ونحتاط منه، وفي هذا براعة في اختيار المشبه به الذي هو بمثابة العلاج لهذا الداء الذي تفاقم حجمه في ا متعات التي بلغت من التقدم والرقي مبلغاً عظيماً.

*** صور من حسن معاشرة الرسول عليه السلام لأهله:**

وفي ذكر حسن المعاشرة بين الزوجين، ورحمته وحسن معاشرته لأهله عليه الصلاة والسلام حديث يبين هذا كله، فعن عائشة أ ا قالت: جلس إحدى عشرة امرأةً، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ... قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع؟ أناس من حلى أُذني، وملأ من شحم عضدي، وبحجني فبحجت إلي نفسي، وجدني في أهل غُنيمة بشق فجعلني في اهل صهيل وأطيط ودائسٍ ومنق، فعنده أقوال فلا أُقبح وارقد فأتصبح وأشرب فأتقنح....

---

(1)هامش صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٤/١٤.

(2)مرقاة المفاتيح ٢٧٩/٦.

قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأةً معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني، ونكحها، فنكحت بعده رجلاً ثريا يركب شريا وأخذ خطيا وأراح علي نعما ثريا، وأعطاني من كل رائحة زوجاً قال : كلي أم زرع وسيري أهلك، فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع، قالت عائشة: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((كنت لك كأبي زرع لأم زرع)) [١].

هذا الحديث مشهور بحديث أم زرع لأ ا أكثر النساء حديثاً فيه عن زوجها، أما قولها: (أناس من حلي أُذني) أي: حلاّني قرطة وشنوفاً فهي تنوس أي تتحرك لكثر ا.

(وملأ من شحم عضدي) أي: أسمنني وملأ بدني شحماً.

(وبجحني فبحجت إليّ نفس) أي:فرحني ففرحت، وعظمني فعظمت في نفسي...

(وجدني في أهل غُنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق) أي وجدها وكان أهلها أهل غنم لا إبل ولا خيل لديهم، والصهيل صوت الخيل، والأطيط صوت الإبل وحنينها، والعرب لا يعتدون بأصحاب الغنم، أما قولها (بشق) فاسم موضع، والدائس الذي يدوس الزرع في بيدره، والمنق أصوات المواشي الكثيرة [٢].

الحديث طويل جدا، وفيه الحث على حسن معاشرة النساء، وقد أوصى عليه الصلاة والسلام ن في أحاديث كثيرة، وقد أوصى ن سبحانه قال تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾[٣].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لنسائهم)) [٤].

وحديث أم زرع إيراده لتضمنه تشبيهاً وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام مخاطباً أم المؤمنين عائشة: ((كنت لك كأبي زرع لأم زرع)).

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٢/١٥ ـ ٢٢٢.

(2)المصدر السابق ٢١٧/١٥ ـ ٢١٨ "الهامش".

(3)سورة النساء الآية: ١٨.

(4)رياض الصالحين /١٤٩.

فقد شبه عليه الصلاة والسلام حاله الماضي والحاضر مع أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ كحال أبي زرع مع أم زرع في إكرامها وحبها ورفع مستواها المعيشي والنفسي.

قال العلماء:

((كنت لك كأبي زرع لأم زرع)) أي تطييب لنفسها وإيضاح لحسن عشرته إياها ومعناه أنا لك كأبي زرع أي كان فيما مضى وهو باق)) [1].

وقد استنتج العلماء من حديث أم زرع فوائد منها:

١ ـ حسن المعاشرة للأهل.

٢ ـ جواز الإخبار عن الأمم الخالية.

٣ ـ أن المشبه بالشيء لا يلزم كونه مثله في كل شيء.

٤ ـ أن كنايات الطلاق لا يقع ا طلاق إلا بالنية لأن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال لعائشة: ((كنت لك كأبي زرع لأم زرع)) ومن جملة أفعال أبي زرع أنه طلق امرأته أم زرع، ولم يقع على النبي طلاق لكونه لم ينو الطلاق، والله أعلم.

٤ ـ المبحث الرابع:

التشبيهات الواردة في جوانب مختلفة:

هذا المبحث يتضمن تشبيهات في موضوعات مختلفة ومجموع هذه التشبيهات أربعة عشر تشبيهاً موزعة على الموضوعات التالية:

ـ مكانة الأنصار، وقد بين عليه الصلاة والسلام مكانتهم من خلال تشبيهين تم حذف الأداة ووجه الشبه، بين عليه الصلاة أ م أقرب الناس إليه وموطن سره.

ـ القصاص والدية، جاء فيها تشبيهان الأول في القصاص إن قتله فهو مثله، والثاني جاء في الاعتراض على دفع الدية، وكان التشبيهان مرسلين مجملين باعتبار الأداة الموجودة ((مثل ، والكاف)) وحذف وجه الشبه.

---

(1)هامش الصحيح بشرح النووي ٢٢١/١٥.

ـ السفر، جاء في هذا الموضوع أربعة تشبيهات بليغة بينت أن السفر قطعة من العذاب، كما أن الكمأة من المن، وأن المنتعل في السفر راكب لا يجد عناءً، كما ى عن الجرس في السفر وأنه من مزامير الشيطان، كما ورد النهي عن اللعب بالنردشير وأنه أمر محرم، والنهي الأخير جاء بأسلوب التشبيه المرسل ا مل.

وقد لحقت ذا الموضوع حديثًا يحكي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وقد جاء في هذا الحديث تشبيهان تبين من خلال الأول المعجزة الإلهية، وفي الثاني بين مقدار علمهما بالنسبة لعلم الله وهما تشبيهان مرسلان مجملان.

وهناك ثلاثة تشبيهات متفرقة بين عليه الصلاة والسلام في التشبيه الأول أن الرسول بشر يتصرف كما يتصرف البشر ويغضب كما يغضبون.

وفي الحديث الثاني بين قدرة الله عز وجل، فقلوب الخلق بين أصبعيه كقلب واحد، ثم بين عليه الصلاة والسلام أن الناس يختلفون في صفا م كما تختلف المعادن، فهذه التشبيهات الثلاثة مرسلة مجملة.

أربعة عشر تشبيهاً جاءت سبعة منها بليغة والبقية مرسلة مجملة، جاءت الأداة ((الكاف)) خمس مرات، الأداة ((مثل)) جاءت مرتين، وجاءت ((كأن)) مرة واحدة هذه مقدمة وتمهيد وفي التحليل الكثير من الفوائد البلاغية.

*** مكانة الأنصار:**

أبدأ هذا المبحث بوصفه صلى الله عليه وسلم للأنصار ـ رضي الله عنهم ـ وبيانه لمكانتهم، لما كان لهم من فضل ـ بعد الله ـ في الدعوة والجهاد.

عن عبد الله بن زيد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما فتح حنيناً قسم الغنائم، فأعطى المؤلفة قلو م ... فقال:

((ألا تضرون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، الأنصار شعار[١] والناس دثار[١]، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً

---

(1)الشعار: ما يلي الجسد من الثياب.

لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)) [٢].

وفي رواية عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((إن الأنصار كرشي وعيبتي[٣]، وإن الناس سيكثرون ويقلون، فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم)) [٤].

هذه مكانة الأنصار عند رسول الله عليه الصلاة والسلام فهم المصدقون له حينما كذّبه قومه وهم الذين قسموا أموالهم للمهاجرين، فتاريخهم عريق، وفضلهم يعترف به كل مسلم، وقد مدحهم الله في كتابه قال سبحانه:

﴿والذين تبوءوا الدّار والإيمان من قبلهم يُحبُّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[5].

وكانت للأنصار مكانة عظيمة في قلب رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)) [٦].

وفي رواية عن أنس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إلي ثلاث مرات)) [٧].

وقد جعل عليه الصلاة والسلام حبهم علامة ودلالة على الإيمان فقال:

((آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار)) [١].

---

(1)الدثار: ما يلبس فوقه.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٦/٧ ـ ١٥٧.

(3) الكرش: بفتح الكاف وكسر الراء لكل مجتر بمـ لة المعدة للإنسان، والعيبة: ما يخزن فيه المرء أغلى ما يملك.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٧/١٦.

(5) سورة الحشر الآية : ٩.

(6) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٧/١٦.

(7)المصدر السابق ٦٨/١٦.

والأحاديث في فضلهم كثيرة ليست الدراسة مختصة لسردها، وما أوردته كافياً لبيان تلك المكانة التي اتخذ التشبيه بياناً لها عليه الصلاة والسلام.

فهذه صورة جميلة ((الناس دثار، أما الأنصار فهم شعار، إ م هم البطانة والخاصة والأصفياء، وألصق بي من سائر الناس .... إ م الملامسون لقلبي ولولا الهجرة لكنت واحداً منهم)) (٢).

فهذا تشبيه بليغ، حيث شبه عليه الصلاة والسلام الأنصار بالشعار، وهو الثوب الذي يلي الجسد ويلامسه، وشبه بقية الناس بالدثار، وهو الثوب الذي يلبس فوق الشعار.

والغرض من التشبيه بيان حال المشبه، وأن الأنصار هم بطانته عليه الصلاة والسلام وخاصته وأصفياؤه كملاصقة الشعار للجسد، ولذلك تمنى في ماية الحديث أن يكون منهم ((ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم)).

صورة عظيمة يبين فيها عليه الصلاة والسلام مدى حبه لهم، لو انحاز الناس وتقسموا لذهب مع احبابه الذين حبوه وأحبوا ما جاء به.

وحذف الأداة في التشبيه لا تخفى دلالتها، فالطرفان صارا شيئاً واحدا.

أما رواية: ((إن الأنصار كرشي وعيبتي ...))

فقد شبه عليه الصلاة والسلام الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ بالكرش والعيبة، قال الخطابي:

((ضرب مثلاً بالكرش؛ لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون به بقاؤه، والعيبة وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصو ا، ضر ا مثلاً لأ م أهل سره وخفي أحواله ....)) (٣).

فهو تشبيه بليغ.

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للعيني ٣٣٤/١٣.

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي، للصباغ، صفحة ٤٨٦.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٨/١٦، (عمدة القاري) ٣٤٣/١٣ "الهامشين".

والغرض من التشبيه البليغ بيان أن الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ بطانته وخاصته وموضع سره وأمانته وخفي أحواله.

واختار عليه الصلاة والسلام الكرش والعيبة لأ مما يحتفظان بالأشياء المفيدة في موضع الستر ولكن الكرش تختص بحفظ البواطن التي لا ترى، أما العيبة فتحتفظ بكل ثمين ظاهر، فهم المختصون بجميع أموره الظاهرة والباطنة.

*** القصاص والدية:**

وقد ورد فيه حديثان تضمن كل واحد تشبيهاً:

الحديث الأول:

عن سماك بن حرب ـ أن علقمة بن وائل حدثه أن أباه ـ حدثه قال: إني لقاعد مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جاء رجل يقود آخر بنسعة[١]، فقال: يا رسول الله هذا قتل أخي، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((أقتلته؟)) فقال: إنه لو لم يعترف أقمت عليه البينة، قال: نعم قتلته، قال: ((كيف قتلته؟)) قال: كنت أنا وهو نختبط[٢] من شجرة، فسبني، فأغضبني، فضربته بالفأس على قرنه، فقتلته، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((هل لك من شيء تؤديه عن نفسك؟)) قال: مالي مالٌ إلا كسائي وفأسي، قال: ((فترى قومك يشترونك)) قال: أنا أهون على قومي من ذاك، فرمى إليه بنسعته وقال: ((دونك صاحبك)) فانطلق به الرجل، فلما ولّى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((إن قتله فهو مثله)) فرجع فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك قلت: إن قتله فهو مثله، وأخذته بأمرك، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك؟)) قال: يا نبي الله لعله قال بلى، قال: فإن ذاك كذاك ...، قال فرمى بنسعته وخلّى سبيله)) [٣].

الحديث دليلٌ على أن الاحكام لا تؤخذ إلا بعد إقرار صابحها ا.

---

(1)النسعة: بنون مكسورة ثم سين ساكنة ثم عين مهملة وهي الحبل من الجلد مضفورة وقرنه جانب رأسه.

(2)نختبط: أي نجمع الخبط وهو ورق الثمر بأن يضرب الشجر بالعصا فيسقط ورقه فيجمع علفاً.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٢/١١ ـ ١٧٣.

وقد ورد في الحديث تشبيه وذلك عندما كان عليه الصلاة والسلام يتحدث عن ولي القتيل بعدما ذهب بالقاتل. فقال: ((إن قتله فهو مثله)).

فالمشبه: ولي القتيل إن قتل قاتل أخيه.

والمشبه به: قاتل أخيه.

أما وجه الشبه فقد اختلف فيه، فقيل:

فهو مثله في أنه قاتل وإن اختلفا في التحريم والإباحة لكنهما استويا في طاعتهما للغضب ومتابعة الهوى، وقد جاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام طلب من الولي العفو فأبى[١].

وقيل: فهو مثله في أنه لا فضل ولا منه لأحدهما على الآخر لأنه استوفى حقّه منه بخلاف ما لو عفا عنه، فإنه كان له الفضل والمنة وجزيل ثواب الآخرة وجميل الثناء في الدنيا[٢].

وأرى أن الرأي الثاني هو الأصح ـ والله أعلم ـ لأن ولي القتيل أخذ القاتل ليقتله قصاصاً بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أما الغرض من التشبيه فقد تحقق ألا وهو أن يخاف ولي القتيل من العواقب المترتبة على قتل قاتل أخيه، فيعفو والعفو أفضل قال تعالى:

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين * الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحب المحسنين﴾[٣].

الحديث الثاني:

عن المغيرة بن شعبة قال: ضربت امرأة ضر ا بعمود فسطاط وهي حبلى فقتلتها قال: وإحداهما لحيانية. قال: فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دية المقتولة على

(1)المصدر السابق ١٧٣/١١ ـ ١٧٤.

(2)المصدر السابق ١٧٥/١١ "الهامش".

(3)سورة آل عمران آية: ١٣٣ ـ ١٣٤.

عصبة القاتلة وغره لما في بطنها، فقال رجل[١] من عصبة القاتلة: أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((اسجع كسجع الأعراب؟)) قال: وجعل عليهم الدية)) [٢].

وفي رواية: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع)) [٣].

وفي رواية:

((اسجعاً كسجع الكُهان)) [٤].

الحديث دليلٌ لما قاله الفقهاء إن دية الخطأ على العاقلة إنما تختص بعصبات القاتل سوى أبنائه وآبائه.

وقد حوت الروايات بين طيا ا تشبيها في قوله عليه الصلاة والسلام:

((أسجع كسجع الأعراب)) ، ((أسجعاً كسجع الكهان))؟

فالمشبه: السجع الوارد في قول حمل بن مالك الهذلي ((أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثل ذلك يطل))

والمشبه به: سجع الأعراب، سجع الكهان.

وجه الشبه بين الطرفين: إبطال الحكم الشرعي والتكلف في الخطاب.

والغرض من التشبيه: التنفير والتحذير من مثل هذا السجع.

وذكر الصباغ عدة خصائص تجعل السجع يأباه الذوق وتنفر منه النفس وهي:

١ ـ المعنى في سجع الكهان يتبع اللفظ، أي أنّ السجع يقصد لذاته.

٢ ـ الغموض في العبارة حتى يحتمل كلام الكاهن كثيراً من المعاني المتوقّعة.

٣ ـ الإكثار من الكلمات الغريبة والحوشية.

---

(1)هو حمل بن مالك بن النابغة الهذلي كما في بعض الروايات.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٨/١١ ـ ١٧٩.

(3)المصدر السابق ١٧٧/١١.

(4)ينظر: التصوير الفني في الحديث ص٥٤٦.

٤ - الاعتماد على الإيقاع الرنان للألفاظ الموحي بألوان من المشاعر الغامضة، يبتغي الكاهن بذلك خداع الناس وإيهامهم أ م يستمعون من خلال كلامه إلى طلسمات الشياطين.

من أجل ذلك وغيره كره صلى الله عليه وسلم سجع الكهان وأنكره لأنه أداة للباطل وعدة للتدجيل، وإسفاف الكلام ولكنه لم يكره السجع على الإطلاق)) [١].

ويرد سؤال بعد هذا الحديث ألا وهو ما موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - من السجع؟

فأقول: لم ينكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - جميع السجع وإنما أنكر ما كان مشا اً لسجع الأعراب المتكلف المتعسف ومشا اً لسجع الكهان في محاولة التعمية على الحق.

وأبو هلال العسكري يتحدث عن السجع المذموم ويذكر أمثلةً له، ثم يذكر الحديث ((أسجعاً كسجع الكهان)).

وعقب عليه بقوله:

((لو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعاً لقال: ((أسجعاً؟ ثم سكت، وكيف يذمه ويكرهه، وإذا سلم من التكلف، وبرئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه، وقد جرى عليه كثير كلامه صلى الله عليه وسلم))[٢].

وقال ابن الأثير بعد كلام مشابه لكلام أبي هلال:

((فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير، وأنه لم يذم السجع على الإطلاق.........))[٣].

((........ وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع............))[٤].

---

(1)التصوير الفني في الحديث ص٥٤٧.

(2) الصناعتين: أبو هلال العسكري، طبعة الحلبي، صـ ٢٦٧ ومابعدها.

(3) المثل السائر : ٢١١/١.

(4) المصدر السابق : ٢١٢/١.

وفي كلام ابن الأثير إشارة إلى ما نقله الجاحظ عن عبد الصمد الرقاشي:

((لو أن هذا المتكلم لم يرد إلاّ الإقامة لهذا الوزن لما كان عليه من بأس، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق متشادق في الكلام))[١].

وتحدث عن هذه القضية قدامة بن جعفر بكلام لا يكاد يختلف عمن سبقوه[٢].

قال الزيات:

((والناس لا يكرهون السجع لأنه سجع، أو البديع لأنه بديع، وإنما يكرهون التكلف والتمويه والبهرج وتنسيق الألفاظ على المعنى التافه، وترصيع الأسجاع في الكلام الغث، كما يكرهون الزخرف المنمنم على الجدار المنهار، والحلّة الموشاة على الجسد المسلول))[٣].

ونختم هذه القضية برأي الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

((...... وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه حولاً))[٤].

ولعلي بذكر آراء بعض العلماء في هذه القضية قد كشفت الستار عن الغرض المقصود من التشبيه الوارد في الحديث.

والسجع يعطي ويضفي على الكلام رونقاً وتلاؤماً صوتياً يجعل النفس تأنس وتستلذ به، وقد وردت هذه اللذة في أحاديثه عليه الصلاة والسلام أذكر منها مثلاً قوله:

((يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام))[٥].

جملٌ متناسقة وجرس متناسق، خالٍ من التكلف، تستريح النفس لمثله تطلبه المعنى دون تكلف أو نشر باطل.

---

(1) البيان والتبين : للجاحظ ، ٢٨٧/١.

(2) نقد الشعر : صـ ١٢١.

(3) دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات، صـ ١١٨ـ١١٩. (٧) أسرار البلاغة : صـ ١٠.

(4)أسرار البلاغة ص١٠.

(5) رياض الصالحين: النووي، صـ ٣٥٦ .

*** السفر:**

ومن الموضوعات التي جاء التشبيه بياناً لها موضوع السفر وبيان حقيقته، قال الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي ((واللفظ له)) قال: قلت لمالك: حدثك سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته[1]من وجهة فليعجل إلى أهله)) قال: نعم[2].

حديث عظيم يبين استحباب تعجيل المسافر الرجوع إلى أهله بعد قضاء شغله وعدم التأخر بما ليس مهما.

ولا يمكن لأي بشر أن يقضي عمره دون سفر، إما لطلب الرزق أو العلم، أو الجهاد أو ..... الخ.

والتشبيه في قول المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ((السفر قطعة من العذاب)) .

فالمشبه: السفر.

المشبه به: نوع من أنواع العذاب ((قطعة من العذاب)).

وجه الشبه: المشقة والتعب واختلاف وتقلبات الجو من برد وحر والسرى والخوف والوحشة والاشتياق للأهل والأصحاب وخشونة في العيش ....

وهذا تشبيه بليغ.

وقد يكون السفر قطعةً من العذاب على سبيل الحقيقة.

والحديث يومئ إلى إن المؤمن في سفره وأنه في صبر دائماً، وهذا الصبر ناتج من صبر على طاعة وصبر على معصية وصبر على أقدار الله، ففي أنواع الصبر مشقة والجنة قد حفّت

---

(1) النهمة: بفتح النون وإسكان الهاء وهي: الحاجة.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ٧٠/١٣.

بالمكاره والنار بالشهوات، وجميع ما ذكر عليه الصلاة والسلام في الحديث ((يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه)) وقوله ((من خاف أدلج))[١].

يتصف ا المؤمن طلباً لسلعة الله (الجنة)

وقد بين التشبيه حقيقة السفر، وأنه قطعة من العذاب، والعاقل لا يريد أن يبقى في عذاب، فتجده بعد انتهاء شغله وحاجته يسرج راحلته متوجهاً إلى أهله، لأن في بقائه بعيداً عنهم خطراً على الطرفين.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً﴾[٢].

***حقيقة الكمأة:**

ومن تشبيهاته عليه الصلاة والسلام ما ورد عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت عمرو بن حريث قال: سمعت سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((الكمأة[٣] من المن الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين))[٤].

وفي رواية:

((الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين))[٥].

الحديث يبين أن نبات الكمأة نبات ذو فضل، وأن ماءها شفاء للعين.

والتشبيه في قوله عليه الصلاة والسلام: ((الكمأة من المن)).

فقد شبه صلى الله عليه وسلم الكمأة بالمن الذي أنزل على بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام.

---

(1) رياض الصالحين:٢٩٩.

(2) سورة الروم: آية:٢١.

(3) الكمأة: بفتح الكاف وسكون الميم نبات ينفض الأرض فيخرج كما يخرج القُطر...... "اللسان مادة (كمأ) " وهو المعروف بالفقع.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي:٣/١٤.

(5)صحيح مسلم بشرح النووي: ٣/١٤ ـ ٤.

قال النووي:

((قال أبو عبيد وكثيرون: شبهها بالمن الذي كان ي ل على بني إسرائيل لأنه كان يحصل لهم بلا كلفة ولا علاج، والكمأة تحصل بلا كلفة ولا علاج ولا زرع بذور ولا سقي ولا غيره.

وقيل: هي من المن الذي أنزل الله تعالى على بني إسرائيل حقيقة عملاً بظاهر اللفظ[١].

فإذا اعتبرنا أ ا تشبهه فإن ((من)) بيانيه، وعلى اعتبار أ ا حقيقة من المن فإن ((من)) تبعيضية.

قوله ((وماؤها شفاء للعين)).

قيل الماء مجرداً وقيل مضافاً إلى غيره وقيل غير ذلك، والنووي ـ رحمه الله ـ يرى أنه مجرداً وأنه علاج للعمى كما حدث في زمنه فكحلت به العين فبرأت وعاد إليها بصرها[٢].

وصدق الله إذ يقول عن نبيه عليه الصلاة والسلام:

((ما ضلّ صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى))[٣].

وفي موضوع السفر ورد وحديثان الحديث الأول:

عن أبي الزبير عن جابر قال: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول في غزوة غزوناها:

((استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل))[٤].

ورد هذا الحديث في باب اللباس والزينة وفيه استحباب لبس النعال وما في معناها للزينة وليحافظ المسلم على صحته ويحمي نفسه من المؤذيات.

والتشبيه وارد في قوله: (فإن الرجل ما يزال راكباً ما انتعل).

---

(1) المصدر السابق: ٤/١٤"الهامش".

(2) المصدر السابق:٥/١٤" الهامش".

(3) سورة النجم آيات:٢ ـ ٤.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي:٧٣/١٤.

فالمشبه: المنتعل.

والمشبه به: الراكب.

وجه الشبه: خفة المشقة عليه، وقلّة التعب، وسلامة رجليه مما يعرض له في الطريق من خشونة وشوك وأذى وغير ذلك، فالمنتعل راكب، وهذا من باب المبالغة.

وفي قوله (استكثروا) دعوة منه عليه الصلاة والسلام لأصحابه وإرشادهم إلى أخذ المزيد من النعال ولبسها لا سيما في ذلك الوقت لكثرة الخروج من المدينة للجهاد والحج والعمرة والدعوة إلى الله.

أما الحديث الثاني يبين النهي عن الجرس في السفر، وبيان حقيقته، فعن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((الجرس مزامير الشيطان))

جاء هذا الحديث في سياق الكلام عن كراهة الكلب والجرس في السفر، وقد اعتبر عليه الصلاة والسلام الجرس من مزامير الشيطان، وعلى المسلم أن يبتعد ويحذر الشيطان وطرقه قال تعالى:

﴿إن الشيطان لكم عدوُ فاتخذوه عدوّا، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [١].

وبين عز وجل حقيقة الشيطان وموقفه من ابن آدم قال تعالى:﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾[٢] فالشيطان له صلة وعلاقه بالجرس، فإذا ذكر الجرس تبادر إلى الأذهان ما اتخذه النصارى تنبيهاً على طلب الحضور إلى الكنيسة.

والحديث من التشبيه البليغ، فقد شبه صلى الله عليه وسلم الجرس بالمزمار الشيطاني بجامع الدعوة إلى ما يغضب الله، وإ نما أداةٌ لتنفير الملائكة، فعن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس))[١].

---

(1) سورة فاطر: آية: ٦.

(2) سورة يوسف: آية:٥.

والملائكة التي لا تصحب تلك الرفقة هم (ملائكة الرحمة والاستغفار لا الحفظة)[٢].

والغرض من التشبيه بيان حال المشبه والتحذير للمسلم في أن يزيل الأجراس من بيته أو مركبه أو غير ذلك، وأن في وجودها يئة لوجود الشياطين وإرضاء لهم ونشراً لسرورهم وفرحهم وتنفيراً للملائكة.

وقد يكون ((الجرس مزامير الشيطان)) من باب الحقيقة التي أوحى ا الله إلى نبيه، والله أعلم.

*** حكم اللعب بالنردشير:**

ومن هذه المنهيات يه عليه الصلاة والسلام عن اللعب بالنردشير، فعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خ ير ودمه))[٣].

لقد حرص الإسلام على الوقت واهتم به وحذّر من إضاعته ووجوب استغلاله فيما يعود على الفرد بالخير في الدنيا والآخرة.

والحديث يبين ضربا من ضروب تضييع الأوقات وهو اللعب بالنرد، وبيان تحريمه، وقد شاع في زماننا ألعاب أخرى قضت على الوقت من العاب الكترونية وغيرها.

والحديث متضمن لتشبيه مبين شدة التحريم، فقد شبه عليه الصلاة والسلام من لعب بالنردشير بمن صبغ يده في لحم خ ير ودمه.

قال العلماء:

((في حال أكله منهما وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما))[٤].

وهذا وجه الشبه.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ٩٤/١٤.

(2) المصدر السابق ٩٤/١٤ ـ ٩٥ "الهامش".

(3) المصدر السابق ١٥/١٥ والنردشير قال العلماء هو النرد وهو أعجمي معرب ، وشير أي حلو...."الهامش".

(4) صحيح مسلم بشرح النووي:١٦/١٥"الهامش".

والغرض من التشبيه تحقير المشبه والتنفير منه، وقد أتى المشبه به ليتبين لنا بشاعة المشبه وصورته وهو يصبغ يده في لحم خـ ـير ودمه، وما يوحي به اسم الخـ ـير لدى المسلمين من نجاسة وقذارة وحقارة.

وفي اختيار دم الخـ ـير ولحمه تنفير من هذا الفعل، وقد أدى التشبيه الغرض المقصود منه.

*** بشرية الرسول عليه السلام وشفقته بأمته:**

وقد وردت رواية تحدثت عن رحمته عليه الصلاة والسلام بأمته، فعن سالم مولى النصريين قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر،وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه. فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارةً وقربةً تقربه ـا إليك يوم القيامة))[(١)].

ورد هذا الحديث بروايات أُخر بألفاظ متقاربة.

((وجميع هذه الروايات مبنية ما كان صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته والاعتناء بمصالحهم، والاحتياط لهم والرغبة في كلٍ ما ينفعهم))[(٢)].

أرسل الله رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ رحمة للعالمين، معلماً وقائداً، ومربياً رحيماً، كما قال عن نفسه:

((إني لم أُبعث لعاناً وإنما بعثت رحمةً))[(٣)].

وقد وصفه ربه بقوله: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين﴾[(٤)].

---

(1) المصدر السابق:١٥٢/١٦ ـ ١٥٣.

(2) المصدر السابق: ١٦ /١٥١ "الهامش".

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٠/١٦.

(4)سورة الأنبياء آية: ١٠٧.

والحديث عن رحمته عليه الصلاة والسلام بأمته يحتاج إلى بحث مستقل، والرواية التي أورد ا تبين جانباً من رحمته ((فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته، فاجعلها له كفّارةً وقربةً تقربه ا إليك يوم القيامة))

وقد تضمن الحديث تشبيهاً في قوله:

((إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر.

فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشر مجبول على الصفات البشرية من نوم وشرب وأكل وزواج..........الخ.

وقد أيد سبحانه بشريته في قوله:

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾[١].

فالفرق بينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين بقية الخلق أنه يوحي إليه، وقد شبه تصرفاته وقت الغضب بتصرفات بقية البشر عند الغضب.

وجه الشبه: ما ينتج عن الغضب من تصرفات.

والغرض بيان بشريته ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وكان غضبه عليه الصلاة والسلام إذا انتهكت حرمات الله. قال المارزي في قوله (أغضب كما يغضب البشر):

((يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد أي دعاء وسبه وجلده كان مما يخير فيه بين أمرين أحدهما هذا الذي فعله، والثّاني زجره بأمر آخر، فحمله الغضب لله ـ تعالى ـ على أحد الأمرين المتخير فيهما وهو سبه أو لعنه وجلده ونحو ذلك وليس ذلك خارجاً عن حكم الشرع والله أعلم))[٢].

***القلوب** بين **أصابع** الله:

في بيان قدرة الله ـ تعالى ـ يبين عليه الصلاة والسلام جانباً منها في حديثه الذي يقول فيه:

---

(1)سورة الكهف آية: ١١٠.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:١٥٣/١٦"الهامش".

((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)[١].

هذا حديث عظيم من أحاديث الصفات، وللعلماء في مثل هذه الأحاديث رأيان:

((أحدهما: الإيمان ا من غير تعرض لتأويل، ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بأ ا حق، وأن ظاهرها غير مراد، قال تعالى: ((ليس كمثله شيء)). وهذا رأي أهل السنة.

الثاني: يتأول بحسب ما يليق ا، فعلى هذا المراد ا از كما يقال: فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد به أنه حال في كفه بل المراد تحت قدرتي، ويقال: فلان في إصبعي أقلبه كيف شئت أي: أنه مني على قهره والتصرف فيه كيف شئت، فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين إصبعيه فخاطب العرب بما يفهمونه ومثّله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم......))[٢].

والتشبيه النبوي وارد في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : ((كقلب واحد يصرفه كيف يشاء)).

والحديث يبين قدرته سبحانه، فقدرته عظيمة لا تدركها العقول، ولا يستطيع أن يتوصل إلى معرفتها مخلوق قال تعالى:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[٣].

وقال ـ كذلك ـ ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [٤].

وقال في قضية الإحياء والإماتة:

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة﴾ [١].

---

(1)المصدر السابق ٢٠٣/١٦ ـ ٢٠٤.

(2)المصدر السابق ٢٠٤/١٦ "الهامش".

(3)سورة الشورى آية: ١١.

(4)سورة البقرة آية: ١٠٦.

والآيات والأحاديث في تقريب قدرة الله كثيرة لا حصر لها.

فجميع القلوب من بداية الخلق إلى نهايتة كقلب واحد، يصرفه الله كيف يشاء،

والغرض من التشبيه بيان قدرته - سبحانه - وقيوميته على خلقه.

وقد بين التشبيه مدى قدرته سبحانه.

ثم يختم عليه الصلاة والسلام حديثه بما يجب على كل مسلم أن يفعله تجاه هذه القضية ((اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)) .

*** اختلاف الناس فيما بينهم:**

ويبين عليه الصلاة والسلام أن الناس يختلفون ويتباينون تبايناً واضحاً يقول:

((الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.............))[٢].

الحديث يبين أن الناس معادن يختلفون فيما بينهم كما تختلف المعادن بين بعضها البعض فمنها الذهب والفضة والحديد والنحاس.............

والغرض من التشبيه بيان حال المشبه.

والطرفان حسيان فهو تشبيه معنوي بمحسوس.

والواقع يؤكد هذه الحقيقة، ثم يبين في نهاية الحديث أن من كان معدنه طيباً في الجاهلية فسيظل كذلك بعد الإسلام.

الفصل الرابع: التشبيه المفرد في أحاديث الآخرة:

سيكون الحديث في هذا الفصل - بمشيئة الله - عن التشبيهات الواردة في الصحيح حول الآخرة وما فيها من البعث والحشر والصراط، وأحوال المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم العصيب ووصف للجنة والنار، وقد وجدت أربعة وعشرين تشبيهاً، تم تقسيمها إلى ثلاثة مباحث:

---

(1)سورة لقمان آية: ٢٨.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:١٨٠/١٦.

المبحث الأول: التشبيهات الواردة في مشاهد يوم القيامة نفسه، المبحث الثاني: التشبيهات الواردة في وصف الجنة وأهلها. أما المبحث الثالث: التشبيهات الواردة في وصف النار وعذاب أهلها.

المبحث الأول:

التشبيهات الواردة في مشاهد يوم القيامة نفسه

جمعت في هذا المبحث الصور التشبيهيه التي تتحدث عن الآخرة من قرب الساعة، ومرور على الصراط، وأحوال بعض العباد يوم العرض على الله.

وقد وجدت في هذا الموضوع ثمانية تشبيهات، استقل كل تشبيه منها بمعنى، وهذه المعاني جاءت في الموضوعات التالية: رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة، بيان قرب وقوع قيام الساعة، بيان هيئة البعث وكيفيته، ثم بين عليه الصلاة والسلام جانباً من جوانب رحمة الله بالمؤمنين يوم القيامة، كما وصف عليه الصلاة والسلام حوضه وبين ما عليه من كيزان.

كما بين عليه الصلاة والسلام السرعة المتفاوتة أثناء العبور على الصراط، ومدى قرب الشمس من العباد يوم القيامة، وأخيراً نختم هذا المبحث بذكر مصير الموت يوم القيامة.

ثمانية تشبيهات جاءت جميعها مرسلة، حيث جاءت أداة التشبيه مذكورة فقد جاءت الأداة ((الكاف)) سبع مرات.

أما الأداة ((أمثال)) فقد جاءت مرة واحدة لبيان مقدار الذنوب التي سيغفرها سبحانه وتعالى للمؤمنين يوم القيامة.

ونلحظ أن هناك مشبهاً به مشتركاً في هذا الباب، فقد سبق في صور التكافل الاجتماعي أن كافل اليتيم له أو لغيره هو والرسول في الجنة كهاتين وتمت الإشارة بالسبابة والوسطى، وهنا نجد المشبه به يستخدم للتعبير عن قرب بعثته عليه الصلاة والسلام من قيام الساعة.

يبدأ يوم القيامة بالبعث وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وقد تضمن صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ عددا من الأحاديث التي تكشف لنا ما يحدث في هذا اليوم العظيم ، يوم الحاقة، الزلزلة، التغابن، الصاخة ....

الحديث الأول:

هذا الحديث يتضمن وصفاً ليوم القيامة، وقد أتت روايات كثيرة وطويلة[1] وسأكتفي بما ورد فيه من تشبيهات، كل تشبيه في مبحثه.

عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((هل تضارن في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دو ا سحاب؟ قالو: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك ....))[2].

هذا الحديث برواياته المتعددة من الغيبيات التي أخبر ا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي يجب على المؤمن التصديق ا، لأن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين.

والحديث يدور حول كيفية رؤية المؤمنين لله ـ تعالى ـ يوم القيامة.

التشبيه الذي أجاب به ـ عليه الصلاة والسلام ـ على سؤال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هو محور الدراسة في هذا الحديث.

((هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دو ا سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال:

((فإنكم ترونه كذلك)).

وجاء في رواية عن أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((نعم قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٣ ـ ٢٥.

(2) المصدر السابق ١٧/٣ ـ ١٨.

((ما تضارون في رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة إلاّ كما تضارون في رؤية أحدهما)).[١]

وجاء في رواية جرير بن عبد الله: ((كنا جلوساً عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته))[٢].

نلحظ أن جميع هذه الروايات تحدثت عن موضوع رؤية الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة وإن اختلفت فإ ا متقاربة جداً ، وقد وردت كلمتان تحتاج إلى توضيح:

تضارون: روي بتشديد الراء وبتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما، ومعنى الكلمة مشددةً: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضير وضرر.

تضامون: روي أيضاً ـ بتشديد الميم وبتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد: هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف: هل يلحقكم ضيم وهو التعب والمشقة.

قال البيومي معلقاً على الحديث:

((ما الذي نراه في هذا السرد الأدبي الشائق. يبتدئ بالسؤال الواضح، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ هل تضارون في رؤية الله ـ تعالى ـ إلاّ كما تضارون في رؤية أحدهما؟.

أليس التصوير التمثيلي هنا أدل على المراد وأهدى إلى قرب إمكانه وتحقيق وقوعه دون اعتراض[٣] ، وهذا أحد ما يهتم به البيانيون !........)).[٤]

وقد اتخذ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسلوب الاستفهام أداةً لتثبيت المعنى، ثم يأتي بعد تثبيت المشبه بالمشبه به فيستقر في النفس، ويتبوأ موطناً يصعب إزاحته، فيقول عليه

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٢٥/٣ ـ ٢٦.

(2)المصدر السابق ١٣٤/٥.

(3)وهذا هو الغرض من التشبيه.

(4)البيان النبوي د/محمد رجب البيومي ص١٥٢.

الصلاة والسلام: ((إنكم سترون ربكم يوم القيامة رؤيةً محققةً لا شك فيها ولا مشقّة ولا اختلاف، فهي رؤية واضحةُ ().

((وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ولا كيفية الرؤية بكيفية الرؤية))[١].

*** البعث من القبور:**

هذا الحديث يبين حال البشر بعد النفخ في الصور وكيف يخرجون بعد حياة البرزخ وهذا ما تبينه رواية أبي هريرة ـ رضي الله عليه ـ قال: قال: رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((ما بين النفختين أربعون)) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين شهراً ؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، ((ثم يـ ل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيئ إلاّ يبلى إلاّ عظماً واحداً وهو عجب[٢] الذّنب، ومنه يركّب الخلق يوم القيامة))[٣].

هذا الحديث يحدد ما يكون من الوقت بين النفختين، فحددها ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأربعين، ولم يجزم أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ بالمقصود بالأربعين أهي يوماً أم شهراً أم سنة، والصحيح أ ا أربعون سنة[٤].

والحديث بين كيف يتم البعث متخذاً التشبيه طريقاً للبيان، حيث قال:

((ثم يـ ل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل))

فقد شبه عليه الصلاة والسلام إعادة التركيب والخلق بنبات البقول ((نباتات البراري)).

وجه الشبه : السرعة في النمو والإنبات في أماكن مختلفة.

---

(1)هامش النووي على الصحيح ١٨/٣.

(2)عجب الذّنب: بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص، ويقال العجم بالميم وهو أول ما يخلق من الآدمي...

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ٩١/١٨ ـ ٩٢.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٩٢ "الهامش".

فكأن عجب الذّنب هو البذرة التي يتم التكوين والنمو منها كحبة البقول.

وقد أدى التشبيه الغرض المقصود منه في بيان مقدار السرعة والسهولة والكثرة في أنحاء متفرقة من الأرض.

*** رحمة الله بالمؤمنين:**

أما الحديث الرابع في هذا المبحث فهو يدور حول جانب من رحمة الله تعالى بالمؤمنين، فهو الغفّار يغفر ذنوباً عظيمة في ذلك اليوم العظيم ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود و النصارى........))[١].

يبين عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث سعة رحمة الله ـ سبحانه ـ بعباده المؤمنين وقد جاء قبل هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام:

((إذا كان يوم القيامة دفع الله ـ عز وجل ـ إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار)) [٢].

وفي رواية:

((لا يموت رجلٌ مسلم إلاّ أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً))[٣].

فهذه روايات يفسر بعضها بعضا.

((أي أن الله ـ تعالى ـ يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على النصارى مثلها بكفرهم وذنو م، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين.

ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى: ((ولا تزروا وازرة وزر أخرى)) ، وقوله: ((يضعها)) مجاز والمراد يضع عليهم مثلها بذنو م، لكن لما أسقط الله سبحانه وتعالى عن

---

(1) المصدر السابق ٨٦/١٧.

(2)المصدر السابق ٨٥/١٧، والفكاك: الخلاص والفداء.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٥/١٧ ـ ٨٦.

المسلمين سيئا م وأبقى على الكفار سيئا م صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكو م حملوا الإثم الباقي وهو إثمهم.

وقيل: ((ويحتمل أن يكون المراد آثاماً كان للكفّار سبب فيها بأن سنوها، فتسقط عن المسلمين بعفو الله ـ تعالى ـ ويوضع على الكفّار مثلها لكو م سنوها، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل ا))[1].

والتشبيه وارد في قوله المصطفى: "يجيء أناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال..........

حيث شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذنوب بالجبال في ضخامتها وارتفاعها.

والغرض من التشبيه بيان المقدار للمشبه، وقد تم من خلال هذا التشبيه.

والطرفان عقلي ((الذنوب والخطايا)) وحسي ((الجبال)) فهو تشبيه عقلي بحسي تم من خلاله تجسيد المشبه وتصويره لمعرفة شيء من سعة رحمة الرحمن.

فمع هذا العظم والضخامة ((أمثال الجبال)) فرحمة الله ـ سبحانه ـ لا يحول دو ا شيء ((فيغفرها الله لهم)).

فالحديث يحث على عدم القنوط من رحمته ـ سبحانه ـ وإلاّ ييأس منها مهما عظُمت تلك الذنوب، فالله غفور رحيم وهو على كل شيء قدير.

*** الحوض النبوي:**

أما الحديث فإنه وصف لحوضه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقريب صورة ذلك الحوض العظيم الذي جعله الله للمؤمنين.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه[2] كنجوم السماء، فمن شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً ....))[1].

---

(1) المصدر السابق ٨٥/١٧ "الهامش".

(2)الكيزان: الآنية.

رأينا كيف بين عليه الصلاة والسلام أمراً غيبياً من أمور الآخرة كرم الله به أمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو الحوض.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله :

((أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه))[٢].

والحديث يتناول الكلام عن ذلك الحوض وبين لنا بعض صفاته.

((حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء)).

قال العلماء:

معناه: طوله كعرضه، وقد صرح ـذا المعنى في رواية أخرى ((عرضه مثل طوله))[٣].

وقد تضمن الحديث تشبيهاً لعرضه في عدة روايات.

ففي الرواية التي اخترناها قوله: ((عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة)).

وفي رواية : ((وأن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيله))[٤].

وفي رواية : ((ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة))

وفي رواية : ((وإن عرضه كما بين إيلة[٥] والجحفة))[٦].

وفي رواية : ((ما بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح)) [٧].

وفي رواية: ((من مقامي إلى عمان))[٨].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٥٥/١٥.

(2)المصدر السابق ٥٣/١٥ "الهامش".

(3)المصدر السابق ٦٢/١٥.

(4)المصدر السابق ٦٦/١٥.

(5) أيله بفتح الهمز ة: مدينة معروفة بالشام على الساحل ....

(6) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/١٥.

(7)المصدر السابق ٥٨/١٥.

(8) المصدر السابق ١٥ /٦١، جرباء، وأذرح قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال.

فهذه الروايات المتعددة ليست فيها إشكال، وقد أتت في أحاديث مختلفة الرواة قال القاضي عياض في ذلك:

((وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب فإنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضر ا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة، فبهذه تجمع الروايات ......))[١].

والغرض : بيان مقدار مسافة عرضه.

أما الروايات التي تحدثت عن ماء حوضه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهي كما يلي:

ففي رواية: ((وماؤه أبيض من الورق))[٢].

وفي رواية: ((وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق))[٣].

فالمشبه في الروايات:ماء حوضه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمشبه به اللبن والعسل.

وجه الشبه: البياض الشديد الذي يفوق بياض الفضة واللبن، والحلاوة التي تفوق العسل، وهذا تشبيه متعدد.

وقد ورد في إحدى الروايات تشبيه رائحته فقال: ((وريحه أطيب من المسك)).

أما الأواني الموجودة على ذلك الحوض، فقد تعددت الروايات فيها:

ففي رواية: ((وكيزانه كنجوم السماء))[٤].

وفي رواية: ((فيه أباريق كنجوم السماء))[٥].

---

(1)المصدر السابق ٥٨/١٥ "الهامش".

(2)المصدر السابق ٥٥/١٥.

(3)المصدر نفسه ٦٣/١٥.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ٥٥/١٥.

(5) المصدر السابق ٦١/١٥.

وفي رواية: ((وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء))[١].

وفي رواية: ((ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء))[٢].

وفي رواية: ((كأن الأباريق فيه النجوم)).[٣]

وفي رواية:((والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها))[٤].

هذه التشبيهات مرسلة ومجملة والطرفان حسيان، والغرض من هذه التشبيهات بيان كثرة تلك الآنية الموجودة على الحوض التي يشرب ا.

تشبيهات واضحة ضربت للتقريب للأفهام والإيمان ا واجب لأ ا أمور غيبية يجب التصديق ا لأ ا حقيقة لا يخالط المؤمن فيها شك أو ريبة.

*** مقدار سرعة المارين على الصراط:**

أما الحديث السادس فهو بيانٌ لتفاوت سرعة المارين على الصراط، والسرعة في المرور على حسب العمل، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((......... فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب........))[٥].

هذا بيان لحال المؤمنين على الصراط حسب أعمالهم، فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كأجاويد الخيل........

منظر عظيم وصورة عظيمة، مرور من على جسر جهنم ـ وسيأتي وصف الجسر في مبحث النار ـ والأعمال بعد رحمة الله هي المعول عليها في هذا الموقف.

---

(1)المصدر السابق ١٥/٦٤.

(2)المصدر السابق ١٥/٦٥.

(3)المصدر السابق ١٥/٦٦.

(4)المصدر السابق ١٥/٦١ ـ ٦٢.

(5)المصدر السابق ٣/٢٩.

فقد بين عليه الصلاة والسلام تلك السرعة بطريق الصورة التشبيه، حيث شبه سرعة بعضهم بطرف العين، وبعضهم بسرعة البرق، وبعضهم بالريح، وبعضهم بسرعة الطير ... بجامع مقدار السرعة بين كل طرفين.

والغرض من هذه التشبيهات بيان مقدار سرعة المشبه المماثلة لعمله وهذا من التشبيه المتعدد.

*** دنو الشمس:**

ويدور الحديث السابع في هذا المبحث حول صورة مخيفة من صور ذلك اليوم العظيم، إ ا صورة دنو الشمس من الخلائق الناتج عن ذلك الدنو ارتفاع في العرق على قدر أعمال العباد، عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. قال سليم بن عامر : فو الله ما أدي ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحلُ به العين؟ قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً. قال: وأشار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده إلى فيه))[١].

إ ا صورة مخيفة، الشمس تقترب من الخلق يوم القيامة، وبحيرات العرق تحاصرهم، قال القاضي :

((ويحتمل أن المراد عرق نفسه وغيره، ويحتمل عرق نفسه خاصة، وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال ودنو الشمس من رؤسهم وزحمة بعضهم بعضا))[٢].

والراوي لم يحدد المقصود من الميل أهو مسافة من الأرض أم الأداة التي يكتحل ا، والتشبيه يبين من خلاله عليه الصلاة والسلام مقدار قرب الشمس من الخلائق، وقد وضح عليه الصلاة والسلام النتيجة من عملية قرب الشمس، فقال:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٦/١٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٥/١٧.

((فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ....

شبه عليه الصلاة والسلام قرب الشمس يوم القيامة من أهل الموقف بقرب المسافة الكائنة بالميل أو قرب ما يكتحل به من العين.

والغرض من التشبيه بيان مقدار قرب الشمس يوم القيامة، والحث على الاستزادة من الأعمال الصالحة لأ ا الأساس، والمعول عليها في نسبة العرق وفي سرعة المرور على الصراط كما سبق وقد أتى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذكر دنو الشمس من الخلائق بيان حال الناس في ذلك اليوم العظيم، ليزداد المحسن إحساناً وينجو من حر ذلك اليوم، ويرجع المسيء فيعمل صالحاً يقربه من ربه.

*** الموت يوم القيامة:**

جاء الحديث الثامن تصويراً للهيئة التي يكون عليها الموت يوم القيامة، فبعد أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار يؤتى به على هيئة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح))(1).

هذا الحديث بيانُ أن نعيم أهل الجنة دائم، وعذاب أهل النار دائم، يؤتى في ذلك اليوم العظيم بالموت ـ الذي نغص على أهل السعادة في الدنيا سعاد م، ذلك المخلوق المخيف الذي يلاحق كل جة فيفسدها وكل صفو فيكدره، أقلق الملوك والأثرياء ـ على هيئة كبش أملح فيذبح، لتكتمل النعمة والسعادة لأهل الجنة، فهم فيها خالدون، وتعظم الحسرة والندامة لأهل النار فهم فيها خالدون.

صورة ذات شقين من التأثير في طرفين مختلفين، سعادة لا يفوقها سعادة لأهل الجنة، وبؤس وندم وحسرة مخيمة على أهل النار مزاوجة حسية ونفسية، ثم ينادى بأهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ....

---

(1) المصدر السابق ١٧ /١٨٦.

شبه عليه الصلاة والسلام الموت يوم القيامة بكبش أملح يؤتى به فيذبح بجامع الحسية في كلٍ.

والغرض من هذا التشبيه: تحسين صورة المشبه والتجسيد لها ليتم التصديق أن الموت قد مات وهذه أمور غيبية يجب التصديق ا دون شك أو ريبة.

وأرى أنه عليه الصلاة والسلام جاء بالمشبه به ((كبش)) دون غيره من الأنعام إيحاء بضعفه واستسلامه، وقد يكون ذلك لأن الأغنام أكثر ذبحاً من غيرها، فالسامع لهذا الحديث قد رأى صورة ذبح الأغنام أكثر من غيرها من الحيوانات، والله أعلم.

والتشبيه يكشف لنا الهيئة والكيفية التي سيؤتى بالموت عليها يوم القيامة على مرأى من الناس جميعا.

*** أول زمرة تجتاز الصراط:**

الحديث الأول: ((هو وصف لأول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة، وقد سبق في المبحث السابق وصف سرعة المؤمنين على الصراط)) كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير ....

أما هذا الحديث فهو وصف لألوان وجوههم ومدى إشراقها، هذا ما ذكره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في رواية جابر بن عبد الله:

((......... وعلى الجسر كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ثم الذين يلو م كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة ....))[1].

بين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجوه المؤمنين عند دخول الجنة حيث ذكر أول زمرة تدخل فنعتهم بأن وجوههم كالقمر ليلة البدر في قوة الإضاءة والجمال والنقاء وهؤلاء عددهم سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلو م بالنسبة لمراعاة الحسنات، ويكونون كأضوأ نجم في السماء وهكذا . ويأتي مزيد من التوضيح والوصف في رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٤٩/٣.

((إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلو م على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزوارجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجلٍ واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء...))[1].

وهذا من التشبه المتعدد.

المبحث الثاني:

التشبيهات الواردة في وصف الجنة وأهلها:

الجنة دار السعادة، جعلها ـ سبحانه ـ مقراً لأوليائه، أنزل فيها رحمته، أهلها صفوة الخلق، آمنوا به في الدنيا واتبعوا المرسلين، فكانت لهم جزاءً وثواباً.

وقد جاء في صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ عدة أحاديث تتحدث عن الجنة وتصف أهلها وما هم فيه من النعيم.

أما الصور التي تعنينا في هذه الدراسة فقد جاءت تسعة تشبيهات كانت وصفاً لأمور غيبية لم تحدث بعد، ولكن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقر ا للأذهان بصورة محسوسة. حيث بين فيها ألوان وجوه أهل الجنة عند دخولهم لها،كما بين ـ عليه السلام ـ شيئاً من أحوالهم فأكلهم جشاء ورشح، لا يتوقفون عن التسبيح والتحميد، وأن أقواماً دخلوا الجنة قلو م رقيقة كقلوب الطير، ثم جاءت عدة تشبيهات تصور حال آخر من يدخلون الجنة بعد أن كانوا في النار فترة شاءها الله، فأجسامهم ضعيفة محترقة يغيرها الله سبحانه بصور حسنة وجميلة.

معان عظيمة كشف عنها بأسلوب بليغ، ثم اختار المشبه به ببراعة ومعرفة بخصائص الأشياء، الأمر الذي أدهش السامعين حتى قالوا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((كأنك كنت ترعى بالبادية !)).

عشرة تشبيهات جاءت جميعها مرسلة، جاءت أدوات التشبيه كما يلي:

جاءت((الكاف)) سبع مرات.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧١/١٧ ـ ١٧٢.

جاءت ((كأن)) مرتين وذلك في وصف آخر أهل الجنة دخولاً، مرةً حال خروجهم من النار، ومرةً بعد أن اغتسلوا من ماء الحياة.

كما جاءت الأداة ((مثل)) مرة واحدة.

إن هذه التشبيهات مرسلة باعتبار وجود الأداة، وهي تشبيهات مجملة لأن وجه الشبه تم حذفه.

ونلحظ أن المشبه به ((نبات الحبة)) تكرر معنا في كيفية بعث الخلق ليوم القيامة، فهم ينبتون نبات البقل، وهنا أتى المشبه به نفسه "نبات الحبة" لبيان عودة الحياة إلى الذين أخرجهم الله من النار، ووجه الشبه سرعة النمو في كلٍ.

وقد روى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، قال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرةً[١] عليه فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل من الأنصار[٢] فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((سبقك ا عكاشة))[٣].

فضل عظيم تجسد عن طريق التشبيه، ما العمل الذي فعلوه فاستحقوا هذا الأجر؟ هذا ما تجيب عليه رواية الإمام مسلم عن ابن سيرين قال: حدثني عمران قال: قال نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: ((هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ر م يتوكلون، فقام عكاشة ....))[٤].

هذه صفا م ويوم القيامة تلك حالهم إضاءة ونقاء وصفاء.

---

(1)النمرة: كساء فيه خطوط بيض وسود وحمر كأ ا أخذت من جلد النمر وهي من مآزر العرب (ينظر الحاشية ص٣/٨٩).

(2)هذا الرجل قيل أنه سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ ينظر: (حاشية الصحيح ٨٩/٣).

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ٨٨/٣.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٠/٣.

والغرض من هذه التشبيهات بيان مقدار إضاءة وبياض وجوه المؤمنين يوم القيامة، وفي هذه الروايات حث ودعوة على العمل الصالح.

*** مصير طعام وشراب أهل الجنة:**

والحديث الثاني جاءت الصورة التشبيهيه جواباً لسؤال يدور حول أكل أهل الجنة وشرا م كيف يتخلصون منه وهم لا يبولون ولا يتغوطون وبين ـ كذلك ـ أ م في تسبيح وتحميد مستمر.

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطّون، ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام ؟ قال: ((جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس))[١].

هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام جانباً من ذلك النعيم في الجنة، فقد أعطاهم ما يحبون وأبعد عنهم ما يؤذيهم من تفال، وبول .... الخ.

((ومذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعماً دائماً لا آخر له ولا انقطاع أبدا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلاّ ما بينهما من التفاضل في اللّذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلاّ في التسمية، وأصل الهيئة، وإلاّ في أ م لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون، وقد دلّت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبداً))[٢].

هذا مذهب أهل السنة الواجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاده، فالجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والتشبيه وارد في قول المصطفي رداً على سؤال الصحابة:

---

(1) المصدر السابق ١٧٣/١٧ ـ ١٧٤.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٣/١٧ ـ ١٧٤ "الهامش".

((جشاء أو رشح كرشح المسك)).

فالطعام والشراب تغيرت صفاته بعد الأكل في الجنة، فهو عبارة عن رشح يضيف إلى الجسم رائحة جميلة زكية كرشح المسك.

فشبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما يخرج من أجسادهم نتيجة الطعام والشراب برشح المسك في الرائحة الطيبة الزكية.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبه، وأن نعيم الجنة لا يعتريه شيء مما يعتري نعيم الدنيا.

ثم قال في اية هذا الحديث ((يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس)).

النفس أمر لا دخل للإنسان فيه شهيق وزفير دون توقف، وأهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كذلك.

وقد أخبر سبحانه أ م يحمدون في الجنة بقولهم:

﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنَّا الحزن إن ربنا لغفور شكور، الذى أحلنّا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسُّنا فيها لغوب﴾[١].

حيث شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلهام التسبيح والتحميد في الجنة بإلهام النفس بجامع عدم الانقطاع والاستمرار دون ملل، قال تعالى:

﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لو لا أن هدانا الله﴾[٢].

فالحمد والثناء والت يه لله رب العالمين مستمر من أهل الجنة شكراً.

ونلحظ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحدث عن الغذاء الجسدي، وهم ليس بحاجته وإنما تلذذ ليس عن جوع ولا ظمأ فقد ذكر اللذة الأخرى التي كانوا يتلذذون ا وهي الذكر فقر ما عليه الصلاة والسلام.

*** بعض أهل الجنة:**

---

(1)سورة فاطر آية: ٣٤، ٣٥.

(2)سورة الأعراف آية: ٤٣.

والحديث الثالث بيان لصنف آخر من أهل الجنة اتصفوا بهذه الصفة وهم في الدنيا، فقلوبهم رقيقة دائمة الخوف، نقية، يخافون عقاب الله.

عن أبي هريرة عن ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير))[١].

هذا بيان لقوم يدخلون الجنة بقلوب امتلأت من خشية الله حتى رقت ونظفت وضعفت، تتأثر بكل شيء جاء عن الله وعن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهم عالمون عاملون لله متقون، هم أشد الناس خشية لله، يرجون رحمته، ويخافون عذابه قال الله ـ تعـالى ـ:

﴿إنما يخشى الله من عباده العلمؤا﴾[٢].

وفي قصص السلف الصالح من هذه الأمة دليل واضح على مدى خوفهم من الله ومدى رقة قلوبهم عند سماع وعيده واستجابتهم ورغبتهم عند سماع وعده[٣].

والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشبه أفئدة قوم يدخلون الجنة بأفئدة الطير في الرقة والضعف والخوف والرهبة، لأن الطيور أكثر المخلوقات خوفاً وفزعاً، وقد يكون في التوكل على الله، والله أعلم.

والغرض من التشبيه:

مدح المشبه وبيان منزلته، والحث على الخوف من الله ـ عز وجل ـ لأن الخوف طريق من طرق النجاة.

*** آخر من يدخلهم الله الجنة من أهل النار:**

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٦/١٧ ـ ١٧٧.

(2)سورة فاطر الآية: ٢٨.

(3)ينظر "صفة الصفوة" لابن الجوزي مثلاً.

أما الرابع الخامس فهو بيان لمن يخرجهم الله برحمته من النار ويدخلهم الجنة، وقد تعددت الروايات في ذلك وسأذكر رواية واحدة أبين فيها الصورة وأبين سعة رحمة أرحم الرحمين، وبقية الصور في الروايات الأخرى سأكتفي بذكر الصور خشية الملل.

عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ .... حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجون من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله ـ تعالى ـ أن يرحمه ممن يقول لا إله إلاّ الله، فيعرفو م في النار. يعرفو م بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلاّ أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا[١]، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله ـ تعالى ـ من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها، فيدعو الله، ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول: الله ـ تبارك وتعالى ـ: هل عسيت أن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره، فيقول: لا أسأل غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلي باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم ما أعذرك، فيقول: أي رب ويدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفقهت[٢] له الجنة، فرأى ما فيها من الخَير[٣] والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة، فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ له: أليس قد أعطيتك عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما

---

(1)امتحشوا: احترقوا.

(2)انفقهت: انفتحت واتسعت.

(3)الخير وجاء في بعض الروايات "الخبر" وهو السرور.

أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أعذرك، فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله ـ تبارك وتعالى ـ منه، فإذا ضحك الله منه قال: أدخل الجنة، فإذا دخلها، قال الله له: تمنه ،فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله ـ تعالى ـ : ذلك لك ومثلُه معه)).

وفي رواية أبي سعيد: ((وعشرة أمثاله معه))[1].

جاء في هذه الرواية تصوير لمن يخرج من النار برحمة الله ـ تعالى ـ وقد جاء هذا التصوير بألفاظ متقاربة في روايات أُخر.

ففي رواية أبي هريرة:

((فَيخرجون من النار وقد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل))[2].

وفي رواية أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ يتحدث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هؤلاء الذين يخرجهم الله من النار ليدخلهم الجنة برحمته، ثم يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فيلقيهم (أي الله) في ر في أفواه الجنة يقال له ر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترو ا تكون إلى الحجر أو إلى الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض". فقالوا: يا رسول الله كأنك ترعى بالبادية. قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقا م الخواتيم يعرفهم أهل الجنة))[3].

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري:

((يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجوه، فيخرجون منها حمماً

---

(1) ((صحيح مسلم بشرح النووي)) ١٧/٣ ـ ٢٥.

(2) المصدر السابق ١٠ ـ ١١.

(3) المصدر السابق ٣٢/٣ ـ ٣٣.

قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية))[١].

وفي رواية وهيب:

((كما تنبت الحنة في حمئة السيل))، وفي حديث خالد ((كما تنبت الغثاءة في جانب السيل))[٢].

وفي رواية جابر:

((ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه ....))[٣].

وفي رواية يزيد الفقير:

((........ فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس))[٤].

هذه روايات عدة تحدثت عن خروج أناس من أهل النار إلى الجنة، ففي أكثر الروايات الواردة شبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجوع هؤلاء القوم الذين أخرجهم الله برحمته من النار ليدخلوا الجنة إلى صورهم الحقيقية قبل دخول الجنة بنبات الحبة في حميل السيل أو حمئة السيل.

وجه الشبه: الإسراع في النمو والضعف والطراوة والحسن.

والغرض من التشبيه: بيان الحال التي يكونون عليها بعد الخروج وقبل دخول الجنة.

فهذه المعاني مستمدة من البيئة العربية، فهذا التصوير البياني الدقيق أدهش السامعين وأثار إعجابهم حتى سألوه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ((كأنك كنت ترعى الغنم بالبادية)).

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٣٥/٣ ـ ٣٦.

(2)المصدر السابق ٣٦/٣ ـ ٣٧. والحمئة: الطين الأسود الذي يكون في أطراف النهر.

(3)المصدر السابق ٤٩/٣.

(4)المصدر السابق ٥١/٣ ـ ٥٢.

وفي رواية قال رجل من القوم: كأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((قد كان بالبادية))[١]، ثم جعلهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كاللؤلؤ في التلألؤ والصفاء.

أما الرواية الأخيرة، فقد أشار من خلال التشبيه إلى الهزال والضعف الذي يتصفون به عند خروجهم من النار فشبههم عليه الصلاة والسلام بعيدان السماسم في السواد والضعف، والسماسم: جمع سمسم: وهو النبات المعروف والله أعلم [٢].

اختيار موفق للعناصر، مليء بالإيحاء والتعبير قام بتوضيح المعنى المراد أبلغ توضيح .

أما التشبيه الثاني في هذه الرواية الأخيرة فقوله:

((فيخرجون كأ م القراطيس)).

شبههم عليه الصلاة والسلام بعد اغتسالهم من ر الحياة وزوال ما كان عليهم من السواد بالقراطيس في شدة بياضهم.

وفي رواية: ((فيخرجون كاللؤلؤ .....)) وهذا مثل الذي سبقه.

الغرض بيان حال أولئك القوم.

((فالحديث على الرغم من طوله النسبي صورة فنية رائعة تحدر ا لسان أديب مطبوع ثم أليس هؤلاء الذين نقلوا بعض صوره الخالدة إلى قصصهم الفني في الشرق والغرب معذورين حين وردوا أعذب مورد من البيان الرفيع))[٣].

((والحديث مشهد حي استكمل كل عناصر الحيوية، فالحوار المثير والمفاجآت الفخمة، والتشبيهات الرائعة، كل ذلك مما زخر به هذا النص الجميل........))[٤].

المبحث الثّالث:

التشبيهات الواردة في وصف النار وأهلها:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٣٧/٣ ـ ٣٨.

(2)المصدر السابق ٥١/٣ ـ ٥٢ "الهامش".

(3)البيان النبوي د/محمد رجب البيومي ص١٥٣.

(4)التصوير الفني في الحديث د/الصباغ ص٢١٩.

خلق الله النار وجعلها مصير أعدائه، فيها جميع أصناف العذاب، والأحاديث التي تتحدث عنها كثيرة جداً، قد وصفها عليه الصلاة والسلام ووصف أهلها بطرق مختلفة من الأساليب تحذيراً وتخويفاً، ودراستنا منصبة على الصور التشبيهيه، وقد وجدت خمسة تشبيهات، سأتناولها بالتحليل ـ إن شاء الله ـ وقد اختلفت الموضوعات التي جاء التشبيه في سياق الحديث عنها، فقد جاء في وصف جهنم وبخاصة للشكل الخارجي لكلاليبها، ومقدار حرها وأ ا تسعة وستون جزءاً كل جزء منها مثل حر نار الدنيا. كما جاء وصف للصراط.

أما المعذبون فيها فأجسامهم اختلفت أحجامها فضرس الواحد منهم مثل الجبل.

وفي اية المبحث أوردت حديثاً بين فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما رآه في الجنة من خير، وما رآه في النار من شر.

خمسة تشبيهات جاء منها تشبيه بليغ وذلك في وصف الصراط بأنه دحض مزلة.

أما التشبيهات الأربعة الأخرى، فهي مرسلة باعتبار ذكر الأداة ،

وقد جاءت الأداة ((مثل)) ثلاث مرات.

أما الأداة ((الكاف)) فجاءت مرةً واحدة.

وجميع تشبيهات هذا المبحث مجملة.

وهذه الصور التشبيهيه جاءت في أربعة أحاديث مفرقةً في صحيح مسلم.

وصف كلاليب جهنم:

عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال: رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ .... فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون

أنا وأمتي أول من يجير ولا يتكلّم يومئذ إلاّ الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب[1] مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا :نعم يا رسول الله، قال: فإ ا مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلاّ الله تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن نجى بعمله، ومنهم ا ازى حتى ينجى، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ....))[2].

وجاء هذا المعنى في رواية أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في قوله عليه الصلاة والسلام:

((ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: ((دحض مزلّة[3]، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[4] تكون بنجد فيها شويكةُ يقال لها السعدان، فيمر المؤمن كطرف العين.........))[5].

شبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في رواية أبي هريرة - الكلاليب الموضوعة على الصراط في جهنم - وهذا أمرغيبي - بشوك السعدان الذي لا يجهله الصحابة، ويعرفونه حق المعرفة، ولذلك قال لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -: هل رأيتم السعدان ؟ قالوا: نعم يا رسول الله: فإ ا مثل شوك السعدان، ولكن يختلف الحجم.

ووجه الشبه: الشكل الخارجي ذو الزوائد في جميع الاتجاهات.

وقد أثار هذا التشبيه النبوي إعجاب الصحابة، وذلك لبلاغته في قوة الجمع بين أمر غيبي وأمر محسوس لتجلية المعنى وتقريبه للأفهام ((كأنك كنت ترعى بالبادية))[6].

---

(1)الكلاليب: جمع كلّوب، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور....

(2)ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٣ - ٢٥.

(3)دحض مزلةٌ: بتنوين دحض وداله مفتوحة والحاء ساكنة، ومزلّة بفتح الميم وفي الزاي لغتان مشهورتان الفتح والكسر،والدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(4)حسك: بفتح الحاء والسين وهو شوك صلب من حديد ذكره النووي، وقيل: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد (ينظر عمدة القاري : ٣٢/٢).

(5)((صحيح مسلم بشرح النووي)) ٢٩/٣.

(6)صحيح مسلم بشرح النووي ٣٣/٣.

والغرض من التشبيه بيان صورة المشبه، والتخويف والتهويل من أمر تلك الكلاليب، وقد وردت الصورة البيانية عن طريق التشبيه في رواية أبي سعيد عندما تحدث ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الصراط فقال: ((دحض مزلة)) فقد حذفت الأداة ووجه الشبه مبالغةً في قوة العلاقة والمشا ة بين المشبه والمشبه به.

وعقّب الدكتور محمد رجب على هذا الحديث بقوله:

((والجسر ما صفته ؟ وماذا يعترض من الأهوال، وما حال العابرين على اختلاف منازلهم على الصراط ؟ ألم يتكفّل الحديث بتصوير ذلك أبدع تصوير حين قال عنه:

دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم،أهناك وصف للصراط أبلغ مما قال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ وقد تحدث عنه في أقل من ثلاثة أسطر حديثاً يرج النفس بأهواله الثقال!))[1].

هذه صورة الصراط الذي جعله رب العزة والجلال طريقاً إلى الجنة، فمن مر ونجا من السقوط فهو ناج، ومن سقط من على ظهره فهو نار جهنم، وقد بين لنا الحديث الشريف أقسام المؤمنين في العبور، ثم بين لنا أقسام الناس الذين يتوجهون إليه فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، والتكديس هو كون الأشياء بعضها فوق بعض.

هذا الجسر العظيم المتصف بكونه أدق من الشعرة وأحد من السيف، الدحض المزلّة الذي تزل فيه الأقدام، وينعدم استقرارها، المتضمن للخطاطيف التي تخطف الناس، والكلاليب المعيقة للحركة، وكذلك الشوك، يمر المؤمنون فوقه زمراً على حسب أعمالهم فمنهم من شابه طرف العين، ومنهم من شابه وميض البرق، ومنهم من شابه الريح.................

هذا حال المؤمنين فكيف صنف الحديث بقية أهل المحشر ؟

---

(1)البيان النبوي د/محمد البيومي، ص١٥٢.

لقد جعلهم على ثلاثة أصناف ناج مسلّم دون أي إعاقة تحول بينه وبين عبوره، ومخدوش مرسل تعرض لبعض الموانع والإعاقات، ولكنه في النهاية ينجو، ثم مكدوس ـ والعياذ بالله ـ في نارجهنم.

صورة عظيمة كانت نتاج خلط للوصف والتشبيه والموازنة.

حيث وصف الحديث الصراط بقوله: ((دحض مزلّة، فيه خطاطيف وكلاليب....)).

ثم وازن ليزيد الصورة وضوحاً فقال((أدق من الشعرة وأحد من السيف ....)).

أما التشبيه فهو تشبيه مرور المؤمنين على حسب أعمالهم.

الحديث الثاني: شدة حر جهنم :

وصف لجهنم وبيان لمدى حرها، وكان التوضيح بالعدد، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم "قالوا: والله إن كانت لكافيةً يا رسول الله، قال: ((فإ ا فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها))[1].

وصف لمدى تلك الحرارة اتخذ العدد طريقاً للبيان والتوضيح، ثم ج الموازنة بحر الدنيا ((ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم))، والصحابة يدركون ويعلمون حر نار الدنيا وشد ا، فيخاطبون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقولهم: ((والله إن كانت لكافية أي لو كان حر نار جهنم مثل حر نار الدنيا لكانت كافية للعذاب لعدم الاستطاعة في تحملها فيأتي الجواب المخيف المفزع لبيان قوة حر نار جهنم متخذاً التشبيه أسلوب بيان لها ((فإ ا فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها)).

إ ا مخيفة حقاً ليس غريباً فهي مقر من غضب الله عليهم، نار الآخرة تسعة وستون جزءاً كل جزء مثل نار الدنيا في الحرارة والقوة.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٩/١٧.

يشبه عليه الصلاة والسلام حر نار الدنيا بحر جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة. وجه الشبه الشدة والقوة.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار حرارة نار جهنم، والتنفير من نار الآخرة ليحذر المسلم كل ما يقربه منها.

هذا مدى قوة حرها فما حال الكافر فيها وهل بقى كما كان عليه من الشكل والصورة في الحياة الدنيا أم تغير كما تغير المؤمنون ؟ هذا ما يجيب عليه الحديث الآتي في تصوير عذاب الكافرين.

عذَاب الكافر في النار:

يجيب عليه الحديث الثالث. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث))[1].

النار مقر الفجار، جعلها الله لهم مكاناً وداراً مع صنوف العذاب النفسي والحسي، وهذه الرواية يبين لنا فيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحال التي يصير إليها جسم الكافر من بشاعة وعظم خلقه ليزداد في التعذيب والإيلام، وكان ذلك الوصف من خلال ذكر حجم الضرس وسماكة الجلد.

وفي رواية أخرى:

((......ما بين منكبي الكافر في النار ثلاثة أيام للراكب المسرع))[2].

شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضرس الكافر أو نابه بجبل عظيم، وهو جبل أُحد، وهو من أكبر جبال المدينة، أي أن ضرس الكافر في النار يكون في الجحم مثل جبل أُحد لزيادة العذاب ويكون الجسم متناسقاً كما ورد في بقية الحديث من ذكر سمك جلده، وبعد ما بين منكبيه إ ا صورة عظيمة مخيفة جاءت على صورة التشبيه للتقريب للأفهام، فكلنا يعرف جبل أُحد تبين المعنى من خلال التشبيه المرسل ا مل المعقود بين طرفين حسيين.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٨٦/١٧.

(2)المصدر السابق ١٨٦/١٧.

((تشبيه مفزع مخيف يصور بشاعة منظر الكافر إلى جانب العذاب الأليم الذي يعانيه وهي صورة غيبية لا ينتهي تعجبنا منها ودهشتنا))[١].

والغرض من هذا التشبيه: بيان مقدار العذاب الذي سيلحق بالكافر في جهنم، فجلده مسيرة ثلاث، جلد عظيم، وسيتم حرقه مرات لا يعلمها إلاّ الله، وفي كل مرة يتم تغيره قال تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [٢].

وأرى أنه تم اختيار جبل أُحد دون غيره من جبال مكّة والطائف لأنه جبل معروف بالمدينة لدى جميع المسلمين وله ارتباط بالمسلمين في تاريخهم، والله أعلم.

هذه أحاديث القيامة، وصف لذلك العالم الغيبي الذي سيكون لا محالة، ولا شك أن الأحاديث الواردة في القيامة وما يقع فيها من أحداث جسام من البعث والحساب والجنة والنار ستقع كما أخبر عنها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أخبر صلوات ربي وسلامه عليه لأنه كُشف له الحجاب وعرضت عليه الجنة وما فيها من النعيم، والنار وما فيها من العذاب الأليم، وهذا ما يكشف عنه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال الراوي: فما أتى على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أشد منه قال: غطوا رؤسهم ولهم خنين.........))[٣].

والتقدير في تشبيهه عليه الصلاة والسلام: لم أر خيراً كالخير الذي رأيته اليوم في الجنة ولا شراً أكثر مما رأيته اليوم في النار.

ونلحظ تأثر الصحابة ذا الحديث ((غطوا رؤسهم ولهم خنين...)).

فالخير كل الخير في الجنة، والشر كل الشر في النار ـ نعوذ بالله ـ ، والغرض من التشبيه بيان كثرة خير الجنة وأنه خير لم ير مثله، وكثرة شر النار وأنه لم يعرف له مثيل.

---

(1)((التصوير الفني في الحديث النبوي)) ، د/ الصباغ، ص٥٥٣.

(2)سورة النساء آية: ٥٦.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ١١٢/١٥ ـ ١١٣.

وقد أدت جميع تشبيهاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغرض منها أبلغ تأدية بأوضح لفظ وأجمل صورة تقريباً للأفهام ترغيباً وترهيباً وبياناً للأحوال والمقادير.

التشبيه الضمني:

هو ما لم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطّريقة المعلومة، بل يفهم من معنى الكلام وسياق الحديث.(١)

أي أن الكاتب أو الشاعر ينحو منحى من البلاغة يوحي فيه بالتشبيه من غير تصريح، يفعل ذلك نزوعاً إلى الابتكار، وإقامةً للدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه، ورغبةً في إخفاء التشبيه، لأن التشبيه كلما دق وخفي كان أبلغ وأشد تأثيراً في النفس.

يأتي هذا الأسلوب عندما يؤتى بمعنى من المعاني وقضية من القضايا ثم يرى أن يأتي لها ببرهان ودليل ويقيم عليها الحجة.

قال أبو تمّام (٢) :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

نجد أن المعنى الذي قصده الشاعر قد تمّ وكَمل، ولكنه أحس بأن هذا القول يحتاج إلى حجة، فأنىّ للحسود أن يكون سبباً في انتشار الفضيلة التي طويت وغُيبت؟ فالشاعر بحاجة ماسة إلى دليل وحجة تصدق قوله، فقال:

لو لا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

ألا ترى كيف تمكن الشاعر ببراعة الأسلوب إلى تثبيت المعنى الأول في نفسك وأزال كل ما علق فيها من شك وشبهة، وأنت إن عدت إلى نفسك وجدت تشبيهاً على صورة لم تكن معهودة رأيت تشبيهاً رائعاً بديعاً لا يقل أثراً في النفس عن بقية التشبيهات الصريحة.

أسلوب عظيم يشترك في تذوقه الفكر والوجدان معاً،ولا عجب في ذلك فهو ضمني.

وقد ورد في أحاديثه عليه الصلاة والسلام تشبيهات ضمنية في موضوعات متفرقة تدور حول محارم الله، الدنيا، والمرأة، والجهاد............ الخ.

---

(1)((علوم البلاغة)) أحمد المراغي، دار الكتب العلمية، ط٣ ١٤١٤هـ ، ص٢٣٤.

(2)((الديوان))/٨٥، ديوان المعاني ٤٦/١.

والحديث الأول: حمى الله محارمه:

ويدور حول استحباب ترك المشتبهات وأن مواقعة الشبهات طريق للوقوع في الحرام، وأن المحارم حمى الله الذي يجب ألاّ ينتهك.

عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألاّ وإن لكل ملك حمى ألاّ وإن حمى الله محارمه ألاّ وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألاّ وهي القلب))[1].

ورد في هذه الرواية صورتان:

الصورة الأولى قوله:((ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه))وهذا تشبيه تمثيلي يأتي تحليله والكلام حول بلاغته في بابه إن شاء الله .

أما الصورة الثانية وهي التي منا في هذا المبحث فهي قوله:

((ألا وأن لكل ملك حمى ألا وأن حمى الله محارمه))

يرى الشريف الرضي أن هذا تشبيه صريح يقول:

((وهذا الكلام مجازاً لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ شبه ما حظره الله ـ سبحانه ـ من محارمه بالحمى الذي يحميه ذو السلطان والملكة من مواقع السحاب ومنابت فلا ترعى فيه إلاّ إبله، ولا يـ ل به إلاّ حيه))[2].

ويرى الدكتور فتحي فريد أنه تشبيه ضمني، يقول:

((أي كما لكل ملك من الملوك حمى يتمثل في قيامه على شئون دولته، وحمايته لكل فرد فيها، ودفاعه عنها ضد الأعداء والغاصبين، فإن لملك الملوك وسيد الكون حمى لا يصح الاقتراب منه، وهو كل ما حرم الله، فترى أن العبارة مبنية على التشبيه، ولكننا فهمنا التشبيه

---

(1)((صحيح مسلم بشرح النووي)) ٢٧/١١ ـ ٢٨.

(2)((ا ازات النبوية)) الشريف الرضي، ٩٧ ـ ٩٨.

من مضمون الكلام، ولذا كان التشبيه ضمنياً، وهو المعروف لدى البلاغيين بأنه: التشبيه الذي يفهم من سياق الكلام ولا يذكر فيه أي شيء ينبئ عن التشبيه))[١].

ولا يخفى أن هذا التشبيه ضمني كما صرح به الدكتور فريد.

***طبيعة الخيانة في المرأة:**

الحديث التالي يدور حول وصف المرأة بالخطأ، وأنه أمر جبل النساء عليه.

عن أبي هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((لو لا حواء لم تخُن أُنثى زوجها الدهر))[٢].

معنى الحديث ((أ ا أم بنات آدم فأشبهنها، ونزع العرق لما جرى لها في قصة الشجرة مع إبليس فزين لها أكل الشجرة، فأغواها فأخبرت آدم بالشجرة فأكل منها))[٣].

فالحديث تشبيه ضمني جاء الطرفان في درج الكلام إيحاءً حيث شبه عليه الصلاة والسلام بنات حواء بأمنا حواء ـ عليها السلام ـ في مطاوعة الشيطان وتسهيل الغواية وإتقان أساليب الإغراء، فمن حبائل الشيطان.

والغرض من التشبيه التذكير بقصة آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ في الجنة، وما كان من أكلهما للشجرة ليأخذ كل إنسان حذره من الشيطان.

*** تشبيهات أفعل التفضيل:**

الحديث الثالث:

صورة مغايرة للصورتين السابقتين حيث اعتمد التشبيه فيها على أفعل التفضيل، وأن أفعل التفضيل من أدوات التشبيه.

جاء في عروس الأفراح للسبكي قوله:

((وأشار الطيبي إلى أن من أدوات التشبيه أفعل التفضيل مثل زيد أفضل من عمرو))[٤].

---

(1)((صور من البيان القرآني والنبوي)) د/فتحي فريد ٧٦ ـ ٧٧.

(2)((صحيح مسلم بشرح النووي)) ٥٩/١٠.

(3)المصدر السابق ٥٩/١٠ "الهامش".

(4)ينظر: شرح التلخيص ـ عروس الأفراح ٣٩٢/٣.

وقد أورد صاحب كتاب ((فن التشبيه)) عدداً من الشواهد المؤيدة لهذا الرأي[١].
ويدخل هذا النوع من التشبيه ((في ضرب آخر من ضروب التشبيه الذي يسميه البلاغيون: التشبيه الضمني، وهو ما لا يكون التعبير فيه نصاً في التشبيه، وإنما بنيت العبارة عليه، وطوته وراء صياغتها، فأنت تراه هناك مضمراً مكتوما كما تقول : هو أقطع من السيف، وتلك المسألة أبين من الصبح، أو هو أخو السيف ، أو قرين الأسد، أو هي ضرة الشمس، أو يطلع بين عينيها البدر أو كما يقول الفرزدق:

أبي أحمد الغيثين صعصعة الذي   متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر

.... فحين تقول ليس البدر أ ى من طلعته، تكون قد طويت تشبيهاً في داخل العبارة، ولكنك لم تجر الكلام على التشبيه، ولم تقل هو كالبدرفي ائه وجلاله، وإنما أوهمت أنك بصدد المقارنة بينه وبين البدر في اء الطلعة، أما عقد التشبيه فذلك أمر مفروغ منه، وكأنه لا مناقشة فيه.

وكذلك الفرزدق حين قال ((أبي أحمد الغيثين))، يرتفع بالمعنى درجةً فوق التشبيه، وكأن هدف العبارة ليس بيان أن أباه يشبه الغيث في وفرة العطاء، وإنما الغرض من الكلام أن يخبر عن فضل أبيه على الغيث))[٢].

وقد ورد على هذا النسج من البيان أحاديثُ كثيرة تضمنها صحيح مسلم، في موضوعات مختلفة.

أولها: عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((قال الله كل عمل ابن آدم له إلاّ الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به........ والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك))[٣].

---

(1)ينظر: فن التشبيه، لعـلي الجنـدي، مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ، ٢٠٣/١ وما بعدها.
(2)التصوير البياني، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص٧٤ـ٧٥.
(3)((صحيح مسلم بشرح النووي)) ٢٩/٨ ـ ٣١.

هذا المعنى يبين لنا فيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أفضلية خلوف فم الصائم، وحب الله له، فخلوف الصائم فوق ريح المسك ((أطيب عند الله من ريح المسك)).

فمجيء هذا المعنى عن طريق هذا النسق من التشبيه أدى الغرض المقصود، فهو فوق الجمع بين المسك وخلفة فم الصائم في طيب الرائحة وأرجها وعلو الخلفة عليه، وفيه ذيب للنفوس فلا تنخدع بالمحسوسات وإنما العبرة بالحقيقة، وفيه ـ أيضاً ـ دفع المسلم أن يحرص على تلك الخلفة ففيها مرضاة ربه، فشأن المؤمن أن يقترب إلى ربه بكل شيء يقربه منه.

ثانيهما: حقارة الدنيا:

ورد في بيان حقارة الدنيا وهوا ا على الله، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفتيه[١]، فمر بجدي أسك[٢] ميت، فتناوله، فأخذه بأذنه، ثم قال:

((أيكم يحب أن هذا له بدرهم، فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟، قال: ((أتحبونه أنه لكم ؟ ((قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت ؟ فقال : ((فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم))[٣].

الحديث توضيح لحقارة الدنيا ودناء ا، وسلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ طريقاً لتثبيت هذا المعنى بضرب المثل على ذلك الجدي المنتن المعاب لتقرير ما يريد الاستدلال به. ففي أخذه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأذن الجدي الأسك الميت المتعفن بالغ الأثر في بيان حقارة الدنيا، وما دار من حوار بينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ والصحابة.

تشبيه عظيم ثبت المعنى وقرره، فالتشبيه الضمني في هذا الحديث قد أدى الغرض أبلغ تأدية وأوضحها، فقد شبه عليه الصلاة والسلام هوان الدنيا وحقار ا على الله وان ذلك الجدي الأسك الميت وحقارته على النفس البشرية.

---

(1)كتفتيه: جانبيه.

(2) أسك: أي صغير الأذنين.

(3) ((صحيح مسلم بشرح النووي)) ٩٣/١٨.

معنى يجب أن يعرف، ثم تثبيته وتجليته بالتمثيل بعده، وهذا أسلوب عظيم ذو أثر بالغ في النفس، قال عبد القاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ عنه:

((تمثيل حرك النفوس إليه، ودعا القلوب إليه، .... ولما كان في جانب ذم الدنيا كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحده أحد.

((ولمّا كان في جانب العظة والاعتبار كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر أن يجلي الغيابة، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل ....))[١].

ثالثها:

بيان لأجر المرابط في سبيل الله: عن سلمان قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله))[٢].

((هذه فضيلة ظاهرة للمرابط،وجريان عمله عليه بعد موته مختصة به لا يشاركه فيها أحد))[٣].

وهذا الحديث من التشبيه الضمني كالحديث الذي سبقه. شبه عليه الصلاة والسلام الأجر الذي يناله المرابط في سبيل الله بالأجر الذي يناله من صام شهراً وقام ليله.

رابعها: رحمة الله بعباده:

روي عن عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(1) ((أسرار البلاغة)) ص١٠١ ـ ١٠٢.

(2) ((صحيح مسلم بشرح النووي)) ٦١/١٣.

(3)المصدر السابق ٦١/١٣ "الهامش".

((أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها))[١].

مقارنة من جميع الجوانب أبرزها الحديث وقررها في النفوس، مقارنة بين ما يشاهده وما يدور في خاطره من أفكار.

قال ابن حجر :((فيه ضرب المثل بما يدرك بالحواس لما لا يدرك ا لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب له المثل لا يحاط بحقيقته، لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك قر ا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :للسامعين بحال المرأة المذكورة))[٢].

حيث استخدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه الحادثة التي وقعت أمام الصحابة وما رأوه من منظر مؤثر ـ حقاً ـ قصة رائعة فرح وحب وحنان، أم تفقد صبيها الرضيع وقد امتلأ ثدياها باللبن، فإذا وجدت صبياً أخذته فارضعته، وبينما هي كذلك، إذ المفاجأة السارة التي تكاد تذهب بعقلها فرحاً وسروراً إذا ا تأخذ صبياً من هو؟ إنه صبيها بعينه، أخذته وأوثقته وألصقته ببطنها وألقمته ثديها.

إنه مشهد إنساني مؤثر رآه الصحابة، صورة واقعية، ز النفس هزاً، فاستولى عليهم العجب والدهشة، فاستغل عليه الصلاة والسلام هذا الموقف وعلق عليه تعليقاً يرسخ العقيدة ويثبتها في نفوس صحابته ((أترون هذه طارحة ولدها في النار)).

سؤال مثير جاء الجواب : لا مادامت قادرة على أن لا تطرحه، هنا يأتي دور مربي البشرية في غرس وتثبيت ما يريد تثبيته لأن النفس قد امتلأت بالحادثة وغرقت في بحر التأثر ((لله أرحم بعباده من هذه بولدها)).

موازنة بين أمرين أمر مشاهد واقعياً بكل ما يمكن أن يكون تجسيد لمعنى الرحمة، وأمر غيبي يريد الرسول تقريره وبيانه وهو رحمة الله تعالى بعباده.

وقد فُهم التشبيه من فحوى الكلام، أمر معنوي تم إبرازه في صورة أمر مشاهد.

خامسها: أجر قراءة القرآن:

---

(1)متفق عليه، فتح الباري ٤٢٦/١٠، واللفظ له.

(2)المصدر السابق ٤٣١/١٠.

ورد في الترغيب في قراءة القرآن والحث علي تعاهده وملازمته ومداومة تلاوته. فيقول عليه الصلاة والسلام:

((تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها))[1].

والتفصي هو التفلت، فهو يحث ويأمر بتعاهد القرآن والمداومة على مراجعة الحفظ، لأن ترك المراجعة يساعد على تفلته ونسيانه، وهو في ذلك أشد من الإبل، لأن الإبل دائمة التفلت ما أمكنها ذلك وسنحت الفرصة، ((فمتى لم يتعاهدها صاحبها برباطها تفلتت))[2].

فيشبه عليه الصلاة والسلام محاولة تفلت القرآن من صاحبه بالبعير الذي يخشى من شروده ونفوره فما دام صاحبه يتعاهده بالعقال فهو مأمون الجانب، أما إذا أُهمل شرد وهرب وصار في إمساكه وترويضه شيء من الصعوبة، وكذلك القرآن فمتى كان المسلم شديد المراجعة والقراءة في خلوته، وجليسه في وحدته، ومؤنسه في وحشته دام ذلك الحفظ وبقي، أما إذا ترك التعاهد نسيه، ووجد صعوبة في تذكره وإعادة حفظه.

نجد هذا المعنى جاء في هذا الحديث في درج الكلام ولم يتم التصريح به على سبيل التشبيه الضمني.

سادساً: فرح الله بتوبة عبده:

هذا التشبيه بدأ بقصة بتمهيد ومعنى يقرر فكرة فرح الله ـ تبارك وتعالى ـ بتوبة عبده حين يتوب إليه بصورة تشد المستمع مستخدماً عليه الصلاة والسلام أفعل التفضيل، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لله ما أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد

---

(1)متفق عليه، صحيح مسلم ٥٤٥/١، وفتح الباري ٧٩/٩، واللفظ له.

(2)فتح الباري ٨١/٩.

آيس من راحتله، فبينما هو كذلك، إذا هو ا قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح))[1].

هذه أحداث قصة رجل كان على راحلته ولفظ الراحلة يدل على ما فيها من قدره وقوة على التحمل بأرض فلاة لا أثر فيها لساكن أو سكن ((فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه)) أي فقد تلك الراحلة التي تحمل جميع مقومات الحياة، فأيس منها ((فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد آيس من راحلته)) أيس من العثور عليها بعد جهد وعناء في البحث، واستسلم للأمر الواقع ينتظر الموت ثم ينام تحت الشجرة فتولد الحياة في فم الموت فيستيقظ فيجد راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه.

صورة بلغت من الإبداع ما بلغت فاليأس في أولها في أعلى مراتبه والفرح في آخرها نال أعلى درجاته.

انتهت القصة بالمشهد الأخير في فصول مثيرة على الرغم من قصرها الشديد، ونلحظ في المشهد الأخير ((إذا)) الفجائية وما أدت وأضفت به على القصة من حبك، فالراحلة قد فاجأت الرجل بوقوفها، ((فأخذ بخطامها)) ألفاظ دقيقة أُستخدمت في مواضعها المناسبة شاركت في بث الحياة في القصة وصور ا أجمل تصوير، فقوله ((قائمة)) تصور أقوى مظهر للمفاجأة وأ ا عند رأسه فهو متمكن منها بعد يأس، فرحةٌ عظيمة نتجت من هذا الموقف، فاختلط عليه التعبير وخانته العبارة من شدة الفرح فأثنى على ربه الذي أعاد له تلك الراحلة بقوله ((اللهم أنت عبدي وأنا ربك)).

((فأخذها بخطامها)) دليل على المحافظة وشدة التمسك ا، فلم يقل ((تناول)) وإنما ((أخذ)) فأدت هذه الحكاية الغرض الذي سيقت من أجله لتقريب المعنى إلى الأذهان، لإدراك مدى فرح الله ـ عز وجل ـ بتوبة العبد.

باب من أبواب التمثيل طريقه التشبيه الضمني، صورة مقابل صورة أخرى، وفرح الله ـ تعالي ـ بتوبة العبد فرح يليق بجلاله وعظمته ومنهم من قال:

---

(1)متفق عليه، انظر: فتح الباري ١٠٢/١١ واللفظ له.

((إن إطلاق الفرح على الله مجاز يراد رضاه))[١]. بل نثبت فرحاً على حقيقته يليق به سبحانه وتعالى، وليس فرحاً كفرح ذلك الرجل وإنما جاء التمثيل لتأكيد هذا المعنى وتقريره. والله أعلم.

---

(1)فتح الباري ١٠٦/١١، وعمدة القاري ٢٨١/٢٢.

الباب الثاني

التشبيه التمثيلي

في بداية دراستي لهذا الباب تحدثت عن الفرق بين التشبيه والتمثيل من خلال عرض آراء أربعة من علماء البلاغة القدماء كان أثرهم واضحاً في التأليف البلاغي.

ثم قسمت هذا الباب إلى خمسة موضوعات ، حاولت في كل موضوع أن أجمع الأحاديث المتشا ة ، وهذه الموضوعات كما يلي :

١/ التشبيه التمثيلي في بيان الرسالة المحّمدية.

٢/التشبيه التمثيلي في أحاديث صفات المؤمنين وغيرهم.

٣/التشبيه التمثيلي في أحاديث العبادات.

٤/التشبيه التمثيلي في موضوعات مختلفة.

٥/ التشبيه التمثيلي في أحاديث الآخرة.

الفرق بين **التشبيه والتمثيل**

شيئان أحدهما عام والآخر خاص ، وقد فرق بعض العلماء البلاغيين بينهما ، واختلفت آراؤهم في ذلك وتعددت ، وخلص بعضهم إلى أن التشبيه ((إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف أو كأن أو نحوها) ظاهرة أو مقدرة لغرض))[1] ويكون وجه الشبه فيه مفرداً .

أما التشبيه التمثيلي فقد أخذ أكثر العلماء والدارسين برأي الخطيب القزويني الذي جعل وجه الشبه فيه وصفاً مركباً منتزعاً من متعدد ، سواء أكانت الصورة فيه عقلية أم حسية[2].

والتمثيل من المباحث البلاغية التي أهتم ا الإمام عبد القاهر الجرجاني، وأشاد بموقعه في الكلام ، وتأثيره في المعنى، يقول:

---

(1) انظر (علوم البلاغة) أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ط٣ /١٤١٤هـ ، ص ٢١٣.

(2) الإيضاح ، ص ٣٧١.

((اعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أ ةً ، وأكسبها منقبةً ، ورفع من أقدارها وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبةً وشغفاً[١])) وسأذكر - إن شاء الله - أربعة آراء لبعض العلماء البلاغيين في هذه القضية:

الرأي الأول:

رأي عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى (٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ). فرق عبد القاهر بين التشبيه والتمثيل ، وذهب إلى أن التشبيه أعم والتمثيل أخص، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً ، وقد جعل الفرق بينهما من جهة وجه الشبه ، وقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين:

أحدهما: تشبيه غير تمثيلي .

وثانيهما: تشبيه تمثيلي.

ثم أقام بينهما حواجز وصفات تميز كل واحد عن الآخر ، لتمنع دخول أحدهما في الآخر واختلاطه به، فقطع حبل اللبس بينهما، وزود أراءه بالأمثلة والتعليل في أسلوب رائع انصهر في بوتقة التدبر والعبقرية.

التشبيه غير التمثيلي عنده:

هو ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه لا يحتاج فيه إلى تأول وصرف عن الظاهر، لأن المشبه مشارك للمشبه به في نفس وجه الشبه وحقيقة جنسه لا في مقتضاه ولازمه، ويتحقق ذلك الأمرين:

الأول: أن يكون وجه الشبه حسيا، أي يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة: فيكون من المبصرات، أو المسموعات، أو المشمومات، أو المذوقات، أو الملموسات. سواء أكان الوجه مفردا أو مركبا. إذ لا دخل للإفراد والتركيب في كون التشبيه غير تمثيلي عنده ما دام وجه الشبه حسيا.

---

(1) أسرار البلاغة ، ص ١١٥ ، ت محمود شاكر .

الثاني: أن يكون وجه الشبه غرزيا طبيعيا (عقليا حقيقيا) فالغرائز والطباع ألحقها عبد القاهر بالحسيات لكو ا حقائق ثابتة تعلمها في المشبه به كما تعلمها في المشبه، كالشجاعة والجبن، والكرم والبخل.

التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر:

ما كان وجه الشبه فيه محتاجاً إلى تأول وصرف عن الظاهر (عقلياً غير حقيقي) لأن المشبه غير مشارك للمشبه به في حقيقة وجه الشبه الظاهري وجنسه ، بل مقتضاه ولازمه ،فإذا قلت : ألفاظ فلان كالعسل في الحلاوة، فإن ((الحلاوة)) وجه شبه ظاهري فقط. لأن المشبه به ((العسل)) يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة بخلاف المشبه وهو الألفاظ، فإنه لا يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة، ولذا يحتاج إلى التأول بإرادة ما تستلزمه الحلاوة من قبول النفس للشيء وحسن وقعه فيها.

قال عبد القاهر:

((اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين :

أحدهما أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأول، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول، فمثال الأول تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ،نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر..... فالشبه في هذا كله بين لا يجري فيه التأول ، ولا يفتقر إليه في تحصيله، وأي تأول يجري في مشا ة الخد للورد في الحمرة، وأنت تراها ههنا كما تراها هناك ؟ وكذلك تعلم أن الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل....... ومثال الثاني هو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول قولهم: ((هذه حجة كالشمس في الظهور)) وقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها، كما شبهت فيما مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرها، إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول، وذلك أن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن يكون دو ا حجاب ونحوه، مما يحول بين العين وبين رؤيتها ولذلك يظهر الشيء لك إذا لم يكن بينك وبينه حجاب، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب، ثم إن ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتاً شديداً ، فمنه ما يقرب مأخذه، ويسهل الوصول إليه، ومنه

ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة، وإذا قد عرفت الفرق بين الضربين فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً[(١)].

وخلاصة القول أن التمثيل عند عبد القاهر محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقلياً غير غرزي سواء مفرداً أم مركباً ، وأن التشبيه غير التمثيلي محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه حسياً أو غرزياً سواء أكان الوجه مفرداً أو مركباً.

الرأي الثّاني: رأي الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ :

((يرى كما رأى علماء اللغة ـ أن التشبيه يرادف التمثيل ، فهو يطلق كلمة (التشبيه) على ما يسمى عند غيره تمثيلاً أو تشبيهاً، كما يطلق كلمة (التمثيل) على ما يسمى عند غيره تشبيهاً أو تمثيلاً وبذلك استراح وأراح[(٢)].

الرأي الثّالث: رأي السكاكي المتوفى سنة ٦١٦هـ

اتفق السكاكي مع عبد القاهر على أن التشبيه إذا كان وجه الشبه فيه حسياً ، سواء أكان مفرداً أم صورة لا يسمى تمثيلاً ، ولكنه خالف فيما فهم من كلام عبد القاهر من أنه لا يمانع أن يكون وجه الشبة في التمثيل مفرداً إذا كان يحتاج إلى تأول ، فذهب إلى أن تشبيه التمثيل لا ينبغي أن يكون وجه الشبه فيه مفرداً بل لابد من أن يكون هيئة منتزعة من متعدد، قال:

((واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي وكان منتزعاً من عدة أمور خص باسم التمثيل))[(٣)].

وغير الحقيقي هو غير الغرزي.

الرأي الرابع: رأي الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ

---

(1) البلاغة التطبيقية د/ أحمد موسى ، ص ٢٦.

(2) انظر (أسرار البلاغة) ٩٠ ـ ٩٢ وما بعدها ، (البلاغة التطبيقية) د/ أحمد موسى. ط١ مطبعة المعرفة ، ص ٢٥/٢٤ ، ١٩٦٣م.

(3) الإيضاح ص٣٧١.

فالتشبيه التمثيلي عنده ما يكون وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد أمرين أو أمور ، وهذا متحقق في كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ومهما كانت الصورة المنتزعة حسيةً أو عقليةً [1].

أما التشبيه غير التمثيلي فهو ما كان الوجه مفرداً حسياً كان أو عقلياً .

فعبد القاهر يجعل التمثيل ما كان بحاجة إلى تأول سواء أكان مفرداً أم مركباً

والسكاكي يجعل التمثيل خاص بالصورة العقلية المركبة فقط.

أما الخطيب فجعل التمثيل الصورة المنتزعة من متعدد مهما كانت عقلية أو حسية ورأي الخطيب هو الرأي الذي سار عليه أكثر الدارسين ، واستقر عليه رأي البلاغيين بعده.

قال الدكتور أحمد موسى:

((وإذا كان رأي عبد القاهر هو أظهر الآراء وأوضحها ـ كما سبق ـ فإن رأي الخطيب القزويني هو أعدل الآراء وأمراها بالاعتبار، فنحن وإن كنا نسلم لبعد القاهر أن الشأن في الحسيات وما ألحق ا من الكيفيات النفسية: هو الوضوح والجلاء ، وأن الشأن في العقليات : هو اللطف والخفاء فإن أحداً لا ينكر بعض الصور الحسية قد تحتاج إلى إعمال الفكر وإلطاف الروية أكثر مما تحتاجه بعض الصور العقلية ، ولذا لا ينبغي أن يضمن عليها باسم التمثيل وكذلك فعل الخطيب القزويني . وحسناً فعل))[2].

وقد اعتمدت في تحليلي ودراستي للتشبيه التمثيلي النبوي في صحيح مسلم على رأي الخطيب وأخذت به.

١/ التشبيه التمثيلي في **بيان الرسالة المُحمدية**

جاءت عدة أحاديث بأسلوب التشبيه التمثيلي تكشف وتزيح الستار وتبين فضائل هذا الدين العظيم، ومدى ملاءمته للبشر، بطريقة تتفق مع فطر م ، وشريعة عظيمة يحملها نبي عظيم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، حريص على هدايتهم، رسالة عظيمة اكتمل ا عقد النبوات، آخر رسالة لآخر أمة.

---

(1) الإيضاح ص٣٧١.

(2) البلاغية التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم ، ص ٢٨.

وهذا الفصل يتضمن عدداً من الأحاديث التي اتفقت في الغرض وتناولت جوانباً مختلفة.

فالحديث الأول عن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمر قالا : لما نزلت : ((وأنذر عشيرتك الأقربين))[١] قال: انطلق نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى رضمة[٢] من جبل ، فعلا أعلاها حجراً ثم نادى:

((يا بني عبد منافاة إني نذير ، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف يا صباحاه))[٣].

الحديث إبراز وإشارة ودلالة على حرصه عليه الصلاة والسلام على نجاة قومه، فقد بدأ بمن هو أولى بالبدء، فنادى: يا بني عبد منافاة، فقدم إنذارهم على إنذار غيرهم لأ م أقرب الناس إليه وإذا قامت الحجة عليهم قامت على غيرهم، وفي منادا م إشعار بحبهم وحرصه عليهم، فإن عصوه استعجلوا العذاب وأصابه عليه الصلاة والسلام الهوان والذل، وإذا استجابوا نجوا من عذاب الله وكانوا للرسول قوةً ونصرا.

وفي رواية ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى الله عليه وسلم ((أنه صعد الصفا فهتف يا صباحاه، فاجتمعوا فقال: يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب ....[٤])).

والرسول عليه الصلاة والسلام بعث مبشراً ونذيراً، فالحديث بين جانب النذارة.

فالتشبيه التمثيلي في الحديث يجسد لنا صورة حية لحاله عليه الصلاة والسلام مع قومه، حيث شبه نفسه مع قومه بصورة رجل رأى العدو، فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقه العدو، فجعل يهتف فيهم بالجملة التي إعتادوها عند وقوع أمر عظيم (يا صباحاه).

تشبيه عظيم الغرض منه بيان حاله عليه الصلاة والسلام في حرصه عليهم ومدى خوفه عليهم.

---

(1) سورة الشعراء : الآية : ٢١٤.

(2) الرضمة : صخور عظام بعضها فوق بعض مجتمعه ليست ثابتة .

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٨١/٣.

(4) المصدر السابق ٨٢/٣.

ونلحظ أنه خشي أن يسبقه العدو فلجأ إلى الهتاف لعل الصوت يسبق، وفيه - أيضا - دلالة واضحة على عظم الأمر واقتراب الخطر.

والربيئة تطلق على العين ((ربأ القوم يربؤهم ربا، وربألهم : اطلع لهم على شرف، والربيئة: الطليعة والفاعل منها : الربئة، وهو العين، والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه(١).

إنه عين حريصة لمّا خاف أن يسبقه العدو صاح بقوله ((يا صباحاه)) وهى كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة(٢).

والرسول صلى الله عليه وسلم هو ذلك الرجل الخائف الهلع الحريص على نجاة قومه، وقوم ذلك الرجل هم قوم المصطفى عليه الصلاة والسلام لا زال يدعوهم إلى الإيمان وينصح ويحذّر من ذلك الجيش وتلك الغارة التي لا تبقي منهم باقية وهى عذاب الله.

فوجه الشبه هيئة مركبة من ثلاثة أطراف ، الرسول عليه الصلاة والسلام مع قومه وينذرهم من عذاب الله ويدعوهم إلى النجاة وهو الدين الإسلامي وفي المقابل رجلٌ مع قومه ينذرهم من قرب العدو الذي سيدمر آثارهم.

فالتشبيه إنذار والحديث إنذار في جملته فكان اختيار الألفاظ مناسبا ، أثرت في النفس المتأملة ودلت على ما كان الحديث مساق من أجله.

أما الحديث الثاني فهو تشبيه تمثيلي يشترك مع التمثيل في الحديث السابق في الغرض وفي أكثر ملامح الصورة، وتختلف عنه في أشياء يتم توضيحها بعد تحليل الحديث الثاني.

عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

((إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم،

---

(1) لسان العرب : ابن منظور ٨٢/١

(2) المصدر السابق : ٥٠٥/٢.

وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكا م، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذّب ما جئت به من الحق))[١] .

الحديث تشبيه تمثيلي الغرض منه بيان حال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع قومه، وموقفهم من دعوته شبه الرسول صلى الله عليه وسلم حاله مع قومه في إدارة الخير لهم وإخلاصه لهم في النصح، وخوفه عليهم بالنذير الذي تجرد دلالةً على قرب الخطر بجامع ((صورة أمر أكدته الشواهد وصدقته الأدلة ففاز من صدق وهلك وخسر من كذب))[٢].

وهناك سؤال في هذا المثل ((من النذير العريان ؟ وما أصل قصته ؟

لهذه القصة عدة روايات أختلف في أصلها، ذكر الميداني هذه القصة وأطال في تفصيلها وملخصها أن أبا داود الشاعر كان جاراً للمنذر بن ماء السماء، نازع رجلاً بالحيرة يقال له رقبه بن عامر، ثم أن أبا داود أخرج ثلاثة بنين له في تجارة للشام، فعلم بذلك رقبة، فأمر بقتلهم، وأُرسلت إليه رؤسهم، فلما أتته صنع طعاماً، ثم دعا المنذر إليه ليتغدى معه، فأتاه المنذر مصطحباً أبا داود، فجاء في إحدى الجفان رأس أحد أبناء أبي داود ،فقال أبو داود للمنذر: أبيت اللعن إني جارك، وقد ترى ما صنع بي، فأمر المنذر بحبس رقبة، فقال المنذر لأبي داود ما يرضيك ؟ قال: أن تبعث بكتيبتك الشهباء إليهم ففعل، فلما علم رقبه بذلك بعث امرأته حتى تنذرهم، ثم خرجت حتى أتت قومها، فقالت: أنا النذير العريان، فعرف القوم ما تريد، فصعدوا إلى علياء الشام فنجوا[٣].

وقيل: ((أول من قال أنا النذير العريان أبرهة الحبشي حين أصابته الرمية بتهامة فرجع إلى أهله يعلمهم، وقد سقط لحمه))[٤].

وأن هذا في رأيي ليس الصواب، فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يتمثل بمقولة كافر ملحد كابرهة. وقيل: ((أن رجلاً من خثعم كان متزوجاً في بني زبيد، فأراد بنو زبيد أن

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/٤٨ ـ ٤٩.

(2) صور من البيان القرآني والنبوي ، د/ فتحي فريد ، ص ٧١.

(3) ينظر ((مجمع الأمثال : ١/٤٨.

(4) فتح الباري ١١/٣١٧،٣١٦.

يغيروا على قبيلته، فخافوا أن ينذر قومه، فجعلوا عليه حراساً بعد أن خلعوا ثيابه، فصادف منهم غرة وفر إلى أهله فأنذرهم ....)) [١].

قال ابن منظور في اللسان : إن النذير العريان هو ((الزبير بن عمرو الخثعمي، كان ناكحاً في بني زبيد .... وألقوا عليه براذع وأهداماً ، فهرب وأتى قومه فقال:

أنا المنذر العريان ينبذ ثوبه ... إذا الصدق لا ينبذ لك الثوب كاذب[٢].

قيل غير ذلك، وهذا التنوع في الروايات دليل على قدمها واندثار حقيقتها، ولعلّ الناس قد نسيوها، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلّم صهرها في بوتقة بيانه فأحياها وألبسها معاني إسلامية لازمتها بسبب الحديث، فجاءت في سياق الحديث لتوحي بعدة معان، منها حرصه عليه الصلاة والسلام على قومه، وخوفه عليهم من عذاب الله، وإثبات صدقه في الدعوة.

وكأننا ننظر إلى ذلك النذير وهو يتحدث والخوف مسيطر عليه والصدق ملء عينيه،وصدق الرسول صلّى الله عليه وسلّم واضح لا شك فيه ويؤيد صدق المنذرين تلك المؤكدات التي حواها الحديث، وكذلك نتأمل موقف كل قوم مع نذيرهم فالنتيجة من النصح والنذارة فريقان فريق استمع وصدق وتأهب فرحل وأدلج فنجا، وفريق كذّب و اون بالخبر فأصبح الصباح فداهمهم العدو فأهلكهم.

يقول العسقلاني:

((ضرب النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالّة على القطع بصدقه تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه))[٣].

وهناك تشبيهان آخران في نسيج القصة والمثل:

---

(1) ينظر ((الأدب النبوي)) محمد عبد العزيز الخولي : ٢٩٤.

(2) لسان العرب ٢٠٢/٥.

(3) ينظر ((فتح الباري)) ٣١٧/١١.

التشبيه الأول:

شبه عليه الصلاة والسلام من أطاعه واتبع ما جاء به واختار لنفسه أفضل طريق وأسلمه بحال من صدق ذلك النذير الذي حذّره فنجا وسلم ماله وعرضه، ووجه الشبه بين الطرفين طاعة ترتب عليها نجاة وفوز.

التشبيه الثاني:

فهم الفئة الثانية، شبه عليه الصلاة والسلام من عصاه ولم يتبع ما جاء به وأعرض عن هديه بحال أولئك الذين لم يصدقوا ذلك النذير واستخفوا أمره وأعرضوا عن نصحه ووجه الشبه التكذيب والإعراض الذي أعقبه الهلاك فجأة والندم على ما فات وتجرع الحسرات.

والتشبيه ضرب من الحياة العربية ومعانيه مستوحاة من طبيعة حيا م في الجاهلية والإسلام التي تئن بالحروب وتقاسي ويلا ا وترضع آلامها، وهذه الصورة التشبيهية جاءت وخرجت لنا من جعبة تشبيهاته النبوية حتى ترسخ في نفس المتلقي وتظهر للعيان.

ونلحظ أن التشبيهين الأول والثاني تم ربطهما برباطين قويين بما قبلهما في قصة النذير العريان وهما: الفاء واسم الإشارة (ذلك).

ونلحظ في الحديث الاختيار الموفق للألفاظ فقوله ((أطاعت)) وما توحي به من تنفيذ مباشر دون كلمة (صدقت) فقد يصدق ولا ينفذ فيهلك. (اجتاحهم) وما فيه من سرعة الهجوم والبطش بكل شيء.

وإذا أردنا أن نقارن بين حديثي زهير بن عمر وقبيصة بن المخارق وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته نجد أن هناك أوجه شبه واختلاف.

١/ كان الخطاب في الحديث الأول لأهله، وفي الثّاني لجميع القوم.

٢/ بدأ الحديث الأول بقوله ((إني نذير إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل ....) جملة اسمية يخاطب ا أهله وهم مجتمعون حوله فهو خائف منهم يتوقع خطرهم. أما الحديث الثاني فهو مبدوء بقوله (إن مثلي ومثل ما بعثني الله به).

٣/ تشابه العناصر المبني عليها التشبيه ففي الحديث الأول (رجل يربأ العدو) وفي الحديث الثاني (نذير عريان) ونتأمل (يربأ) وما يدل عليه الفعل المضارع من تجدد وحدوث

بعد حدوث واستحضار للصورة، ينظر يمنةً ويسرةً يحاول رؤية العدو، كأنه يتطلع الآن وكل هذه المعاني مستوحاة من الحديث الأول، ولا نكاد نقف على شيء منها في الحديث الثاني إذ إنه حديث مع قومه ينقل لهم خبر رؤية الجيش ويحاول برهنة صدقه، بخلاف الحديث الأول خوف وخشية مما أدى إلى رفع صوته لتسبق النذارة فالصوت أسرع وما في ذلك من استعجال ولفت للأنظار ((يا صباحاه)).

٤/ وقد اشترك الحديثان في بيان حرصه على أمته وخوفه عليهم، والحديث الأول ما بعث به من الهدى أما الحديث الثاني فبين مثله ومثل شريعته ومثل قومه تجاه تلك الرسالة المحمدية، وتفصيل ذلك الموقف مطيع أطاع فنجا، وعاصٍ كذّب فهلك.

هذه المعاني جزء يسير مما توحي به الكلمات والجمل من بلاغة نبوية كان لها الأثر العظيم في حيوية النص وحياته ونبض صوره.

ولا تزال التشبيهات التمثيلية مبينة شدة حرصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أمته وزجرها وردعها ومنعها من التقحم في المهالك التي تؤدي م إلى النار، فهو يرى عصاة الأمة يتهافتون ويتهاوون في المعاصي، وشدة حرصهم على تلبية ملذّا م وشهوا م.

وهو عليه الصلاة والسلام يتخولهم بالنصح والموعظة ليعودوا إلى رشدهم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ـ

((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها، قال: فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلُم عن النار فتغلبوني تقحمون فيها))[١].

وفي رواية: ((الجنادب والفراش .... وأنتم تفلتون من يدي))[٢].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي. ٤٩/١٥.

(2) المصدر السابق .

إ ا شفقة عظيمة من النبي عليه الصلاة والسلام على أمته وحرصه على هدايتهم، وصدق الله - سبحانه - حيث يقول عنه : ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم))(١).

ونتأمل التكرار في الزجر والإنذار والرحمة، نداء متكرر ((هلُم عن النار، هلُم عن النار)).

والشريف الرضي يذكر اتساع المعاني التي تدور حول إشفاقه عليه الصلاة والسلام بأمته فيقول:

((إني ممسك بحجزكم هلموا عن النار وتغلبوني تقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادي وأوشك أن أرسل حجزكم وفي هذا الكلام مجاز وتوسع، وذلك أن المراد به أنه - عليه الصلاة والسلام - يبالغ في زجر أمته عن التقحم في المعاصي والارتكاس في المضال والمغاوي بشكائم المنع وخزائم الردع))(٢).

فالشريف يجعل أولئك العصاة كالبهائم التي تحتاج إلى شكائم وخزائم تمنعها من الاندفاع، لأ ا لا تعقل وهم لا يعقلون.

شبه عليه الصلاة والسلام حاله مع الناس في حرصه على نجا م ومبالغته في زجرهم عن الإقدام على المعاصي وألوان الغوايات المزينة لهم مع حرصهم الشديد على الوقوع فيها معرضين عن النصح غير ملتفتين للمنذر الذي يبصرهم بعاقبة إعراضهم شبه حالته هذه مع الناس بحال رجل أوقد ناراً، فانجذبت الفراشات والحشرات إليها وفرحت بضوئها فسعت إليها تنشد السعادة منها، وألقت بنفسها فيها دون هوادة وتبصرٍ أو ترو، ولكن الرجل قد منحه الله العقل والرحمة والبصيرة ويملك عقلاً مفعماً بإدراك عواقب الأمور، يعرف نتيجة هذا التهور و ايته البائسة لذلك يمنعها ويدفعها، ويحول بينها وبين أن تلقي بنفسها وتلقى مصيرها النكد، ولكن جهلها يغلبها وحماقتها تدفعها واستهواء الضوء إياها يغريها فيسوقها إلى أن تلقي بنفسها إلى التهلكة غالبةً من يمنعها متفلتةً ممن يحول دون اندفاعها.

---

(1) سورة التوبة : ١٢٨.

(2) ا ازات النبوية - الشريف الرضي ، ص ٨١.

تشبيه في غاية الروعة والبلاغة جميع عناصره يوحي بعضها إلى بعض بمزيد من الصفات والدلالات التي تثري الصورة وتبعث فيها الحياة والحركة، فالأفعال المضارعة (يقعن، يحجزهن، يغلبنه، يقتحمن، تغلبوني، تقحمون) مجموعة من الأفعال تبعث الروح في النص وتدل على الحركة والاستمرار واستحضار للموقف.

وكان الغرض من هذا الحديث بيان حرصه - عليه الصلاة والسلام - على أمته ورحمته ا مع توضيح انجذاب وسرعة توجه الناس إلى المعاصي لما لها من بريق وتزيين وفي حقيقتها سم زعاف يشبه النار.

ونلحظ اختيار الفراش والجنادب للعصاة والمعرضين وما في هذه العناصر من الدلالة على الضعف والوهن وسرعة السقوط وعدم التحمل وصعوبة الرد........ وفي لفظ الفراش إيحاءات في كلام العرب، فهم يتمثلون ا في الحمق والخفة فيقال: (أخف من فراشة)، (اطيش من فراشة) ، (أخطأ من فراشة) لأ ا تطرح نفسها في النار))[١].

ونقل الجاحظ قول الشاعر:

كأن بني ذويبة رهط سلمى فراش حول نار يصطلينا

يطُفْن بحرها ويقعن فيهـا ولا يدريـن ماذا يتقينا[٢]

فالفراشة مخلوق ضعيف ويلاحظ كثرة وقوعها في النار وفي سبب هذه القضية - أعني سقوطها - أقوال ذكرها ابن حجر:

((قيل لأ ا ضعيفة البصر، ولذلك فهي حين ترى الضوء تعتقد أنه كُوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق، وقيل: إ ا تتضرر من شدة الضوء فتقصد إطفاءه ولشدة جهلها تورط نفسها فيه[٣])).

إن ذلك النور هو نور النبوة قال تعالى: ﴿وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[٤].

---

(1) مجمع الأمثال للميداني ٢٦١/١، ٤٣٨.

(2) ينظر (الحيوان) الجاحظ : ت/ عبد السلام هارون ، ط٣ / ١٣٨٨ ، ج٣ ، ص ٣٠٥.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري (ابن حجر ٤٦٤/٦.

(4) سورة الأحزاب : آية : ٤٦.

والفراش هم العصاة الذين ضلوا عن الجادة، فهم عمي البصيرة ضعاف الأنفس، ضعفوا أمام الشيطان وأمام شهوا م.

وذلك المستوقد هو الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ جميع الطرق والوسائل لزجر الأمة من الوقوع في المعاصي المؤدية إلى النار، ولا يزال ذلك المستوقد يذب عن ناره، فالرسول عليه الصلاة والسلام ـ نسمع نصحه فينا كل يوم فالقرآن والسنة محذران من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل.

هذا حديث يبين فيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أثر هذه الرسالة على القلوب، وقد مر عليها زمن من الجاهلية أظلمت فيه وأجدبت، وعطشت، في هذه الحالة لهذه القلوب يأتي السراج المنير، النعمة المهداة والرحمة المسداة، محمد بن عبد الله، فيأتي معه المنهج الشامل لجميع الناس والطبقات، فما موقف هذه القلوب؟

عن أبي موسى الأشعري ـ رضى الله عنه ـ عن النبي صلي الله عليه وسلم ـ قال:

((إن مثل ما بعثني الله به ـ عز وجل ـ من الهدى كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله ا الناس ، فشربوا منها ، وسقوا ، ورعوا ،وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به))[1].

هذا موقف الأرض من الغيث ومثله موقف الخلق من العلم الرباني والحديث تشبيه تمثيلي شبهت فيه الصورة الذهنية الحاصلة من بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوحي الله وانقسام الناس حول ما جاء به ما بين مؤمن به عامل بكل ما فيه حسب طاقته، وعالم بشرعه، ومؤمن مقصر عالمٌ قليل العمل، وقسم كافر معرض عن الحق لا يعلم ولا يعمل، شبهت هذه الصورة بالصورة الحسية الحاصلة من نزول الغيث على الأرض وانقسامٍ إلى أقسام ثلاثة، قسم ارتوى بالماء فأنبت ما يحتاج الناس، وقسم آخر امسك الماء فانتفع به ولم ينبت الكلأ ولا الشجر، وقسم ثالث أضاع الماء فلم ينبت ولم يمسك.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٤٥،٤٦/١٥.

ووجه الشبه بين الصورتين هو التفاوت في الانتفاع من خير نافع.

ويعلق الإمام العيني على الحديث فيقول:

((ووجه الشبه بين العلم والغيث، فإن الغيث يحيي البلد الميت، والعلم يحيي القلب الميت، واختار الغيث من بين سائر أسماء المطر قلت ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ قال تعالى: ﴿وهو الذي يـ ل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ وقد كان قبل الغيث قد امتحنوا بموت القلوب وتصوب العلم حتى أصا م الله برحمة من عنده))[1].

كان الكلام حول الهيكل العام للصورتين، وقد تضمن الحديث صوراً داخلية انطوت وتلففت بثوب التشبيه التمثيلي.

*** فالصورة الأولى:**

قوله (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.......... فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم.......)

شبه عليه الصلاة والسلام المؤمنين الطائعين العاملين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بأطيب البقاع والأماكن الزراعية، التي تشربت الماء وأنبتت به ما يحتاج إليه الناس والدواب، وكانت قبل ذلك خالية مقفرة.

وجه الشبه : كثرة المنافع فهم منتفعون بما خالط قلو م وجوارحهم من نور الله وأحيا ظاهرهم وباطنهم، ونافعون لخلق الله يعلمون وينصحون ويدلون على الخير.

والغرض من التشبيه الترغيب وبيان حالهم.

وهم كثير وعلى رأسهم صحابة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام والتابعون، اهتدى م كثير، نشروا العلم والإيمان، اصبحوا قدوة ومثلاً للزهد والورع ونقاء النفس وبياض السرائر، كانوا يستوعبون كلام الله وكلام رسوله فيطبقون.

---

(1) ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٨٠/٢.

*** أما الصورة الثانية : قوله :**

((....... وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله ا الناس، فشربوا، وسقوا وزرعوا .....)) .

شبه عليه الصلاة والسلام من قبل الهدى، وروى العلم ولم تكن له همّة في الطاعة والعمل فهم يحفظون العلم حتى يأتيهم طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم، أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به، شبههم بالبقعة التي تتميز بحفظ الماء وإمساكه لينتفع به الناس والدواب.

وجه الشبه : النفع للغير.

والغرض : بيان حالهم مع الترغيب في نشر العلم.

فهم الذين يعلمون ولا يعملون فهم أقل حظاً وخيراً من النوع الأول ونلحظ أنه عليه الصلاة والسلام في اية الحديث لم يشر إليهم، وأرى ـ والله أعلم ـ أن السبب في ذلك قلتهم بين المسلمين، لأن الواجب على المسلم أن يعمل بما يعلم، فإما مسلم وإما كافر.

*** والصورة الثالثة:**

قوله : ((....... وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً .. ...ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به)).

هذا هو النوع الثالث ـ نعوذ بالله ـ ماتت قلو م وعقولهم، فهم معرضون شبههم عليه الصلاة والسلام بالأرض السباخ التي لا تنبت الكلأ ولا تمسك الماء لينتفع به.

ووجه الشبه بين الطرفين عدم النفع في كلٍ.

أصناف ثلاثة تضمنها الحديث:

الأول : المنتفع النافع.

الثاني : النافع غير المنتفع.

الثالث : غير النافع وغير المنتفع.

قال العيني:

((الأول إشارة إلى العلماء، والثاني إلى النقلة، والثالثة إلى ما لا علم له ولا نقل))(١).

قال الخولي : ((وفريق ثالث بين الفريقين لم يذكره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر مثله، ومن عرف الفريقين عرفه، بل المثل وحده يرشد إليه، فهو ذلك الشخص الذي سمع القرآن فعقله وفهمه، ووقف على أحكامه، وحلاله وحرامه، ولكن لم يعمل به في خاصة نفسه، ولكن دعا الناس إليه وعلمهم ما تعلّم، فهو كالذين قال الله فيهم :

﴿أتأمرون النّاس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (٢).

فهذا قد نفع الله به العباد، وجعله معبر خير لهم ولم ينتفع هو بما علم وعلم، وكان حرياً به أن يهذّب نفسه بما هذّب به غيره، فهذا مثله كالأرض الصلبة ...... كذلك العلم بالقرآن يعلمه ولا يعمل به(٣))).

فهذا الحديث العظيم بين موقف الناس من دين الله، استخدم فيه عليه الصلاة والسلام أسلوب التمثيل، فأداه بأفضل طريق وثبته في أذها م، حيث جعل الصورة البيانية وعناصرها مقتبسةً من البيئة التي عاش فيها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقد أدت الغرض المقصود، فالسامعون يعرفون قيمة الغيث والعشب والكلأ، فتركت هذه الصورة أثراً عميقاً في نفوسهم وجلّت لهم المعنى كاملاً.

فالعلم حياة كما أن الماء حياة ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾(٤) وجعله ـ سبحانه ـ من أعظم نعمه وذكر أنه قد أصلحه لهم لتتم الفائدة منه قال تعالى:

﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجًا فلو لا تشكرون﴾ (٥).

---

(1) ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧٩/٢.

(2) سورة البقرة : الآية : ٤٤.

(3) ينظر الأدب النبوي : محمد عبد العزيز الخولي ، ص ٢٠ ـ ٢١.

(4) سورة الأنبياء : الآية : ٣٠.

(5) سورة الواقعة : آيات : ٦٨ ـ ٧٠.

((هذا المثل الأدبي الرائع قد جلا المعاني الخاصة بالانتفاع بالهدى والعلم جلاءً مؤثراً، وأضاف إلى الحقيقة الفكرية بمدلولا ا الثلاثة صورةً جعلتها تختال أمام العيون في ثوب يج، ولا شك أن سامعه سيقارن بين المشبه والمشبه به، فيزداد تأثراً وانفعالاً بما سمع، ثم يندفع إلى التفكير فيما يسمع مدققاً محللاً إذ مس أوتار قلبه مساً حياً ، وإذ بلغ الأديب بتصويره مبلغ التأثير القوي فقد أدى رسالته البيانية على أكمل ما يراد، إنك تبحث عن نظير لهذه الصورة النبوية في كلام البشر فلا تجد))[١].

وجاء التشبيه التمثيلي في بيان خاتمية الرسالة المحمدية، وأ ا متمة للشرائع السماوية السابقة وأ ا جامعة لمحاسن الرسالات، فبها اكتمل عقد النبوات والرسالات فلا رسالة بعد الإسلام ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))[٢].

وهناك أربع روايات أوردها الأمام مسلم ـ رحمه الله ـ وهي روايات متقاربة إن لم تكن متفقة[٣].

شبه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الهيئة الحاصلة من جمع الرسل ومكانته بينهم بالهيئة الحاصلة من شكل بنيان اكتمل بناؤه ولم يبق إلاّ موضع لبنة فتمنوا أن توضع تلك اللبنة وهو اللبنة.

ووجه الشبه : صورة منتزعة من الجمال والقوة والتناسق والحماية، واكتمال ذلك كلّه بوضع تلك اللبنة، وقد اكتمل الدين والرسالات ببعثته عليه الصلاة والسلام.

(واللبنة هي القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء))[٤].

---

(1) البيان النبوي د. محمد رجب البيومي ، ص ٢٣٣.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٥١/١٥.

(3) المصدر السابق : ١٥/ ٥٠ ـ ٥٢.

(4) فتح الباري : ٥٥٩/٦.

فالدين الرباني بيت يحمي من دخله عن الهجمات المخيفة والعقائد الفاسدة، وقد استوعبت الرسالة المحمدية جميع الرسالات، واختيار اللبنة المفقودة من زاوية دلالة على أهمية تلك اللبنة وأ ا في مكان حساس يعتمد البناء عليه فمكا ا مهم وغيا ا يشعر بالخطر، وقد تنبه الناس إلى أهميتها فالإسلام اللبنة التي اكتمل ا بناء الديانات السماوية وبعثته عليه الصلاة والسلام اكتمل ا بناء صرح الرسل والأنبياء.

وفي اختيار اللبنة دون الحجر أو غيره مما ينبني به إشارة إلى التذكير بأصل البشر وهو الخلق من طين.

والغرض من هذا التشبيه بيان أن دين الله واحد مهما اختلف الأنبياء، فكلهم يدعون لعبادة الله وحده.

روى الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ حديثاً قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:

((أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات أمها م شتى ودينهم واحد))[١].

قال العلماء:

((معنى هذا أ م في أصل الإيمان واحد وشرائعهم مختلفة، فإ م متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف))[٢].

وقد أدى التشبيه ما أريد توصيله من معنى بأبلغ لفظ وأجمل صورة، وفي قوله (بنياناً) في مسلم ، و (داراً) في البخاري بالنكرة دلالة أ ا دار عظيمة.

٢/ التشبيه التمثيلي في أحاديث صفات المؤمنين وغيرهم:

جاء عدد من الأحاديث التي تبين صفات المؤمنين والمنافقين والكافرين، وأكثرها تدور حول المؤمن فكان منها وصف لرسوخ وقوة إيمانه، ومنها وصف لحاله عند المصائب ومنها ما يصف علاقة المسلم بأخيه المسلم، والفائدة التي تعود على مجالسة الصالحين وسأبدأ

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ١١٩/١٥ ، عمدة القاري :٨٩/١٣ ، واللفظ للبخاري.

(2) المصدر السابق: ١٢٠/١٥ (الحاشية).

ـ إن شاء الله ـ في تناول هذه الأحاديث حسب ترتيبها وورودها في صحيح مسلم الأول فالأول.

*** حقيقة الخوارج:**

هذا الحديث وصف لأحوال المنافقين والكشف عن خباياهم الخبيثة، والحديث يحكي قصة أحد الخوارج، الذين يتحللون من الإسلام بعد الدخول فيه، وبيان ما تميزوا به من كثرة العبادة من فرائض ونوافل، فكثر صيامهم وصلا م وصدقتهم، ولكنهم لم يتأثروا ذا الدين ولم يعلق بقلو م منه شيء.

وقد جاء هذا الحديث بروايات متعددة في الصحيحين.

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : ((أتى رجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضةٌ ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل، قال: ((ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أكن اعدل)) فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: ((معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية))[١].

وجاء في اية رواية أخرى:

((إن من ضئضيء[٢] هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)) قال: أظنه قال: ((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود))[٣].

وفي رواية:

((يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ....))[٤].

ورواية أبي سعيد الخدري قال:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي :١٥٩/٧.

(2) الضئضيء : أصل الشيء . (عمدة القارئ : ٢٣١/١٥).

(3) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦٣/٧.

(4) المصدر السابق : ١٦٥/٧.

((بينما نحن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((ويلك ومن يعدل إن لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل، فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله إئذن لي فيه اضرب عنقه. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلا م، وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله[1] فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء)) وهو القدح، ثم ينظر إلى قُذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فُرقة من الناس.

قال أبو سعيد : فاشهد أني سمعت هذا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واشهد أن على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي نعت))[2].

هذا الحديث فيه عدة بيانات، فيه بيان رأفة النبي عليه الصلاة والسلام وحلمه ورحمته وسعة صدره .... ، وفيه دليل على نبوته عليه الصلاة والسلام حيث أخبر عن أوصاف وأمور مستقبلية حدثت بعد أن أوردها أبو سعيد في روايته.

ونبدأ بالتشبيهات التي وردت التمثيلية وغيرها.

قوله ((إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية)).

((يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)).

---

(1) نصله:حديدة السهم ، الرصاف : هو مدخل النصل من السهم ، والنضي أو القدح : عوده ، والقذذ : ريش السهم .

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/ ١٦٥ ـ ١٦٧.

((يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية)).

فالمشبه في الروايات خروج هؤلاء الخوارج من الدين (الإسلام) بعد أن دخلوا فيه ولكنهم لم يتأثروا به، ولم يؤثر في باطنهم ولا ظاهرهم.

والمشبه به: خروج السهم من الرمية (الصيد) دون أن يتعلق به شيء من دمها أو فرثها أو أي شيء يستدل به على إصابتها.

والدليل (ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه..........)

ونلحظ بناء الفعل للمجهول (ينظر) وكأن هناك من ينظر إلى هذا الفعل قبل وأثناء وقوعه، ووجه الشبه السرعة وعدم التأثر.

والغرض منه كشف مدى خروج هؤلاء من الدين على الرغم من الصفات التي كانوا عليها وما ورد من صفات (يتلون كتاب الله رطباً لا يتجاوز حناجرهم)، فالقرآن على ألسنتهم رطب من كثرة القراءة فهم مواظبون على القراءة، ولكنه لا يتمكن من قلو م قال العيني:

((معناه لا ترفع في الأعمال الصالحة، ولا تقبل منهم التلاوة، وقيل: لم يتمكن من قلو م شيء من كثير من اليقين، وإنما يحفظونه بالألسن وهي مقاربة للحناجر فنسِب إليها))[1].

فالقلب جوهر الإنسان والنظر يتوجه إليه.

والرواية الثانية أتت بأداة التشبيه (الكاف) والرواية الثالثة جاء التشبيه مصدرياً (يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية) قوة في التشبيه وقوة في العلاقة بين الطرفين. كانت عباد م عادة فهم يصلون صلاة كثيرة ويصومون ويحقر أحدنا صلاته مع صلا م ولكن كما قال الله :

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً *الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[2].

---

(1) ينظر عمدة القاري : ٩/١٨.

(2) سورة الكهف : آية : ١٠٣ ـ ١٠٤.

ونلحظ اختيار كلمة (ضئضيء) بمعنى أصل الشيء وما فيها من غرابة وما توحي به من غرابة هذه الفئة في ا تمع الإسلامي وندر ا، وما توحي به كذلك من التتابع المستوحى من نغم اللفظة فهي سلالة متتابعة ذو الخويصرة أولها.

قال الشريف الرضي:

((وفي هذا القول مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام - شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقدته أو يعبقوا بطينته بالسهم الذي أصاب الرمية وهي الطريدة المرمية، ثم خرج مسرعاً من جسمها، ولم يعلق بشيء من فرثها ودمها))(١).

وإذا تأملنا التشبيه نجد أنه منتزع من البيئة العربية لتتضح صورته ويعرف مقصوده ويقع في النفس موقعاً حسناً.

وفي خروجهم من الدين أمر ملفت للنظر فلم يتأثروا بتعاليمه وذلك لفساد وكره فيهم للخير حال دون تغلغل التعاليم الإسلامية في نفوسهم ومعاملتهم.

التشبيه الثاني قوله عليه الصلاة والسلام:

((آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر)) هذا وصف لقائدهم وزعيم هذه الفئة الغريبة وأن هذا علامة من أبرز علاما م ، رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة من اللحم التي تخلو من العضلات فهي تضطرب محرومة الثبات.

فالمشبه إحدى عضدي هذا الرجل مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر.

وجه الشبه : الضخامة وعدم الثبات والترهل.

والغرض بيان شكل ذلك الرجل.

التشبيه الثالث قوله عليه الصلاة والسلام:

((........ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد........))

((.........لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود.......))

وقد سبق تحليلها في باب التشبيه النبوي المفرد من هذه الدراسة.

---

(1) ا ازات النبويه للشريف ص ٣٧.

*** قلة الكرام بين الناس:**

الحديث الثاني في بيان ندرة الكرام وذوي الفضل بين الناس، وأن وجودهم كوجود الراحلة النجيبة بين إبل كثيرة.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلةً))[١].

هذا الحديث يعد من جوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد جمع فيه المعنى الواسع العظيم في قول موجز معنى عظيم اختلف الشارحون للحديث ماذا يقصد به؟ وما المراد منه ؟ وقد أورد الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ عدداً من الآراء قال:

((...... قال ابن قتيبة : الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف، فإذا كانت في إبل عرفت، قال: ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب بل هم أشباه كالإبل المائة.

وقال الأزهري: الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجيبة، قال: والهاء فيها للمبالغة . قال: والمعنى الذي ذكره ابن قتيبة غلط بل معنى الحديث أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جداً كقلة الراحلة في الإبل.

ويقول النووي ـ بعد هذه الآراء ـ : ((هذا كلام الأزهري وهو أجود من كلام ابن قتيبة، وأجود منهما قول آخرين: أن معناه المَرضي الأحول من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار، سميت راحلة لأ ا ترحل أي يجعل عليها الرحل، فهي فاعلة بمعنى مفعوله ....))[٢].

وذكر أبو هلال العسكري هذا الحديث كدليل على أنه لا فضل لأحد على أحد في أحكام الدين[٣] ووافقه الخطّابي في ذلك[٤].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠١/١٦.

(2) ينظر (صحيح مسلم بشرح النووي :١٠١/١٦ " الهامش".

(3) ينظر (جمهرة الأمثال) أبي هلال العسكري ٥٢٣/١.

(4) ينظر (غريب الحديث) ٥٦١/١

قال العيني نقلاً عن القرطبي: ((الذي يناسب التمثيل أن الجواد الذي يحمل أثقال الناس والحمالات عنهم، ويكشف كر م عزيز الوجود كالراحلة في الإبل الكثيرة))[١].

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم ندرة وقلّة الكرام الأخيار بين الناس بندرة وقلّة وجود الراحلة النجيبة في الإبل المائة.

ووجه الشبه : القلة التي ينبع الخير منها.........

والغرض بيان حال المشبه.

والإبل لا تعرف الراحلة فيها إلاّ بعد تجارب واختبار وخبرة كذلك الكريم الجواد المنقي لا يظهر إلاّ بعد تربية وتجارب حياتية أثمرت فيه فصقلته ونقحته، وهذه الفئة من الناس قليلة في كل زمن.

والحديث يرغب أبناء الأمة في الترقي إلى معال الأمور وأعلى الصفات الحميدة. وقد استشهد ذا الحديث إمام البلاغيين في حديثه عن التمثيل[٢].

*** المؤمنون إخوة:**

الحديث الثالث يأتي التشبيه التمثيلي لبيان صفة عظيمة من صفات المؤمنين يتحقق ا مبدأ الأخوة والتعاون، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[٣] ورواية البخاري زاد (ثم شبك بين أصابعه))[٤].

---

(1) عمدة القاري ٨٥/٢٣.

(2) ينظر (أسرار البلاغة) ت محمود شاكر ١١٣.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٩/١٦.

(4) البخاري ١٤٨/٧.

إرشـاد وحث على التعاون والتآزر بين المؤمنين، وهذا تأكيد لقـوله تعـالى: ﴿وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان* واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[1].

فالمؤمن مشارك لأخيه المؤمن في آماله وآلامه......... والرسول عليه الصلاة والسلام يصف هذه العلاقة بالقوة والتماسك والمنعة والصلابة تجاه أمور الحياة وظروفها المتقلبة فيشبهها بالبنيان.

ونلحظ مدى العلاقة وقو ا وما يجب أن تكون عليه من لفظه عليه الصلاة والسلام (ثم شبك بين أصابعه) بيانُ واضح وتجلية عظيمة للمعنى المقصود والغرض المنشود.

شبه عليه الصلاة والسلام تماسك المؤمنين ومساعدة وتعاون بعضهم بعضا في أمور الحياة من دفاع عن الدين والحرمات والأرض كالبنيان الشديد المتماسك المتضام بعضه إلى بعض.

وجه الشبه: تلاحم أجزاء الجنس الواحد المؤدي إلى القوة.......... وهذا ما أشار به قوله ((يشد بعضه بعضا)).

وهذه صفة يحبها تبارك وتعالى في عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صَفّاً كأنهم بنيان مَرصُوص﴾[2].

* الجليس الصالح والجليس السوء:

وجاء التشبيه التمثيلي في الحديث الرابع مبيناً أثر الجليس على جليسه، وما ينتقل من طباع، فالجليس المؤمن الصالح تطمئن النفس إليه ويرتاح له القلب فهو رمز للدين والأدب والأخلاق الحميدة من جالسه لا يعدم إحدى المنافع، كلامه حكم ونصائح ووعظ تجد النفس السوية بغيتها في كلامه، فهو طيب مشرق الوجه حسن الخلق.

---

(1) سورة المائدة : آية : ٢.

(2) سورة الصف : آية : ٤.

والجليس السوء بخلاف ذلك.

عن أبي موسى الأشعري عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة))[١].

الحديث يحمل فكرةً يريد عليه الصلاة والسلام توضيحها وتبيينها للناس هي الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء والأنقياء والترغيب في مجالستهم، فإ ا تنفع في الدنيا والآخرة، والتنفير من صحبة الأشرار والفُساق، فإ ا ضرر في الدين والدنيا، كالريح إذا هبت على شيء طيب عبقت طيباً، وإن هبت على شيء نتن حملت نتناً، فمجالسة الحمقى تعدي لأن الفساد أسرع إلى الناس وأشد اقتحاماً في الطبائع، والإنسان سريع التأثر، وما أكثر هذا النوع ممن ينفثون شرورهم وسمومهم في جسد ا تمع المسلم، يبعثون ناراً يحاولون ا إحراق كل فضيلة.

فالتشبيه الأول:

شبه عليه الصلاة والسلام الجليس الصالح بحامل المسك بجامع عدم الخلو من المنافع مع اللذة المستطابة والاطمئنان والراحة .... (إما أن تبتاع منه وإما أن يحذيك وإما أن تجد منه ريحاً طيبة).

فحامل المسك تجد منه خيراً أبداً، والمسك من أجود أنواع الطيب قال عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام: ((المسك أطيب الطيب))[٢].

والمسك يستخرج من (دم غزال كالظبي لونه أسود له نابان أبيضان، يجتمع الدم في سرته في وقت معلوم من السنة، فإذا اجتمع ورم الموضع، فمرض الغزال إلى أن يسقط

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٧٨/١٦، والإحذاء : الإعطاء.

(2) رواه مسلم ٩/١٥.

منه، ويجعل تحته أوتاداً تحتك به، وقيل أ ا تلقيها من جوفها كما تلقي الدجاجة البيضة))[1].

فحامل المسك تنبعث منه الروائح الطيبة لملازمته للمسك والنفس تستلذ بالجلوس معه لما يملأ المكان من روائح حسنة وشذا طيب، فمثله كمثل الجليس الصالح.

التشبيه الثّاني:

شبه عليه الصلاة والسلام جليس السوء بالحداد الذي يوقد النار في الفحم، فيتطاير الشرر منها.

وجه الشبه: صورة منتزعة من متعدد وهي عدم الخلو من المضار مع شدة الأذى والنفور ((إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة)).

فنافخ الكير مكانه تنبعث منه الروائح والشرر وآثار الدخان وبقايا الحديد، وخبث ،الناس يتحاشون الجلوس عنده لأن الأذى منه واقع لا محالة، كذا جليس السوء فهو يحرق الخير في النفوس، كلامه في الرذائل وخسائس الأقوال.

والغرض بيان الضرر من مجالسة أهل السوء والأخلاق المذمومة.

ونلحظ دقة اختيار الألفاظ الدالة على المقصود وما توحي به (حامل المسك، نافخ الكير) صورة رائعة جلت القضية وأوضحتها للأفهام حتى تجسدت، والحداد معروف في زمن الصحابة وما يقوم به من صنع أدوات للحروب وأدوات زراعية، فوقع التشبيه في النفس أجمل موقع وخامرت البلاغة النبوية العقل العربي، والصداقة أمر جبل عليه البشر فإذا كان ولا بد فمن الأهل بأن يكون صديقاً ؟

((الأَخِلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين))[2]. وأرشدت السنة النبوية إلى أن الإنسان على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل.

---

(1) ينظر فتح الباري ٦٦٠/٩.

(2) سورة الزخرف : آية : ٦٨.

***حقيقة المنافق:**

الحديث الخامس يبين فيه الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حالة الحيرة والقلق النفسي والأضطراب الذي ينتاب المنافق وجاء هذا المعنى بارزاً من خلال التشبيه التمثيلي .

عن ابن عمرـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة)) وفي رواية: ((تكر في هذه مرة وفي هذه مرة))(١).

النفاق من الأمور التي تجعل النفس تنفر من صاحبه، فهو قلب للحقائق فيظهر المنافق عكس ما يبطن فتنعدم الثقة بين الأشخاص بسببه، ويوضح لنا عليه الصلاة والسلام الحال التي يتصف ا المنافق فيصور حاله بحال الشاة العائرة الحائرة بين الغنمين والشاة الحائرة هي **((الساقطة التي لا يعرف لها مالك))**(٢) فهو لا يعرف لأي فريق ينتمي كما بين ذلك سبحانه في قوله: ﴿وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون* الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾(٣).

فالرسول عليه الصلاة والسلام يشبه المنافق بتلك الشاة العائرة التائهة الحائرة إشارة واضحة إلى التحقير والضعف وكثرة الأخطار التي تتعرض لها، فهي شاة، ثم أ ا واحدة والذئب لا يأكل من الغنم إلاّ القاصية وكأننا ننظر إليها تذهب إلى مجموعة ثم تطرد، ضيعت وقتها، ونتأمل الجهد الذي تبذله والجوع الذي تتعرض له وما يحوم حولها من خطر، تبحث عن الراحة ولن تجدها.

والمنافق مثلها مذموم أبداً، محتقر، هدفه الفساد، وجهده ضائع فهو حيران مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بين الكفر والإيمان، والخير والشر، مهانٌ ذليل، ولا يحصل مع هذا على منفعه، فهو حقير جاهل غافل غبي يريد هدم الدين.

---

(1) ينظر (صحيح مسلم بشرح النووي :١٢٨/١٧، والعائرة : المترددة الحائرة.........

(2) غريب الحديث (الخطابي) ٤٨٠/١.

(3) سورة البقرة : آيتي :١٤،١٥.

الغرض من هذا التشبيه التمثيلي بيان حال المنافق في الدنيا أما في الآخرة فمقره﴿إن المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار ولن تجد لهم نصيراً﴾[١].

وتم اختيار (الشاة) لأنها مألوفة لدى الناس، فقد كان عليه الصلاة والسلام راعياً في مكّة، واكثر الحرف في الجزيرة الرعي، وجاء التشبيه لبيان حال المنافق، صورة منافق لا تستقر حاله، وفي المقابل صورة شاة لا يهدأ لها بال مع ما يمكن أن يفهم من وجه الشبه وما يدل به من إيحاءات.

*** المؤمن والمنافق:**

الحديث السادس:

يبين عليه الصلاة والسلام فيه أوصاف المؤمن ويقرنها بأوصاف الكافر لتتضح الصورتان ويتجلى من خلالهما تمييز المؤمن.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد))[٢].

وفي رواية:

(مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرةً وتعدلها أخرى حتى يهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذية على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرةً واحدةً)[٣].

الحديث بيان وتوضيح لحال المؤمن حين تصيبه الفتن والمصائب في نفسه وماله وعرضه، فهو يوجهها بصبر ويقين وإيمان قوي، فلا تؤثر فيه، لأن روحه متصلة بالله وأن ما

---

(1) سورة النساء : آية : ١٤٥.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥١/١٧ ، والأرز :شجر معروف وقيل شجر الصنوبر.

(3) المصدر السابق ١٥١/١٧ ـ ١٥٢، الخامة: القصبة اللينة من الزرع، المجذية: الثابتة المنتصبة ، والإنجعاف : الانقلاع.........

يصيبه من عند الله فهو مؤمن محتسب، أما الكافر فهو قليل الابتلاء، وإن أصابته مصيبة لم تنفعه فلا تدخر له يوم القيامة، فأموره ميسرة له في الدنيا، ويملي له ربه حتى يأخذه أخذةً واحدة فينجعف فينهدم عمره وينتهي أجل ذلك الكافر الظالم، ويكون ذلك الانجعاف فجأة دون مراحل.

وفي هذه الصورة تشبيهان:

الأول:

شبه عليه الصلاة والسلام المؤمن في كثرة الآلام والمصائب التي تحل به في نفسه وماله وأهله بخامة الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها مرة، وموقف المؤمن الصبر والرضا يدفعه إلى هذا الإيمان بالله فالمؤمن مبتلى كما أخبر سبحانه: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرّسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب))[1].

وقال الفضيل بن عياض:

((ألا ترون كيف يزوي الله الدنيا عمن يحب من خلقه ويمرمرها عليه مرةً بالجوع ومرةً بالعري ومرةً بالحاجة، كما تصنع الأم الشفيقة بولدها، تفطمه بالصبر مرة وبالحضض مرة، وإنما تريد بذلك ماهو خير له))[2].

فالمؤمن يصبر على البلايا والمصائب كالزرع يتعرض للرياح ولا تقضى عليه لليونته وطراوته، فهي تميل مع الريح ثم تعتدل، وفيها الخضرة والرواء والجمال والنضارة وكلها صفات مشتركة بين المؤمن وخامة الزرع، فلا قسوة ولا غلظ في المؤمن، فالمؤمن هين لين.

(والرسول عليه الصلاة والسلام يشبه المؤمن بخامة الزرع.. وكأنه ناظر إلى ما فيه من نفع لحياة الإنسان أو أنه يرجى خيره دائماً في كل حال........)[3].

---

(1) سورة البقرة : الآية :٢١٤.

(2) ينظر (العقد الفريد) لابن عبد ربه ٢٠٣/٣، ويمرمرها : يجيزها ويعديها، والحضض: عصارة نبات مر.

(3) ينظر (التصوير البياني) د. محمد أبو موسى ، ص ١٠١ ، ط٣ ـ ١٤١٣هـ .

الثاني:

شبه عليه الصلاة والسلام المنافق أو الكافر في تباعد المصائب والبلاء عنه ثم تأتيه فجأة فيتم هلاكه بشجرة الأرز الثابتة، فهي لا تزال منتصبة حتى يكون انجعافها ـ انقلاعها ـ مرةً واحدة.

تأتي الكافر المصائب دفعةً واحدة فيتحطم وينهار ويأخذه ربه أخذ عزيز مقتدر. فهو مثل الأرز ـ يقال لا تحمل شيئًا وإنما يستخرج من عروقه وأعجازه الزفت[(1)] ـ في صلابته وغلظه وصعوبه التعامل معه، فهذه الشجرة تقف أمام الفتن الصغيرة ـ على قلتها ـ فتأتي لها الريح فتقلعها مثل الكافر، وفي الأرزة ثبات وحجم ومنظر مغري وهذا من صفات المنافقين تعجب الناظر صورهم وكلامهم، قال تعالى عن هلاكهم : ﴿فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾[(2)].

ومن قال أ ا شجرة يخرج من أعجازها وعروقها الزفت نستخرج ونلمح إشارةً إلى باطن الكافر أو المنافق الأسود الخبيث وما يتضمنه من حقد وغل.

فكل صفة حميدة في المخلوقات توحي بنظيرها في المؤمن، وكل صفة خبيثة في المخلوقات نجد مثلها في الكفر وأهله.

*** أجر الصبر:**

الحديث السابع:

يبين فيه عليه الصلاة والسلام حالة المؤمن حين تنـزل به مصيبة من مرض ونحوه وكيف جعلها ـ سبحانه ـ من طرق تكفير السيئات.

---

(1) فتح الباري ١٠٧/١٠.

(2) سورة الحج: آية : ٤٤.

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: ((ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين))[1] قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: ((لا تسبي الحمى فإ ا تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد))[2].

يشبه عليه الصلاة والسلام تنقية الحمى وتمحيصها لذنوب المؤمن بتنقية الكير للمعدن. وجه الشبه بقاؤه نقياً خالياً من الشوائب والذنوب.

فالنار لا تزال مشتعلةً وبداخلها المعدن، فتنقيه وتخرج خبثه، فيخرج نقياً صافياً، والمؤمن هو ذلك المعدن الذي أدخل نار الفتن والبلاء والمصائب ليتم تنقيته من أوضار الذنوب وأدران المعاصي، ((والحمى من فيح جهنم))[3].فهي نصب المؤمن من جهنم ا يتم تطهيره، وقد سبق حديث نفي المدينة للخبثاء من الناس كالكير ينفي خبث الحديد.

ونلحظ إشارة المصطفى التربوية في التعامل مع أحداث الحياة رجاء الثواب (لاتسبي الحمى).

*** مرض الرسول عليه الصلاة والسلام مضاعف:**

الحديث الثامن:

يشترك هذا الحديث مع الحديث السابق في الغرض ويختلف معه في العناصر المكونة لصورة التشبيه التمثيلي.

عن الحارث بن سويد عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهو يوعك فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً. قال: ((أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم)). قلت: ذلك أن لك أجرين. قال: ((أجل ذلك

---

(1) تزفزفين : تتحركين حركة شديدة أي ترعدين.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي :١٣١/١٦.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي١٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

كذلك. ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها))[1].

وفي رواية البخاري:

((ما من مسلم يصيبه أذى ـ شوكة فما فوقها ـ إلاّ كفّر ا سيئاته كما تحط الشجرة ورقها))[2].

طريق لمحو السيئات شرطه الإيمان والصبر والاحتساب، كل مصيبة يتعرض لها المسلم ـ مهما تغير حجمها ـ يكون مقابل لها تكفير للخطايا، وهكذا حتى لا يبقى عليه ذنب، يمشي على الأرض نقياً طاهراً من أدران الذنوب، شبه عليه الصلاة والسلام هذه الحالة من حالات المسلم بحال الشجرة حال سقوط ورقها وتحاته.

والمؤمن يبقى صامداً كالجبل أمام ما يعتريه من مصائب وبلاء، صابراً يرجو رضا ربه والشجرة ثابته تعتريها عوامل التعرية من أمطار ورياح وقحط وجدب فتتساقط أوراقها وتتحات.

وفي هذه العملية ـ تساقط الأوراق، وتكفير السيئات ـ تتجدد نضارة الطرفين وتشرق، وجمال الشكل الظاهر والباطن .ليبدأ كلُ منهما في النماء والعطاء.

ولابد من صبر العبد ورضاه على تلك المصائب والبلاء ليتم له ذلك المحو للخطايا، فكل ما أصيب بمصيبة حط عنه من الخطايا حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة، طاهراً نقياً .

*** علاقة المؤمنين ببعضهم:**

الحديث التاسع:

---

(1) المصدر السابق : ١٢٧/١٦ ، والوعك : الحمى وقيل آلامها.

(2) صحيح البخاري ١٥٠/٧.

تشبيه تمثيلي الغرض منه بيان حال المؤمنين مع بعضهم البعض، وما يدور بينهم من تعاون وتراحم وما يربط بينهم من علاقات متينة ووشائج تربط بعضهم البعض، فالمحبة والرحمة والتعاطف تجري في دمائهم فتخالط تلك القلوب المليئة بالإيمان.

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)).

وفي رواية: ((المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله))[1].

هذا الحديث بروايتيه يبين لنا مدى التلاحم والترابط والتعاطف الذي يجب أن يكون بين المسلمين يحس كل واحد منهم بآلام وآمال الآخر.

((والتراحم والتواد والتعاطف من باب التفاعل، أي المشاركة من كل الأفراد، فالتراحم أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان، والتوادد هو التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، والتعاطف يعني إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقويه))[2].

فهم جسد يحس كل عضو بما يصيب العضو الآخر وإلاّ تفكك ذلك ا تمع ودب الضعف في كيانه. والجسد مجموعة أعضاء والأمة أفراد، فالجسد واحد، والأمة واحدة،العافية عامة والمرض عام، اتحاد في القوة والضعف، والأعضاء بينهما اتصال حسي يربط بعضها بعضا بالمركز العصبي ومن هنا تتأثر جميعاً فيشعر أحدهما بما يحدث للآخر، والأمة يربط بينها الإيمان والرحمة والتعاطف.

فالحديث من باب ضرب الأمثال للتوضيح والتجسيد والتقريب للأفهام، ((وأن أعضاء البدن كلها وإن لم تكن متساوية في الأهمية لكنها متساوية من حيث تألم الجسد

---

(1) ينظر (صحيح مسلم بشرح النووي :١٦/١٤٠.

(2) فتح الباري ١٠/٤٣٩.

لحلول أي ضرر عليها، فالإصبع والظفر والعين واليد والرأس كل أولئك إذا حصل لها مكروه تألم صاحبها وسهر من أجل ذلك.

وهكذا فليس هناك عضو في ا تمع الإسلامي مهما كان شأنه هينا لا تتأثر الأمة من أجل ضر أصابه، إ م لا بد أن يتألموا لأ م جسد واحد[١].

وذكر عليه الصلاة والسلام الرأس والعين للتمثيل لا الحصر.

شبه عليه الصلاة والسلام المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتلاحمهم بالجسد الواحد مهما حدث لجزء منه فإن بقية الجسد تشاركه في آلامه لأنه جزء من الجسد.

فالحديث يحث على التواد والتراحم والتعاطف، فلابد أن يهتم كل مسلم بشأن أخيه المسلم وهموم وتطلعات أمته ومن لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

واختيار المشبه به (الجسد) جعل المشبه في أوضح صورة وجلاّه، وجسد الوحدة الإسلامية في أجمل صورة، فالجسد حي والأمة الإسلامية حية دينهم واحد ور م واحد وهدفهم واحد.

*** قوم نعالهم الشعر:**

الحديث العاشر:

يبين عليه الصلاة والسلام صفات قوم يقاتلهم المسلمون قبل قيام الساعة، ويأتي هذا البيان بأسلوب التشبيه التمثيلي.

عن أبي هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم ا ان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر))[٢].

هذا بيان لصفات خلْقية لأقوام يقاتلهم المسلمون. وهذا من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام حيث أخبر عن أمر غيـبي يقع قبل قيام الساعة.

---

(1) ينظر (التصوير الفني في الحديث النبوي) د. الصباغ ،٤٤٩.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي :٣٦/١٨ ، وا ان : جمع مجن وهو الترس.

شبه عليه الصلاة والسلام وجوه أولئك القوم الذين يقاتلهم المسلمون قبيل قيام الساعة با ان أي التروس المطرقة في عرضها وعدم استوائها في شكل سطحها.

والغرض من التشبيه بيان شكل المشبه وتقريب صورته وتوضيحها، فالمشبه به ا ان المطرقة وهذا العنصر معروف لدى السامعين لا سيما وأن الأمة الإسلامية أمة جهاد، فهذه صفة يعرفون ا، ثم زاد عليه الصلاة والسلام صفةً أخرى لتوضيحهم فقال (نعالهم الشعر).

فوصفهم بصفتين خلْقية تكمن في شكل وجوههم وصفة مكتسبة تظهر في ملبسهم، فهم يجعلون نعالهم مصنوعة من الشعر، وهذا على الحقيقة كما أيدت هذا الرأي رواية أخرى: ((يلبسون الشعر ويمشون في الشعر))[١].

وردت صفا م عن طريق التشبيه والوصف، ولشدة خطرهم فقد بين عليه الصلاة والسلام صفات أخرى خلْقية تجلية لهم، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((تقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر كأن وجوههم ا ان المطرقة حمر الوجوه صغار الأعين))[٢].

فمن هؤلاء الناس وأين ؟ ومن سيقاتلهم ، وما نتيجة المعركة ؟ أسئلة الله أعلم بجوا ا.

شدة خوف الدجال من المسيح عيسى عليه السلام:

جاء الحديث لبيان الحالة التي يكون عليها إذا رأي عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فلشدة خوفه منه يذوب ـ عليه لعنة الله ـ ويتلاشى، ولكن نبي الله ـ عليه السلام ـ يتمكن منه فيدركه فيقتله. عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((لا تقوم الساعة حتى ي ل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة...... فبينما يعدون للقتال يسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة، فيـ ل عيسى بن مريم

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ٣٧/١٨.

(2) المصدر السابق ٣٨/١٨.

ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريه دمه في حربته))[١].

حديث عظيم دليل على نبوته عليه الصلاة والسلام حيث أخبر عما سيكون قبيل قيام الساعة من فتن.

وفي نهاية الحديث يتم اللقاء بين المسيحين ((ابن مريم عليه السلام، والدجال)) ولكن شتان ما بين الثرى والثريا.

وقد ورد في هذه الرواية تشبيه لوصف الحالة التي يكون عليها الدجال، وذلك في قول المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام:

((فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء)).

فقد شبه عليه الصلاة والسلام تلاشي الدجال إذا رأى عيسى بن مريم عليه السلام بذوبان الملح في الماء.

وجه الشبه: السرعة في كُلٍ وذوبان أحدهما في الآخر.

والغرض من التشبيه:بيان مقدار سرعة تلاشي الدجال المدلول عليها بقوله ((فلو ترك لانذاب حتى يهلك)).

ونلحظ في التشبيه عنصر المشبه به ((الملح))وما فيه من حقارة وعدم اهتمام وعدم منفعة وذلك لتقييده بلفظ ((في الماء)).

وقد أدى التشبيه الغرض الذي سيق من أجله ، صورة معبرة في أي زمان وأي مكان مهما طال وقت الباطل لا بد أن يأتي يوم يتلاشى فيه ويذهب، فالباطل لا يقف أمام الحق.

مدة فتنة الدجال:

---

(1)المصدر السابق ٢١/١٨ ، ٢٢، والأعماق ودابق: موضعان بالشام بقرب حلب.

أما الحديث الرابع فهو بيان لمدة بقائه ـ عليه لعنة الله ـ في الأرض وسرعته. فعن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدجال فخفض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رجعنا إليه عرف ذلك فينا فقال:

((ما شأنكم .... قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: ((أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: ((لا أقدروا له قدره))، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال : كالغيث استدبرته الريح))[١].

هذا حديث عظيم من أحاديثه عليه الصلاة والسلام عن الدجال، وقد امتدت هذه الرواية صفحات كثيرة في الصحيح وقد جاء فيها ذكر الدجال، وذكر عيسى ـ عليه السلام ـ وذكر يأجوج ومأجوج وسأكتفي ـ إن شاء الله ـ بذكر التشبيهات الخاصة بما ورد في فتنة الدجال في هذا المبحث ، أما فتنة يأجوج ومأجوج ، فستكون ـ إن شاء الله ـ في مبحث مستقل.

وجميع الأحاديث التي أوردها الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ وغيره في قصة الدجال ((حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، أقدر على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره و ـريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر، فتمطر، والأرض أن تنبت، فتنبت، فيقع ذلك بقدرة الله ـ تعالى ـ ومشيئته، ثم يعجزه الله ـ تعالى ـ بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل[٢] ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة، وجميع المحدثين والفقهاء خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وغيرهم، وأنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعي مخارق وخيالات لا حقائق لها وزعموا انه لو كان حقاً لم يوثق

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/١٨ ـ ٧١.

(2)الرواية طويلة جداً وفي إيرادها في الرسالة كاملة شيء من الحشو واكتفيت بما ورد من تشبيهات ومن أراد الرجوع إلى نص الرواية في الصحيح ا لمد ٦٥/١٨ ـ ٧١.

بمعجزات الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وهذا غلط من جميعهم، لأنه لم يدع النبوة، فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الألهية ، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته وعجزه عن إزالة العورالذي في عينيه.....))[١].

والحديث متضمن لعدة تشبيهات وهي كما يلي :

* التشبيه الأول :

ما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام:

((أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم....)).

قال العلماء:

((هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث، يدل عليه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((وسائر أيامه كأيامكم)).[٢]

فقد شبه عليه الصلاة والسلام بقاء الدجال بين الناس وهو يعيث في الأرض فساداً أربعين يوماً بالسنة في اليوم الأول، وبالشهر في اليوم الثاني، وبالأسبوع في اليوم الثالث.

وجه الشبه: المدة التي يقضيها ذلك اليوم.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار تلك الأيام الثلاثة الأول.

فالشمس في تلك الأيام الثلاثة الأول يختل نظامها ويبطئ سيرها.

ونلحظ في هذا الموطن شدة التمسك بالدين لدى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فلم يفكروا في مخبأ أو طعام أو سلاح أو غيره مما يتبادر إلى الذهن، وإنما سألوا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أهم شيء في حيا م .... قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال: ((لا اقدروا له قدره)).

قال القاضي[٣] وغيره :

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٥٨/١٨ ، ٥٩ "الهامش" من كلام القاضي عياض.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/١٨ "الهامش".

(3)هو القاضي عياض إمام وفقيه ومحدث.

((هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع......... ومعني اقدروا له قدره أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينهما وبين العصر، فصلوا العصر...........))[1].

* التشبيه الثاني :

ما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام :

((........ قلنا : يا رسول الله ما إسراعه في الأرض؟ قال: ((كالغيث استدبرته الريح)). في هذا التشبيه يبين لنا مدى سرعته في الأرض وأنه يطويها جميعاً ما عدا مكة والمدينة، فقد شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إسراعه في الأرض بالغيث المصاحبة له الريح.

ووجه الشبه بين الطرفين: السرعة والدافع الذي يدفعه والطرفان حسيان.

ونرى في هذه التشبيهات بعض ما أعطاه الله ـ عز وجل ـ للدجال من صفات وأمور خارقة للعادة ليتمكن من صد الناس عن دينهم.

هو السحابة وهذا مجاز وهنا سرعتان وهو مركب علاقته السببية.

ونلحظ اختيار كلمة ((الغيث)) فأرى ـ والله أعلم ـ أ ا اختيرت لسببين هما:

١ ـ أن الغيث يستخدم في الرحمة، والمطر يستخدم في العذاب، فاستخدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ الغيث بناءً على الاعتقاد الخاطئ لأتباع الدجال في ظنهم أنه خير حيث تمطر السماء بأمره، وتنبت الأرض، وتخرج الكنوز، ويحيي ويميت ....

٢ ـ أن الغيث اكثر انتشاراً في الأرض، فالريح تستد بره بشدة لتجعل رقعتة أكبر مساحة لتتم الفائدة منه لتنبت الأراضي وتخضر الأشجار، لتحتفظ الأرض به سطحياً لأن في انتشاره على مساحات واسعة يتسنى للأماكن الصلبة اكتنازه فيها، فيذهب إلى جوف الأرض ما يذهب ويبقى ظاهراً ما يبقى، أما المطر فهو لا يستخدم إلاّ في العذاب لأنه لا يكون العذاب م لاً إلا على فئة معينة في مكان معين عقاباً لهم.

* التشبيه الثالث:

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٦/١٨ "الهامش".

ما ورد في ذكره لكنوز الخرائب واستجابتها له حيث قال:

((........ ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل...))[١].

لا تزال المغريات والفتن متتابعة تبرز مدى خطر فتنته، فها هو يمر بالأماكن المهجورة فتخرج كنوزها تابعةً له.

شبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الكنوز في محاولة لحاقها بالدجال بعد أن أمر الخرائب أن تخرج كنوزها بيعاسيب النحل في التجمع والسرعة.

((وفي هذا الوصف تشبيه الكنوز التي تتبع الدجال بيعاسيب النحل في سرعتها ولحوقها من تريد قرصه. وفي اختيار هذا التشبيه روعة تتصل بالمعنى أوثق اتصال، وتحقق التناسق الفني))[٢].

ومطاردة النحل تبعث الخوف وتوجب الحذر وتوقع الشر.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبه.

٣/ التشبيه التمثيلي في أحاديث العبادات:

العبادة أمر يقرب العبد من ربه، فهي تطهير لذنوبه، وتزكية لنفسه وماله، صلاة وذكر وصدقة وجهاد........ أمور تبعث الروح في قلب فاعلها وتكسبه سعادة الدارين، وجاء التمثيل في هذه الأعمال ووصف لها وما تكسبه للمؤمن من خير وفلاح وقد بلغت ثمانية عشر تمثيلاً.

*** أثر الصلاة:**

الحديث الأول:

---

(1)الحزبة: المكان المهجور المتهدم، واليعاسيب ذكور النحل، وقال القاضي عياض: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لأنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لأنه متى طار تبعته جماعته.

(2)التصوير الفني في الحديث النبوي ص٢٥٢.

جاء لبيان أثر الصلوات الخمس على المؤمن، فهي مطهرة ومزيلة لما علق بقلب المؤمن من لمَم وهفوات.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أ ن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((أرأيتم لو أن راً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله ن الخطايا)).

وفي رواية أخرى عن جابر ((مثل الصلوات الخمس كمثل رٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات))[1].

فضل عظيم أعطاه الله ـ تبارك وتعالى ـ لهذه الأمة وجعل النظافة الحسية والمعنوية شعاراً لها.

ويذكر ابن حجر أن الصلوات الخمس مكفرات لما بينها في ذلك اليوم بشرط اجتناب الكبائر فالصلوات مكفرة لصغائر الذنوب[٢].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام الصلوات الخمس وما تحدثه في صاحبها من آثار خارجية وداخلية شبهها بحال المسلم الذي يغتسل من ر جار على باب بيته كل يوم خمس مرات.

وجه الشبه التطهير والتنقية وإزالة الأوساخ الحسية والمعنوية.....

وبلاغة هذا التشبيه تظهر في توضيح المعنى وتقريبه من الأفهام بضرب المثل الحسي بنهر جار غمر على باب الإنسان يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ثم يستفهم المصطفى عليه الصلاة والسلام استفهاماً تقريرياً، فيقول: هل يبقى من درنه شيء ؟

لاشك أنه يزيل جميع الأدران.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٠/٥.

(2) ينظر: ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) ١٢/٢.

والنهر بفتح الهاء وسكو ا ما بين جنبي الوادي[١]، وفي مجيئه نكرة دلالة على سعته وصفائه ونقائه، وله صفات أخرى جاءت في الرواية، فهو ر غمر جار ليس راكداً كما قال الحسن: ((ما يبقي ذلك من الدرن))[٢].

فهو متجدد الماء سالمُ من تغير الطعم والرائحة، فهو مستمر العطاء، وهو غمر،والغمر الكثير يغمر من يدخله ويغطيه.

ألفاظ تنمي المعنى وتثريه، وهو مجاور بالباب كأنه يجري ملاصقاً للدار، فهو قريب سهل المتناول.

((وحسبك ما توحي به كلمة ر النكرة من رقّة، وصفاء وعذوبة، وعظمة، وما توحي به (الباء) بين النهر والباب من الالتصاق حتى كأن الدار تجري من تحتها الأ ار، وما يخيل إلينا الفعل المضارع ((يغتسل)) من استحضار الصورة مع التجدد والحدوث طرفي النهار وزلفاً من الليل، يدل عليها العدد المحصور في اليوم، ثم يطرد هذا مع العمر صعوداً بإضافة لفظ العموم إليه (كل يوم) دلالة على اتصال النعيم ودوامه[٣])).

والحديث النبوي أعلى نمط بلاغي بعد كلام الله ويزيد التشبيه تأثيراً الاستفهام الذي طرق الآذان في بداية الحديث ((أرأيتم.........)) ودلالته على التشويق ورغبة النفس في معرفة ما بعده، ثم يأتي بعد ذلك التشبيه فيقع في النفس موقعاً حسناً.

ونلحظ لفظة ((ذلك)) اسم الإشارة المقترن بكاف البعد فهو يجسد في الذهن صفات ذلك النهر.

ولفظة (يمحو) من محي الشيء إذا ذهب أثره[٤]. وفيه إيحاء على تراكم الذنوب والمعاصي.

ونلحظ الفرق بين قوله ((يغتسل فيه)) ودلالتها على الظرفية، بخلاف لو جاء الكلام ((يغتسل منه))، ((ثم نرى جانباً لم يظهر هناك، وهو إسناد فعل المحو إلى لفظ

---

(1) فتح الباري١١/٢.

(2) صحيح مسلم ١٧٠/٥.

(3) ينظر (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية) د.عز الدين السيد ، ص ١٥٦.

(4) فتح الباري ١٢/٢.

الجلالة، وجعل الصلوات آلة المحو وسببه، ليزيد التفات الذهن إلى أن الممثل له هو الجانب الأشرف والعمل الأسمى الذي ينيل العبد رعاية الله، فإذا روعي مع هذا أن لفظ المفعول الممحو وهو (الخطايا) جمع لا مفرد، وبصيغة منتهى الجموع، علم مقدار ما تفعل هذه الصلوات التي لم تنل منا ما هي أجدر به من إيثار، ومقدار غفلتنا عن ـر من النور لا يزيل درناً فحسب عن البدن، وإنما يمحو آثاماً وخطايا تغمر العبد التارك فتقذف به في النار[1].

فالروايتان متشا تان إن لم تكونا متفقتين وكل رواية اختصت بحرف جر مناسب، فالأولى أخذت حرف (الباء) الذي يدل على الملاصقة، والرواية الثانية (على) الذي يفيد الاستعلاء وهو مناسب لقوله (ـر جار غمر).

والغرض من التشبيه بيان لحال المصلي المواظب على الصلوات الخمس، وذلك للترغيب في أدائها والمحافظة عليها.

*** هيئة الشعر الطويل في الصلاة:**

وفي الحديث الثاني:

جاء التمثيل فيه لبيان النهي عن هيئة معينة في الصلاة، هي عقص الشعر وفتله في الصلاة، لأن في هذا العمل إعاقة لحركة وحرية المصلي فكأنه مكتوف أي موثق بقيد.

عن عبد الله بن عباس أنه رأى عبد الله بن الحارث يصلي ورأسه معقوص من ورائه فقام فجعل يحله فلما انصرف أقبل إلى ابن عباس فقال: مالك ورأسي ؟ فقال: إني سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم يقول: ((إنما مثل هذا الذي يصلي وهو مكتوف))[2].

جاء الحديث في كتاب الصلاة، فيه الدعوة إلى حسن الهيئة وجمال المنظر في حال آداء هذا الركن العظيم.

---

(1) ينظر (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية) د. عز الدين السيد ، ص ١٥٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٧/٤ ـ ٢٠٨ ، وعقص شعره يعقصه ضفره وفتله....

وجاء التشبيه لتصوير حال من ارتكب هذه المخالفة فهو كالمكتوف.

فالمشبه: قول المصطفى - عليه الصلاة والسلام - ((مثل هذا)) أي صاحب الشعر المفتول في الصلاة.

المشبه به: الذي يصلي وهو مكتوف.

وجه الشبه: الصورة المنتزعة من تلك الهيئة أثناء ربط الشعر وفتله وصورة المكتوف وما يحصل لهما من انعدام وإعاقة للحرية.

والحكمة من النهي ((أن الشعر تسجد معه ولهذا مثله بالذي يصلي وهو مكتوف))[١]

ونلحظ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما فعل ابن عباس.

وقد أدى التشبيه التمثيلي الغرض منه حيث بين سبب النهي.

*** الفاتحة والصلاة :**

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من صلّى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام))فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام ، فقال : اقرأ ا في نفسك ، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ((قال الله - تعالى - قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى على عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي، وقال مرةً : فوض إلى عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل))[٢].

---

(1)هامش صحيح مسلم ٢٠٩/٤.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠١/٤-١٠٢ ، والخداج : النقصان يقال : خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج وإن كان تام الخلق "الهامش".

الفاتحة سورة عظيمة ، ولأهميتها لا تبدأ الصلاة إلا ا فهي في كل ركعة ، ولا تقبل الصلاة إلا ا ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن))[1].

وقد وردت في كتب السنة أحاديث عدة تبين أهمية هذه السورة وخاصةً في الصلاة. وفي تسميتها بأم القرآن دلالة واضحة على أهميتها .

والحديث تضمن تشبيهاً في قوله عليه الصلاة والسلام : ((من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج))، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشبه الصلاة التي لم يقرأ فيها بالفاتحة بذلك المخلوق الذي ألقت به أمه قبل أن يحين وقت ولادته (الخداج) .

ووجه الشبه بين الطرفين : النقصان في الموجود وعدم انتفاع صاحبه به وهذا تشبيه مؤكد مجمل أي بليغ .

ولا يعرف الدقة في هذا التشبيه ألا من عاش في جو الصحراء ورأى هذه العملية ، عملية الولادة في غير وقتها وما يتسم به المولود من ضعف وعدم اهتمام .

والطرفان عقلي في المشبه وحسي في المشبه به (الخداج) .

***رفع اليدين عند التسليم في الصلاة :**

عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ((مالي أراكم رافعي أيديكم كأ ا أذناب خيل شمس[2]اسكنوا في الصلاة)) قال : ثم خرج فرآنا حلقاً ، فقال : ((مالي أراكم عزين))[3] قال : ثم خرج علينا ، فقال : ((ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ر ا)) فقلنا : يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ر ا ؟ قال : ((يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف))[4].

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال :

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠١/٤.

(2) شمس : بإسكان الميم وضمها : التي لا تستقر بل تضطرب وتتحرك بأذنا ا وأرجلها .

(3) عزين: متفرقين.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٢/٤ـ١٥٣.

كنا إذا صلينا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلنا : السلام عليكم ورحمة الله. وأشار بيده إلى الجانبين ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((علام تومئون بأيديكم كأ ا أذناب خيل شمس . إنما يكفي أحدكم أن يضع يده على فخذه ، ثم يسلم على أخيه من على يمينه وشماله))(١).

وفي رواية أخرى عنه - أيضاً - قال :

صليت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فكنا إذا سلمنا قلنا بأيدينا السلام عليكم فنظر إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال:

((ما شأنكم تشيرون بأيديكم كأ ا أذناب خيل شمس ، إذا سلّم أحدكم فليلتفت إلى صاحبه ولا يومئ بيده))(٢).

هذا الحديث العظيم من أحاديث الصلاة يرشدنا فيه عليه السلام إلى آداب يجب علينا مراعا ا أثناء الصلاة .

حيث أمر عليه الصلاة والسلام بالسكون والخشوع ، وأمر بالتراص وإتمام الصفوف الأول فالأول والحث على الاجتماع والترغيب فيه ، فهذه أمور يجب علينا مراعا ا في صلاتنا . وإذا نظرنا إلى الروايات الواردة نجد فيها تشبيهين هما :

التشبيه الأول :

ما جاء في جميع الروايات ، ففي الرواية الأولى قوله عليه السلام :

((مالي أراكم رافعي أيديكم كأ ا أذناب خيل شمس اسكنوا في الصلاة)) .

وفي الرواية الثانية قوله عليه السلام :

((علام تومئون بأيديكم كأ ا أذناب خيل شمس ....)).

وفي الرواية الثالثة قوله عليه السلام :

((ما شأنكم تشيرون بأيديكم كأ ا أذناب خيل شمس ....))

---

(1) المصدر السابق ١٥٣/٤-١٥٤.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٤/٤

فهذا تشبيه لتلك المخالفة التي وقع فيها كثير من الصحابة - رضي الله عنهم - عند التسليم في الصلاة .

فالمشبه في الروايات: الأيدي التي ترفَع ويشار ا عند السلام في الصلاة .

والمشبه به: أذناب الخيل الشمس ....

((والشمس والشموس من الدواب : الذي إذا نحس لم يستقر. وشمست الدابة ، والفرس تشمس شمساً وشموساً وهي شموس : شردت وجمحت ومنعت ظهرها ، وبه شماس ، وفي الحديث ((مالي أراكم رافعي أيديكم في الصلاة كأ ا أذناب خيل شمس ؟ وهي جمع شموس ، وهي النفور من الدواب الذي لا يستقر ....))[1].

ووجه الشبه بين الطرفين :

الاضطراب والتحرك وعدم الاستقرار المخل بالخشوع .

فهذا التشبيه في الحركة يميناً وشمالاً بأذناب الخيل الموصوفة بالشمس تشبيه واقع مشاهد ، وجيء بأداة التشبيه في طريق التشبيه المرسل لتدل على قوة المشا ة بين الطرفين والتشبيه مجمل والطرفان حسيان .

ونلحظ التوجيه النبوي واختيار الوقت المناسب ليقع المراد من الحديث في نفوس السامعين،ومن بلاغته عليه الصلاة والسلام اختياره للمشبه به " أذناب خيل شمس " المنتزع من البيئة العربية ، فالخيل جزء لا يتجزأ من حياة المسلمين وخاصةً في ذلك الوقت في كو ا أداة مهمةً في التنقل والجهاد ، وأن الخير معقود في نواصيها إلى يوم القيامة.

التشبيه الثاني :

ورد في قوله عليه الصلاة والسلام :

((ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ر ا ؟)).

الحديث يدعو إلى أمر عظيم من أمور الصلاة وهو أمر التسوية ،وإكمال بعضها بعضاً ، الأول فالأول ، وفي تسوية الصفوف دلالة ودعوة إلى وحدة المسلمين وترابطهم .

---

(1) ينظر لسان العرب ٢٦/ ٢٣٢٤ مادة " شمس ".

والرسول عليه الصلاة والسلام يأتي بأسلوب التشبيه في سياق يوحي برفع معنويات الصحابة وذلك في طلبه مشا تهم بالملائكة عند الله ـ سبحانه ـ وفي هذا ترغيب وتشويق. فقد شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفوف المسلمين وما يجب أن تكون عليه في الصلاة بصفوف الملائكة عند ربها .

ووجه الشبه التراص والتسوية وإتمامها الأول فالأول ، وقد أشار إلى ذلك عليه الصلاة والسلام في الحديث بقوله : ((يتمون الصفوف الأُول ويتراصون في الصف)) فهو تشبيه مرسل مبني على ما ارتسم في الذهن من أن الملائكة أحسن المخلوقات شكلاً حتى صار هذا المعنى بم لة المحسوسان.

ونلحظ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر أمراً لم يكن معلوماً عند الصحابة وهو ذكر أن تكون صفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة والسبب ـ والله أعلم ـ إثارةً للانتباه والاهتمام الذي نتج عنه سؤالهم ((يا رسول الله فكيف تصف الملائكة عند ربها ؟)). لأن إيقاظ الإدراك بمبهم وانتظار الجواب والتفصيل يؤدي إلى رسوخ ذلك في العقل وصعوبة زواله .

قال عبد القاهر في هذا المعنى :

((ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف))[1].

وهذا أسلوب يكثر في كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفي لفظة ((الملائكة)) دلالة واضحة وإيحاء بما فيها من طهر وعبادة وتقوى ،فهذا الاختيار لهذه المخلوقات المخلوقة من نور أمر يثير في النفوس الزكية حب الاقتداء والتأثر والمحاكاة .وما توحي به كلمة ((عند ر ا)) من هيبة وأدب وخشوع للعظيم جل وعلا .

---

(1) أسرار البلاغة " تحقيق هـ . ريتر ، صـ ١٢٦.

وهذا التشبيه فيه فضل عظيم تفضل به عز وجل على هذه الأمة التي جعلها خير أمة أُخرجت للناس ، فقد روى حذيفة ـ رضي الله عنه ـ حديثاً ذكر هذا التشبيه من السمات التي تميزت ا الأمة الإسلامية ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((فضلنا على الناس بثلاث ، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد ماء ....))[١].

وفي ذكر فضل بعض الصلوات يروي عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ حديثاً يذكر فيه فضل صلاتي العشاء والصبح في جماعة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((من صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنما صلّى الليل كلّه))[٢].

صلاة الجماعة من أفضل العبادات ، ولها أجر عظيم ، وقد كان السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ حريصين على المحافظة عليها ، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

((صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة))[٣].

هذا فضل عظيم جعله الله لمن صلّى في جماعة ، والحديث الذي نحن بصدده يبين لنا فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام فضل صلاتي العشاء والصبح .

وفي هاتين الصلاتين سر ، فالعشاء يأتي بعد دخول الليل وخلود الناس للراحة والنوم في بعض ا تمعات وخاصةً قديماً لصعوبة ومشقة أعمال النهار ، أو السهر والسمر كما هو الآن .

وهذا الوقت المظلم الذي يصعب فيه الذهاب إلى المساجد جعل عليه الصلاة والسلام بشارةً لهؤلاء المؤمنين ، فعن بريدة الأسلمي قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((بشر المشائين في الظلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة))[٤].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٥.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٥٧/٥.

(3) متفق عليه ، رياض الصالحين ، صـ ٤٣٩.

(4) صحيح الترمذي : ٢٣/٢.

أما صلاة الصبح فتأتي في وقت يحلو فيه النوم .

وهاتان الفريضتان تميز المؤمن من المنافق ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ....))[١].

وقد ورد في الحديث الذي نحن بصدد دراسته تشبيهان:

التشبيه الأول :

قوله عليه الصلاة والسلام : ((من صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل)).

فقد شبه عليه الصلاة والسلام من صلّى العشاء في جماعة بقيام نصف الليل ، ووجه الشبه الأجر والثواب ، والغرض منه بيان مقدار أجر صلاة العشاء في جماعة وهو تشبيه مرسل مجمل والطرفان معنويان.

التشبيه الثاني :

قوله : ((ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنما صلّى الليل كله)).

فالمشبه : أجر من صلّى الصبح في جماعة ، والمشبه به : أجر من قام الليل كلّه ، وجه الشبه : الأجر والثواب ، والغرض : بيان المقدار.

وهو تشبيه مرسل ومجمل ، والطرفان معنويان .

وهناك تساؤل، لماذا جعل العشاء كقيام نصف الليل، ثم جعل الصبح كقيام الليل كله، ولم يقل كقيام النصف الآخر؟

الظاهر أنه لمن جمع العشاء في جماعة والصبح في جماعة ويؤيد هذا رواية الترمذي عن عثمان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة ، ومن صلّى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة))[٢].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي :١٥٤/٥ ، البخاري ١١٨/٢.

(2) صحيح الترمذي : ٢٢/٢.

والتشبيهان يرغّبان في المحافظة على هاتين الصلاتين مع الجماعة وأ ا فيصل بين المؤمن والمنافق لما فيهما من الأجر والثواب ويكفي في معرفة ذلك الفضل قوله عليه الصلاة والسلام : ((لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً))[١].

*** أثر الذكر:**

أما الحديث السادس فجاء التمثيل فيه لبيان أثر الذكر على القلوب، وأنه نور للمؤمن يضيء قلبه والأشياء التي حوله، فالذكر شعاع يضيء طريق صاحبه والمكان الذي يسكنه.

عن أبي موسى عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت))[٢].

مداومة المؤمن للذكر تبعث انشراح الصدر واطمئنانه قال تعالى: ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب))[٣].

أما الذي لا يذكر الله فقلبه مظلم وظاهره مظلم، عطّل حواسه فأخرب باطنه وظاهره، انتشر الظلام بداخله فطغى على ظاهره حتى شمل كل شيء يحيط به.

إشادة عظيمة تبين من خلالها فضل الذكر، والترغيب فيه والحث عليه، مشقة قليلة وأجر عظيم، سبيل للفلاح ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[٤].

ويكون الذكر باللسان والقلب والجوارح، (المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب : التفكر في أدلة الذات والصفات،

---

(1) رياض الصالحين : النووي : صـ ٤٢٩.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٦٨/٦.

(3) سورة الرعد: آية : ٢٨.

(4) سورة الجمعة :آية: ١٠.

وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله تعالى، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات)[١].

والغرض من التشبيه بيان الفرق، وليس التشبيه من التشبيه المتعدد لأنه لو جعل التشبيه تشبيهين منفصلين لاختلف المعنى وضاع الهدف الذي من أجله جيء بالتمثيل، وقد يكون الشيء منه إذا فُض تركيبه استوى التشبيه في طرفيه إلاّ أن الحال تتغير[٢].

من دعائه صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم عن مجزأة بن زاهر قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يقول:

((اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ))، وفي رواية معاذ: ((من الدرن)) وفي رواية يزيد ((من الدنس))[٣].

الدعاء مخ العبادة، وهو من أبرز صفات المسلم التي يتحلى ا لما فيها من الاعتراف بالضعف والحاجة إلى الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وفي هذا الحديث العظيم دعاء يتجلّى فيه من الخضوع والإلحاح ما لا يخفى، وفيه تشريع للأمة الإسلامية وتدريس لأهلها، فقد نبع هذا الدعاء من فم من غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليكون عبداً شكورا.

فوجب الاقتداء به والمتابعة له عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾[٤].

والتشبيه النبوي ورد في قوله عليه الصلاة والسلام:

((اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ، (الدرن)، (الدنس).

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٤٠٢/١٨.

(2) أسرار البلاغة ص ١٩٣.

(3)صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٣/٤ ـ ١٩٤.

(4)سورة الأحزاب آية : ٢١.

فالمشبه: التطهير من الذنوب.

المشبه به: تنقية الثوب الأبيض من الوسخ، أو الدرن، أو الدنس.

ووجه الشبه بين الطرفين: التطهير الكامل المُعتنى به الذي لا يترك شيئًا.

والغرض بيان مقدار حال المشبه.

وهو تشبيه مرسلٌ لأن الأداة مذكورة ومجمل لحذف وجه الشبه.

والطرفان عقلي (التنقية من الذنوب) و(حسي) تنقية الثوب الأبيض.

ونلحظ في هذه الصورة البيانية اختيار الثوب الأبيض دون غيره من بقية الثياب لما في ذلك من الصعوبة والدقة التي يحتاج إليها الثوب الأبيض في التنقية، والعناية التامة، وفيه ـ أيضا ـ دلالة واضحة وهي أن الذنوب في قلب المسلم كأثر الوسخ في الثوب الأبيض، فالقليل لا يخفى والكثير يفسد، وفيه أن المغفرة تجلو القلب جلاء الماء للثوب الأبيض،لذلك وجب علينا الدعاء المتواصل.

والحديث يدعو المسلم أن يجمع بين نقاء الباطن وذلك بترك الذنوب والمعاصي وجميع الآثام وبين نظافة الظاهر من الأوساخ والأدناس؛ لأن الإسلام دين النظافة.

وقد أورد الإمام مسلم في كتاب الجنائز حديثًا جاءت فيه الصورة المذكورة، وذلك في حديث الدعاء للميت في قوله صلى الله عليه وسلم:

((... ونقّه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ...)) [١].

ووردت نفس الصورة ـ أيضا ـ في كتاب "الفتن" في قوله عليه الصلاة والسلام:

((... ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب)) [٢].

ابتهال وتضرع إلى الخالق القادر من عبد غُفر له ذنبه، دعوات خالصة من قلب عرف حكم المعصية وتأثيرها في الدنيا والآخرة، والتشبيه بين خطر وجود المعصية في قلب العبد وأن سعادة العبد في الدارين تكمن في نقاء القلب من هذه الذنوب.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٣٠/٧ ـ ٣١.

(2)المصدر السابق ٢٨/١٧ ـ ٢٩.

*** المحافظة على قراءة القرآن:**

الحديث الثامن:

جاء لبيان أثر القرآن في النفس القارئة، ومدى بقاء ذلك الأثر متوقف على مراجعته وحفظه ومدارسته وتعهده، لأنه سريع النسيان، فوجب المحافظة عليه لأنه أغلى ما يملك العبد، فهو حياة القلوب ونور البصر والبصيرة.

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ قال:

((إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقّلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت))[١].

القرآن من أفضل العبادات، منجم للحسنات، فكل حرف بحسنه والحسنة بعشر أمثالها، وقد وردت عدة أحاديث تبين التفلّت الشديد للقرآن والإرشاد إلى مدارسته ومراجعته ليتم حفظه في الصدور ((بئسما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت. بل هو نسي. استذكروا القرآن، فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم بعقلها))[٢].

شبه عليه الصلاة والسلام درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشرود، فما دام التعاهد موجوداً فالحفظ موجود كما أن البعير ما دام مشدداً وموثقاً بالعقال فهو محفوظ.

وجه الشبه التعاهد المؤدي إلى البقاء والترك والإهمال المؤديان إلى الضياع والذهاب، وسلك عليه الصلاة والسلام المثل لبيان هذا المعنى لإيضاحه وتثبيت فهمه. وينقل الصباغ نصاً حول هذا الحديث جاء فيه:

((وإنما ضرب رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ المثل بالإبل دون غيرها من الخيل والحمير والبغال، وإن كانت إذا لم تربط ذهبت وشردت، لما بين القرآن والإبل من التناسب ومن ذلك أن الإبل تنقاد مع الضعف والقوي والصغير والكبير، والذكر

---

(1) المصدر السابق ٧٥/٦.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٧٦/٥، ٧٧. والتفصي: الانفصال والتفلت.

والأنثى، مع شدة قو ا وعظم خلقها، والقرآن مع علو قدره، وجلالة أمره وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ميسر منقاد للضعيف والقوي، والصغير والكبير والذكر والأنثى.

ومن ذلك أن الإبل تحمل الثقل.

والقرآن يحمل أثقال المذنبين، فبكل حرف منه عشر حسنات، كل حسنة تكفر سيئة، ومن ذلك أن الإبل هي المعدة لحمل الذين يؤمون البيت الحرام وحمل أثقالهم قال تعالى:

﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشقِّ الأنفس﴾(١).

والقرآن العظيم بقراءة العبد له يناجي ربه عز وجل.

وهي من أهم الوسائل قديماً إلى الوصول إلى بيت الله عز وجل، والقرآن بتلاوته يحصل للعبد القرب والمناجاة للرب ـ جل وعلا ـ والله عز وجل ـ ضرب المثل بالإبل فقال:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾(٢).

فاقتدى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بربه في ضرب المثل وقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ :((القرآن أشد تفلتاً من صدور الرجال من الإبل في عقلها))(٣).

((وخص الإبل بالذكر لأنه أشد الحيوان الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استكمال نفورها صعوبة))(٤).

وهذا أمر مشاهد ملموس عند أصحاب الإبل الذين يعرفون طبائعها، فهو مثال من البيئة العربية.

موازنة عظيمة بين القرآن في صدور الرجال وبين الإبل في عقلها، ونلحظ الأدب النبوي الوارد في رواية البخاري ((نسيت آية كيت وكيت)) وإنما الواجب أن يقول

---

(1) سورة النحل :٧.

(2) سورة الغاشية :١٧.

(3) التصوير الفني في الحديث النبوي : ص :٤١٢ ـ ٤١٣.

(4) عمدة القاري : ٢٣١/١٦.

((نسيت)) فسرعة النسيان وشدة تفلته أكد عليه الصلاة والسلام كثرة حدوثها بالقسم ((فو الذي نفسي بيده ......)) وكذلك اللام في قوله ((لهو))، فالواجب علينا تعهده ومدارسته ليبقى في صدورنا.

*** أثر قراءة القرآن:**

ويأتي الحديث التاسع لبيان فضل قراءة القرآن الكريم، وأثر هذه القراءة على قلوب الناس، فالمؤمن القاري نقي الباطن جميل الظاهر، وبيان أن المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ضعيف الباطن جميل الصورة. وهناك صنف منافق حسن الظاهر ولا يتأثر بما يقرأ، وهناك صنف جمع السوء من جانبيه نفاق وترك للقراءة.

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ:

((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر))[١].

وجاء الحديث في البخاري مع تغيير بسيط في ألفاظه، فعن أبي موسى عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها))[٢].

بيان لحال العبد مع القرآن وأثره والإيمان، إذا اجتمعا أو تغيب أحدهما.

قال العيني:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ٨٣/٦ ـ ٨٤.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ٢٢١/١٦.

((أعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلاّ تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله ا يد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القاريء، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي أو العكس، وهو المؤمن الذي لم يقرأه.

وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث، ولم يجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك، لأن المشبهات والمشبه ا واردة على التقسيم الحاضر، لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن، والثاني إما منافق صرف أو ملحق به، والأول إما مواظب عليها، فعلى هذا قس الأثمار المشبه ا، ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم وريح.

وقد ضرب النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشا ة التي بينها وبين الأعمال، فإ ا من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق، تنبيهاً على علو شأن المؤمن وارتفاع عمله ودوام ذلك، وتوقيفاً على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلّة جدواه[١].

وهذه الأصناف من العباد وما يقابلها من عناصر نباتيه تتبين بلاغة التشبيه من خلال تحليل تشبيها ا ومدى قوة وجه الشبه المنتزع من بين الطرفين.

التشبيه الأول:

قوله عليه الصلاة والسلام: ((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب)).

تشبيه المؤمن القارئ بالأترجة ذات الطعم والريح الطيبين، واختار عليه الصلاة والسلام الأترجة من بين بقية الثمار لأ ا ((أفضل ما يوجد من الثمار في سائر البلدان، وأجدى لأسباب كثيرة جامعة للصفات المطلوبة منها والخواص الموجودة فيها، فمن ذلك

---

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ٢٢١/١٦.

كبر جرمها، وحسن منظرها، وطيب مطعمها، ولين ملمسها، تأخذ الأبصار صبغةً ولونا، فاقع لو ا تسر الناظرين، تتوق إليها النفس قبل التناول، تفيد آكلها بعد الالتذاذ بذوقها، طيب نكهة، ودباغ معدة وهضم، واشتراك الحواس الأربع البصر والذوق والشم واللمس في الاحتفاظ ا، ثم إن أجزاءها تنقسم على طبائع: قشرها حار يابس، ولحمها حار رطب، وحماضها بارد يابس، وبذرها حار مجفف وفيها من المنافع ما هو مذكور في الكتب الطبية[1]))

فقد شبه عليه الصلاة والسلام المؤمن القارئ ذه الثمرة الطيبة التي أدرك بعض صفا ا الإمام العيني، ونرى ابن حجر يستخرج دلالات أخر توحي ا هذه الثمرة قال:

((الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة، لأنه يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع، وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج، فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن))[2].

نلاحظ أن أكثر حواس الإنسان تعجب من الأترجة، فالعين تسر برؤيتها، والذوق يستلذ بطعمها، والأنف يستطيب رائحتها وكذلك المؤمن إذا نظرت إليه سرك ومجالسته أريحية عالية للنفس والإستماع إلى تلاوته إنشراح للصدر، فالمؤمن يكمن في قلبه إيمان يملأ قلبه، وإهتداء بالسنة، ويزيد هذه الصفات الحميدة قراءة القرآن الذي جعله الله نوراً لمن قرأه وعمل بما جاء فيه من اتباع للأوامر واجتناب للنواهي وتطهير وتزكية للنفس.

التشبيه الثاني:

قوله عليه الصلاة والسلام: ((والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها...)).

---

(1) المصدر السابق : ٢٢٢/١٦.

(2) فتح الباري : ٦٦/٩ ـ ٦٧.

صورة مؤمن ضعيف لم يتل القرآن فحرم زينة الظاهر، وهذا بيان لأحوال وأنواع المؤمنين، فالصفات الأول بيان لمن تم علمه وعمله، وهذا بيان لمن في أعماله خلل، وكأن الحديث يمد أواصر وعلاقات وإيحاءات ترتبط بحديث موقف الناس من الرسالة المحمدية ((كمثل غيث أصاب أرضاً...........)).

فالمؤمنون درجات تبينها الأحاديث والآيات والمعول عليه في ذلك التقسيم الإيمان والعمل الصالح

وهنا تشبيه للمؤمن الذي أهمل قراءة القرآن بالتمرة المتصفة بالطعم الحلو مع انعدام الرائحة، فالمؤمن طيب الداخل لوجود الإيمان واستقراره في نفسه ولكن ينقصه المظهر الجميل والريح الطيب الذي يتوفر فيمن يقرأ القرآن بكثرة، فهنا تظهر الحكمة من اختياره عليه الصلاة والسلام للألفاظ التي أوما ا وأشار ا إلى اختلاف الناس تبعا لجانبي الإيمان والقرآن ، وقرب إلينا الفكرة في صورة محسوسة حيث جعل المشبهات ا من المحسوسات المشاهدات التي لا يجهلها أحد ، وقد فطن الإمام العيني إلى سر اختيار الأترجة والتمرة فقال : ((وقد ضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – المثل بما تنبته ، و يخرجه الشجر للمشا ة التي بينها وبين الأعمال فإ ا من ثمرات النفوس ، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن))[1]وفي هذا إشارة إلي أهمية المؤمن وعلو شأنه.

التشبيه الثالث:

بيان للمنافق الذي فسد باطنه بسبب ما انطوى عليه قلبه من نفاق وكفر وحسن ظاهره بسبب قراءة القرآن وقد بين عليه الصلاة والسلام هذا المعنى بأسلوب التمثيل وذلك بقوله: ((ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر....))

تشبيه المنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة في كو ا طيبة الرائحة مرة الطّعم، وهذا متحقق في المنافق أو الفاجر ـ كما ورد في رواية البخاري ـ فهو مر الطعم لأن جوفه

---

(1) عمدة القاري ٣٨/٢٠.

خرب خالٍ من الإيمان وهذه المرارة فيه هي (مرارة الريحانة) والظاهر للناس أنه يقرأ القرآن فتظهر الرائحة الطيبة، فالقرآن لا يجاوز حنجرته، لأنه لا يعمل به ولا يؤمن به.

التشبيه الرابع:

بيان ووصف للكافر الذي جمع خلتين فاسدتين وميزتين قبيحتين عدم الرائحة ومرارة الطعم، فهو لا يؤمن بالله ولذلك فهو لا يقرأ القرآن ولا يؤمن به ((ومثل المنافق ـ أو الفاجر ـ الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها)) باطنه خبيث خرب يحمل نفساً خبيثة خلقت من الفجور والإثم والطغيان ونبتت في بستان النفاق، وظاهره منتن كريه لبعده عن كلام الله.

تقسيم رائع لأحوال الناس بين الإيجاب والسلب في حقلي الإيمان وقراءة القرآن يزيد التشبيه رونقاً وتجسيداً وتأثيراً في نفس المتلقي إذ لا يمكن أن يكون موجود غير هؤلاء الأربعة الموجودين في الحديث.

ويعلق ابن الأثير على هذا الحديث بقوله:

((وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب، ألا ترى أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ شبه المؤمن القارئ، وهو متصف بصفتين هما الإيمان والقراءة بالأترجة وهى ذات صفتين، هما الطعم والريح، وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ، وفي المنافق القارئ، والمنافق غير القارئ))[1].

تشبيه تمثيلي أثر تأثيراً عجيباً وهذا مصداق مقولة عبد القاهر عند حديثه عن أثر التمثيل فيقول:

((فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأثيرها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالأضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر

---

(1) المثل السائر لابن الأثير ١٣٧/٢ ـ ١٣٨.

في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة في غاية التمام، كما قالوا: ((ليس الخبر كالمعاينة))، ((ولا الظن كاليقين........))[١].

*** فضل قراءة القرآن:**

الحديث العاشر: بيان لفضل قراءة القرآن وخاصة ما تتميز به سورتا البقرة وآل عمران من خير يعود على قارئها في الدنيا والآخرة.

عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول حدثني أبو أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ يقول:

((اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإ ما تأتيان يوم القيامة كأ ما غمامتان أو كأ ما غيايتان أو كأ ما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحا ما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة "قال معاوية: بلغني أن البطلة هم السحرة"))[٢].

وفي رواية:

سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول: سمعت النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول: ((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: ((كأ ما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأ ما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما))[٣].

بيان لم لة القرآن، وحث على قراءته وإظهار لميزة من أعظم صفاته التي ينتفع ا قارئ القرآن في الآخرة وهي الشفاعة، وفي الرواية الثانية بيان لهؤلاء القوم الذين يستحقون أن يشفع لهم القرآن، فهم قوم قرأوا القرآن وعملوا به.

---

(1) أسرار البلاغة تحقيق هـ ـ ريتر ١٠٨.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ٨٩/٦ ـ ٩٠، والغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة أو غيرها.

(3) المصدر السابق:٩٠/٦ ـ ٩١، حزقان :قطيعان أو جماعتان.

والتشبيه التمثيلي جاء لبيان فضل سورتي البقرة وآل عمران، وفي هذا حث على الإكثار من حفظهما وقراء ما آناء الليل وأطراف النهار وتدبر معانيها والعمل ما.

وقد سماهما عليه الصلاة والسلام الزهراوين ((لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما))[1] ثم ضرب عليه الصلاة والسلام لهما ثلاثة أمثال: كأ ما غيايتان أو كأ ما ظلتان سوداوان وهما معنيان متقاربان، أو كأ ما فرقان من طير صواف أو حزقان من طير صواف وهو معنى واحد، وفي هذه التشبيهات نجد الصورة التي يجسدها لنا التشبيه حيث يجعل هاتين السورتين العظيمتين وكأ ما غمامتان تعلو رؤوس أصحا ما، هذا المشهد العظيم الذي صوره لنا التشبيه وهو الفرقان من الطير، هذا الترابط الذي نبع من التشبيه يجعل العقل السليم يتخيل الموقف ويجسده ويوضحه للعيان وكلنا نعلم أهمية الغطاء فوق الرأس وكيف به يوم القيامة ؟ لا شك أن الحاجة إليه ماسة وكيف إذا كان الغطاء كلام الله؟وفي يوم اشتد فيه الحر وغضب فيه الرب،وسعرت فيه جهنم وجيء ا.

ونلاحظ في الحديث أن المشبه واحد والمشبهات ا ثلاثة وهذا أمر يدل على عظم المشبه والاهتمام به ((وليس من شك في أن ضرب أمثال ثلاثة لأمر واحد يدل على غزارة الخيال المصور كما يدل على أهمية هذا الذي تضرب له هذه الأمثال))[2].

ونلحظ شيئاً آخر في الرواية الثانية وهو ما خص الله ـ تعالى ـ به سورة البقرة من ميزة وهذا في قوله:

((اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)).

ولعل السبب في ذلك ما ورد في الباب الأول من هذه الدراسة وهو قوله عليه الصلاة والسلام:

((لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))[1].

---

(1) أثر التشبيه د/ عبد الباري طه ١١٥.

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي للصباغ ، ص ٤١١.

والشيء الآخر لعلّه في احتوائها على آية السحر وهي قوله تعالى:
﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السِّحر﴾[٢]، لأن معاوية قال: ((بلغني أن البطلة هم السحرة، وقد يكون السبب ـ والله أعلم ـ أ ا تضمنت مواضيع لم تذكر في آل عمران كحديثها عن آدم وبداية الخلق، وعن قصص بني إسرائيل، وآية الكرسي ....

وقد جاء التشبيه مقروناً بثلاثة مشبهات به لاختلاف حال القراء والله اعلم .

*** فضل الإنفاق:**

الحديث الحادي عشر يبين عظيم الأثر الذي يحصله المؤمن حين ينفق المال ويبذله بنية صافية وطيب نفس، ويبين حال البخيل وأنه لا يحصل على نفع، والحديث يصف أثر تلك الصدقة على المال وعلى صاحبها في الدنيا والآخرة.

عن أبي هريرة عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((مثل المنفق والمتصدق كمثل رجل عليه جبتان أو جنتان من لدن ثديهما إلى تراقيهما، فإذا أراد المنفق (وقال الآخر: فإذا أراد المتصدق) أن يتصدق سبغت عليه أو مرت وإذا أراد البخيل أن ينفق قلصت عليه وأخذت كل حلقة موضعها حتى تجِن بنانه وتعفوا أثره، قال: فقال أبو هريرة فقال: يوسعها فلا تتسع))[٣].

وفي رواية:

((ضرب لنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفوا أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكا ا قال: ((فأنا رأيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ يقول بإصبعه في جيبه فلو رأيته يوسعها ولا توسع))[٤].

---

(1) صحيح مسلم : ٦٨/٦.

(2) سورة البقرة : آية :١٠٢.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي :١٠٧/٧ـ١٠٨.

(4) المصدر السابق ١٠٨/٧ـ١٠٩.

((هذا مثل ضربه صلّى الله عليه وسلّم للجواد والبخيل وشبههما برجلين أراد كل واحد أن يلبس درعاً يستجن ا، والدرع أول ما يلبس إنما يقع على موضع الصدر والثديين إلى أن يسلك لا بسها يديه في كميه ويرسل ذيلها على أسفل بدنه فيستمر سفلا، فجعل صلّى الله عليه وسلّم مثل المنفق من لبس درعاً سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه وحصنته، وجعل البخيل كرجل يداه مغلولتان ما بين دون صدره، فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينهما وبين أن تمر سفلاً على البدن واجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته فكانت ثقلاً ووبالاً عليه من غير وقاية له وتحصين لبدنه، وحاصلة أن الجواد إذا هم بالنفقة اتسع لذلك صدره وطاوعت يداه فامتدتا بالعطاء، وأن البخيل يضيق صدره وتنقبض يده عن الإنقاق))[١].

وقيل: ((ضرب المثل ما لأن المنفق يستره الله بنفقته ويستر عوراته في الدنيا والآخرة كستر هذه الجنة لابسها والبخيل كمن لبس جنه إلى ثدييه فيبقى مكشوفاً بادي العورة مفتضحاً في الدنيا والآخرة))[٢].

وقيل:

((يريد أن المنفق إذا أنفق كفرت الصدقة ذنوبه ومحتها، كما أن الجبة إذا أسبغت عليه سترته ووقته، والبخيل لا تطاوعه نفسه على البذل فيبقى غير مكفّر عنه الآثام، كما أن الجبة تبقي من بدنه ما لا تستره فيكون معرض الآفات))[٣].

هذه أهم ما ورد في شرح هذا الحديث برواياته الواردة في الصحيحين.

صورتان امتزجتا في بوتقة البلاغة والبيان النبوي فكونتا صورةً متكاملةً يستشف من خلالها وجه الشبه.

صورة عظيمة غريبة، المنفق خالٍ من العيوب خلاف البخيل، لا ثياب، لا يبارك له في ماله، مفضوح في الدنيا والآخرة، معرض للآفات، لا يحمده أحد......

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤٦/٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي (الهامش) ١٠٩/٧.

(3) عمدة القاري ، العيني ٢٤٦/٧.

ونلحظ أن آراء العلماء في شرح هذا الحديث رأي واحد، كل رأي تناول القضية من طرف. نظروا إليها من جهات، من جهة محو الذنوب، سعة البذل والعطاء وكثرته، الستر في الدنيا والآخرة، نماء المال.

آراء متعددة تجدد المعاني وتثري الصورة فيتسع الخيال، وهذه المعاني التي أوردها العلماء تتوفر في المنفق، فهو سخي قريب من الله قريب من الناس، قريب من الجنة بعيد عن النار، ماله ينمو، وسيئاته تمحى، كريم.

وهناك حديث يوحي أن الجبة كمال الدين وارتفاع مؤشر الإيمان في النفس، فعن أبي سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قُمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض على عمر بن الخَطّاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين[١])).

((والحديث يصور حالة من أهم وأخفى حالات النفس عند الإنفاق والإمساك، ففي كون وقوع الجبة من الثدي إلى الترقوة إشارة إلى أ ا تقع مسلك القلب وهو الذي يأمر المرء وينهاه))[٢].

حالة نفسية إذا دعت الظروف للبذل، المنفق تغالبه نفسه فيصارعها فيغلبها، والبخيل نفسه سيئة تحول دون الإنفاق، طبع سيء، ضاقت جبته على عنقه وتوشك أن تضيق كل مرة حتى لكه.

وعلل العلماء القيد في قوله ((جنة من حديد أو جبة من حديد)) وأدركوا المغزى، فقالوا: فيه إعلام بأن القبض والشدة من جبلة الإنسان))[٣].

ونلحظ الأفعال المضارعة ((يوسعها ـ تغشى ـ يجهد ....))

وما توحي به من استحضار للصورة وما تدل عليه من تجدد للحدث وكأننا نشاهد خير الإنفاق على صاحبه، وما يجره البخل من ضيق على البخيل وما يعانيه من ضنك في العيش.

---

(1) رواه البخاري : ١٢/١.

(2) عمدة القارئ ، العيني ، ١٩٤/١٤.

(3) عمدة القارئ ، العيني ، ٢٤٦/٧.

واختيار الجبة والجنة أثرى المعنى، وقربت الصورة المعنى إلى الإفهام وبلاغته عليه الصلاة والسلام لا تخفى في اختيار الألفاظ المعبرة والتي كانت من واقع الناس وقتي السلم ((الجبة)) والحرب ((الجنة)).

*** الاهتمام بصدقة العبد:**

والحديث الثاني عشر يبين عليه الصلاة والسلام فيه قبول الصدقة ونماءها، فالصدقة ـ مهما قلت ـ فإن الله يقبلها من المؤمن ويتعهدها بالرعاية والاهتمام، ولا تزال تلك الصدقة عنده ـ سبحانه ـ تضاعف وتنمو وتزيد حتى تصير مثل الجبل، ويشترط في هذه الصدقة أن تكون من كسب طيب.

عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله))[(١)].

وفي رواية:

((لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلاّ أخذها الله بيمنه* فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل العظيم))[(٢)].

رحمة وكرم من أرحم الراحمين، صدقة مضاعفة، تربى تلك التمرة للعبد المؤمن حتى تصير أعظم من الجبل، صدقة من مالٍ حلال، بنية خالصة لله، تكون سببا في نجاة صاحبها من النار فعن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول:

((اتقوا النار ولو بشق تمرة))[(٣)].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ٩٨/٧ ـ ٩٩.

* في هذا الحديث إثبات اليد اليمنى لله تعالى وهذه من أحاديث الصفات وقد ذكرنا رأي العلماء في هذه الأحاديث عند تحليل هذا الحديث في باب التشبيه المفرد.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي :٩٨/٧ ـ ٩٩.

(3) المصدر السابق: ١٠١/٧.

إن الصدقة مهما كان حجمها ولو بلغت حجم التمرة، وهي من كسب طيب فهي حجاب لصاحبها من النار والحديث في هذا المعنى صريح.

((إن الصدقة اليسيرة التي تساوي عدل تمرة من كسب طيب يقبلها الله بيمينه، وإنه لإكرام للمتصدق....... فهذه الصدقة القليلة يقبلها الله تبارك وتعالى بيمينه، ثم يربيها وينميها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، والعرب تعنى بالخيل عناية كبرى حتى إ م ليسقو ا اللّبن ولا يركبو ا في الأسفار ولا في الذهاب إلى الحروب، ويدخرو ا للمعارك والكر والفر والغارة، وقد نطقت بذلك أشعارهم.........))[١].

ورد في الرواية الأولى: ((......... فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أوفصيله[٢])).

وفي الثانية:

((..فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه[٣]حتى تكون أعظم من الجبل العظيم)).

صورتان عظيمتان:

الأولى: نمو الصدقة في كف الرحمن حتى تصبح أعظم من الجبل.

الثانية: تربية الرحمن لتلك الصدقة كما يربي المرء فلوه أو فصيله أو قلوصه.

ولترابط هاتين الصورتين تم تكرار الحديث مرتين في التشبيه المفرد ثم في التشبيه التمثيلي.

شبه الرسول - عليه الصلاة والسلام الصدقة اليسيرة من الحلال في كف الرحمن وهو مهتم ا وينميها لصاحبها بتربية الإنسان فَلُوه أو فصيله أو قلوصه.

والجامع بين الطرفين كمال الاهتمام والعناية والزيادة الواضحة والمراقبة المستمرة.....

والإمام النووي يرى أن تلك التربية والمضاعفة حسية قال:

---

(1) فَلُوه : بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويروي: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر سمي بذلك لأنه فلى عن أمه أي فصل.

(2) فصيله : الفصيل ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه.

(3) قَلُوصه : بفتح القاف وضم اللام وهي الناقة الفتية ولا يطلق على الذكر.

((إن المراد بذلك تعظيم أجرها وتضعيف ثوا ا، ويصح أن تكون على ظاهره، وأن تعظم ذا ا، ويبارك الله فيها ويزيدها من فضله حتى تثقل في الميزان))[١].

فالتشبيه صورة ((والصورة هنا تعتمد على الحس المباشر الذي يدرك المشاهد متابعته وتتجسم أمامه الأشياء تجسماً واضحاً يخلب النفس))[٢].

والفلو عنصر مهم في الصورة ((وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينة فكذلك الصدقة نتاج العمل فإذا كانت من حلال لا يزال نظر الله إليها حتى تنتهي بالتضعيف إلى أن تصير التمرة كالجبل))[٣].

وللفلو مكانة عظيمة فهو مدخر للشدائد للحروب والدفاع عن الأعراض، والصدقة مثله يدخرها الله لصاحبها يوم القيامة فالمرء في ظل صدقته ذلك اليوم وحاجته إليها شديدة في ذلك اليوم ونلحظ حب النفس لصغار الحيوان ولا سيما الفلو، والله يحب الصدقة من العبد.

والفلو يحتاج إلى مشقة في الترويض ليتم الانتفاع به فالخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة والصدقة يحتاج لصاحبها ترويض نفسه وتدريب لها على الإخلاص لله وحده ليخلص ما ينفق من الرياء والسمعة لتتم الفائدة منها فينال رحمة الله ومغفرته.

وفي اختيار المصطفى لبعض الألفاظ الموحية المعبرة دقة وبلاغة، فقد اختار عليه الصلاة والسلام ذكر لفظ (الرحمن) دون غيره من أسماء الله ـ تعالى ـ لأن هذا الاسم ينسجم مع مضمون الحديث المفعم بالرحمة والفضل الكثير.

ونلحظ اختيار(المهر) دون غيره لأن العربي يعتني بتربيته أكثر من غيره، وقد ذكر أولاً قبل الفصيل والقلوصة.

((والحقيقة أن في التمثيل بتربية المهر لتربية الأجر براعة فائقة ودقة متناهية؛ لأن المهر يبذل من الجهد في تربيته ما لا يبذل في غيره من الحيوان))[٤].

---

(1) هامش صحيح مسلم ٩٩/٧.

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص ٥٨١.

(3) عمدة القارئ : ٢٧٠/٨.

(4) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص ٩٢.

وإذا تأملنا عناصر الصورة التمثيلية (التمر ـ الفلو ـ القلوصة ـ الفصيل ـ الجبل) نجد أ ا أثرت الصورة وأدخلت في ظلها كل معان للنماء والاهتمام وحسن الرعاية، وما يدل عليه الفعل المضارع (يربي) من استحضار للصورة وتجدد، وما يبعثه من روح وحركة تنتشر في جوانب الصورة.

والصورة تحث على الصدقة من المال الطيب لينال العبد عظيم الأجر وجزيل الثواب.

***حرمة الدماء والأموال:**

الحديث الثالث عشر:

أوصى عليه الصلاة والسلام في خطبة حجة الوداع بعدة وصايا، روى الخطبة لنا جابر ـ رضي الله عنه ـ كان منها : ((..... إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ......))[١].

هذا حديث عظيم في يوم عظيم أورده البخاري بثلاث روايات، والحديث متضمن لأحكام عظيمة لا يجوز أنتهاكها بين المسلمين، حرمة الدماء وحرمة الأموال، فلا يجوز التعدي عليها، قال تعالى:

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[٢]. وقال عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراضى منكم﴾[٣] . وقال : ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله إلاّ بالحق﴾[٤].

فقد شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرمة الدماء والأموال والأعراض[٥] بحرمة يوم عرفة في شهر الحج في مكة المكرمة .

ووجه الشبه: شدة الحرمة القاطعة لكل أملٍ في انتهاكها، والغر ض من التشبيه بيان مقدار تلك الحرمة.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٠/٨ ـ ١٩٤،وهذا المقطع ص١٨٢،وجاء في باب القسامة ١٦٧/١١ ـ ١٧٠.

(2)سورة البقرة آية: ١٨٨.

(3)سورة النساء آية:٢٩.

(4)سورة الإسراء آية: ٣٣.

(5)وردت الأعراض في بعض الروايات.

وهذا التشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة، ومجمل لحذف وجه الشبه.

وقد دلّ عليه الصلاة والسلام على شدة التحريم باستخدام ((في)) حرف الظرفية، فإن الدلالة على شمول التحريم وإحاطته للزمان والمكان كما يحيط الظرف بمظروفه.

وقد شدد عليه الصلاة والسلام في ذلك التحريم واتخذ التشبيه طريقاً لبيان ذلك التحريم وتحديد مقداره ليحذّر الأمة من انتهاك حرمتي الدماء والأعراض.

***بيان فضل الحج:**

الحديث الرابع عشر:

الحج ـ كما نعلم ـ هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وفضله عظيم وأجره كبير. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه))[١].

الحديث بيان لفضل الحج وأنه من الأعمال الصالحة التي تنقي صاحبها من الذنوب والآثام، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة))[٢].

وهذه الأحاديث دعوة لكل مسلم ومسلمة أن يتعلم أركان الحج وواجباته وآدابه وسننه التي تقربه من ربه ليفوز بهذا الفضل العظيم ، قال تعالى:

((الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهنَّ الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج))[٣].

والتشبيه وارد في قوله عليه الصلاة والسلام:

((رجع كما ولدته أمه)) ، وفي رواية البخاري ((رجع كيوم ولدته أمه))[٤].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١١٨/٩ ـ ١١٩.

(2)المصدر السابق ١١٧/٩.

(3)سورة البقرة الآية: ١٩٧، والرفث: اسم للفحش من القول وقيل:الجماع، والفسوق: المعصية "الهامش" الصحيح ١١٩/٩.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٤٠٢/٧.

فقد شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حج ولم يرفث ولم يفسق بحاله يوم ولدته أمه خالياً من الذنوب بريئاً من المعاصي والأدران الظاهرة والباطنة وسلامة الفطرة.

والحديث يحث على الآتي:

أولهما: إتقان الحاج لحجه ليتم له هذا الفضل، فينال رحمة الله وجنته.

والتشبيه مرسل فالأداة مذكورة، وهي ((الكاف)) ومجمل لحذف وجه الشبه النقاء من الذنوب.

*** فضل الجهاد:**

الحديث الخامس عشر جاء التمثيل فيه لبيان فضل الجهاد وبيان ما للشهيد عند ربه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاّ جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كَلْم[١] يكلم في سبيل الله إلاّ جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لو لا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعةً فأحملهم ولا يجدون سعةً ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل))[٢].

وفي رواية:

((لا يكلم أحد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلاّ جاء يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون دمٍ، والريح ريح مسك[٣])).

((كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله ثم تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طُعنت تفجر دماً اللون لون دم والعرف عرف المسك.....))[٤].

---

(1) الكَلْم : بفتح الكاف وإسكان اللاّم : الجرح.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:١٩/١٣ ـ ٢٠.

(3) المصدر السابق ٢١/١٣. ،يثعب : يجري.

(4) المصدر السابق ١٣/ ٢٢. ، العرف : الريح.

حديث عظيم بين فضل الجهاد في سبيل الله ـ عز وجل ـ وفيه الترغيب والتحبيب في هذه العبادة النبيلة التي ضمن الله لصاحبها إحدى الحسنين، ولفضل الجهاد نجد المصطفى ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ تمناه في كل غزوة أو سرية أن يكون فيها لو لا المشقة على الصحابة، وهذا من رحمته بأمته، وقد تمنى عليه الصلاة والسلام أن يغزو ثم يقتل ثم يغزو ثم يقتل ثم يغزو ثم يقتل لما يعلم ما أعده الله للمجاهدين في سبيله.

فضل عظيم قال عنه الله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾(١).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم: ((لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها))(٢).

أي ((أ ا خير من الدنيا وما فيها لو ملكها إنسان وملك ما فيها وأنفقه في أمور الآخرة وليس تمثيل الباقي بالفاني على ظاهر إطلاقه(٣) وهذا في جميع الأحاديث الواردة على هذا النحو والله أعلم.

والجملة الإعتراضية في الحديث ((والله أعلم بمن يكلم في سبيله)) حث على الإخلاص في الغزو وأن الثواب المذكور إنما هو لمن أخلص فيه وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويوضح هذا ما ذكره، أبو موسى قال: سئل رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله ؟

فقال عليه الصلاة والسلام:

((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))(٤).

---

(1) سورة التوبة : آية : ١١١.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ٢٦/١٣.

(3) المصدر السابق: ٢٧/١٣ . "الهامش" .

(4) المصدر السابق: ٤٩/١٣.

فالشهادة في سبيل الله أمرها عظيم كما تبين لنا من تمنيه عليه الصلاة والسلام لها ويؤكد ذلك ما روي عن قتادة قال: سمعت أنس يحدث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال:

((ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة))(١).

ونلحظ رحمته عليه الصلاة والسلام بأمته وتركه للجهاد في كل غزوة وسرية حتى لا يشق على الصحابة وصدق الله إذ يقول:

((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)) وهذا يوحي بحب الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام ومدى الاقتداء به في أموره.

والتشبيه التمثيلي في الحديث في قوله عليه الصلاة والسلام:

((ما من كلم يكلم في سبيل الله إلاّ جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم لونه لون دم وريحه ريح مسك)).

وفي الرواية الثّانية:

((لا يكلم أحد في سبيل الله إلاّ جاء يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون دم والريح ريح مسك)).

وفي الرواية الثّالثة:

((كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجر دماً اللون لون دم والعرف عرف المسك)).

فالمشبه في الروايات هيئة الكلم الذي يكلمه المسلم في سبيل الله يوم القيامة.

والمشبه به: هيئة هذا الكلم نفسه حين كلم في الدنيا يتفجر دماً ولكن لون دم والريح ريح مسك.

وجه الشبه: الاتفاق في الشكل والاختلاف في المضمون.

---

(1) المصدر السابق :٢٤/١٣.

الغرض منه الحث على الجهاد والترغيب فيه وتحري الإخلاص والنية الصالحة وبيان منـزلة وفضل الشهادة في سبيل الله.

وفي الحديث لمحة وشاهد على ذلك الشهيد وعلامة فارقة تميزه عن غيره وتوضحه وتجسده يوم القيامة وهي ذلك الجرح الذي بقي منه نفس الأثر ولكن اختلف الدم، فالدم نجس ورائحته منتنة ولكن الله غير صفاته فجعل الباقي من صفات الدم اللون فقط وهو الاحمرار، ورائحته كرائحة المسك بل مسك، وهذا فضل ونعمة من الله ا على هؤلاء الشهداء الذين بذلوا في سبيل الله أغلى وأنفس ما يملكون وهي أرواحهم.

ونتأمل الأفعال المبنية للمجهول((يكلم ـ كُلم ـ طعنت)) وما توحي به،والمهم هو النتيجة أنه استشهد في سبيل الله وليس مهماً من كَلَمه وبأي أداة وفي أي مكان وما نوعه ؟

والفعل المضارع ((يثعب)) ومساعدته على استحضار الصورة وكأن المشهد يعرض علينا الآن، مشهداً عظيماً له دلالات وإيحاءات وظلال عظيمة وما فيه من تجدد يعطي الصورة حركة وحياة.

((صورة غيبية تنبيء عن الإكرام الكبير للمجاهد والشهيد في سبيل الله))[(١)].

*** فضل الجهاد:**

الحديث السادس عشر عن أبي هريرة قال: قيل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل، قال:

((لا تستطيعونه))، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: ((لا تستطيعونه))، وقال في الثالثة: ((مثل ا اهد في سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع ا اهد في سبيل الله تعالى))[(٢)].

الجهاد في سبيل الله عبادة عظيمة أجرها جسيم، وللشهيد في سبيل الله فضل ورحمة، فعن أنس بن مالك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من نفس تموت لها عند الله

---

(1) التصوير الفني في الحديث النبوي د/ محمد الصباغ ١٢٣.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٢٤ ـ ٢٥.

خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة))[١].

فها هو الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليس حبا في البقاء، وإنما ليجاهد فيستشهد مرةً أخرى لما يرى من فضل الشهيد الذي ناله بسبب الجهاد.

وقد أورد الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ هذا الحديث برواية مختلفة:

((مثل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن جاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد القانت بآيات الله، الذي لا يفتر من صيام ولا صلاة ولا صدقة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله ـ تعالى ـ، وتوكل الله ـ تعالى ـ للمجاهد في سبيله إن توفّاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة))[٢].

وأوردت رواية البخاري لأن فيها عددا من الأدلة على فضل الجهاد في سبيل الله.

وفي رواية الإمام مسلم بدأ عليه الصلاة والسلام بأسلوب الحوار ((لا تستطيعونه)) مرتين أو ثلاثًا لتتهيأ النفوس لمعرفة الإجابة على الأمر الذي يعادل الجهاد، فتشوقت النفس إلى سماع ذلك العمل، فإذا أتى ثبت في النفس واستقر جوابه صلى الله عليه وسلم بالتشبيه ((مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت الراكع الساجد الخاشع الذي لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع ذلك المجاهد...

فالمشبه: الأجر الذي يناله المجاهد في سبيل الله.

والمشبه به: الأجر الذي يحصل عليه الصائم القائم القانت المتصدق...

وجه الشبه: الأجر العظيم الذي يناله كل واحد منهما.

والغرض من التشبيه: بيان فضل الجهاد في سبيل الله تعالى ومقدار الأجر الذي يناله، وهذا من التشبيه التمثيلي والله أعلم.

وهو تشبيه مرسل لأن الأداة مذكورة (مثل) ووجه الشبه محذوف فهو مجملٌ (وإذا تصورنا مجاهدا ظل سنة في الجهاد، فهل يستطيع إنسان يريد أن يحصل على ما يعادل ثوابه،

---

(1)المصدر السابق ٢٤/١٣.

(2)صحيح البخاري ١٨/٤.

هل يستطيع أن يبقى سنةً في عبادة مستمرة لا نوم فيها ولا راحة ولا انقطاع عن أعمال الطاعة....

والحوار الذي سبق النص شد الأذهان وأثار الاهتمام ....))[١].

فهذه الروايات دلائل قاطعة على أن الجهاد في سبيل الله لا يعدله عمل، فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: ((الإيمان بالله والجهاد في سبيله)) [٢].متفق عليه.

*** التحذير من العود في الصدقة:**

الحديث السابع عشر جاء التمثيل لبيان التحذير من العود في الصدقة وأنه أمر مكروه، فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: حملت على فرس عتيق في سبيل الله فأضاعه صاحبه فظننت أنه بائعه برخص فسألت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فقال:

((لا تبعه ولا تعد في صدقتك فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه))[٣].

وفي رواية:

((لا تشتره وإن أُعطيته بدرهم فإن مثل العائد في صدقته كمثل الكلب يعود في قيئه))[٤].

وفي رواية عن ابن عباس أنه قال عليه الصلاة والسلام:

((مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله))[٥].

مثّل عليه الصلاة والسلام العائد في صدقته أو هبته بالكلب الذي يأكل حتى يشبع وتمتليء خاصرتاه بالأكل ثم يقيء ذلك الأكل، ثم يعود فيأكل ذلك القيء.

---

(1)التصوير الفني في الحديث النبوي/ الصباغ ص /٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(2)رياض الصالحين للنووي /٤٢٤.

(3) شرح صحيح مسلم النووي: ٦٢/١١.

(4) المصدر السابق : ٦٣/١١.

(5) المصدر السابق : ١١/ ٦٣ ـ ٦٤.

قوله ((حملت على فرس عتيق في سبيل الله)) أي تصدقت به ووهبته لمن يقاتل عليه في سبيل الله والعتيق الفرس النفيس الجواد السابق. قوله ((فأضاعه صاحبه)) أي قصر في القيام بعلفه أو مؤنته. قوله ((لا تبعه ولا تعد في صدقتك)) هذا نهي تنـزيه لا تحريم، فيكره لمن تصدق بشيء أو أخرجه في زكاة أو كفّارة أو نذر أو نحو ذلك من القربان أن يشتريه ممن دفعه هو إليه أو يهبه أو يمتلكه باختياره منه فأما إذا ورثه منه فلا كراهة فيه[1].

يشبه عليه الصلاة والسلام العائد في هبته بالكلب الذي أكل حتى شبع ثم أخرج ما في جوفه فأكله، صورة بشعة كريهة مقيتة تنفر منها النفوس.

الغرض منها التحذير والتنفير من الرجوع في الصدقة أو الهبة مهما كانت المبررات، والغرض ـ أيضاً ـ ((تقبيح صورة ذلك الفعل، أي كما يقبح أن يقيء ثم يأكل كذلك يقبح أن يتصدق بشيء ثم يجره إلى نفسه بوجه من الوجوه))[2].

إرشاد إلى الخير وترفع عن الدنايا واللؤم والخسة كما جاء في رواية البخاري ((ليس لنا مثل السوء))[3].

وقد خشي عليه الصلاة والسلام على عمر أن يتصف بهذه الصفة وهو بعيد عنها فنهاه عنها.

((يا الله ما أشد نفورنا من هذه الفعلة التي نجحت الصورة أي نجاح في إثارة تقززنا ونفورنا. لو كان الذي يفعل هذا إنساناً لكان شيئاً مقرفاً فما بالنا ونحن نتصور من يفعل ذلك كلباً يقيء ويأكل قيئه مرة أخرى))[4].

ونلحظ الدقة النبوية في اختيار عنصر المشبه به (الكلب) ليتوافق مع المعنى العام للصورة (((فهو) مثل في لؤم الأصل، وخبث الطبع، وسقوط القدر، والخسة، ومهانة النفس[5])).

---

(1) المصدر السابق : ٦٢/١١ "الهامش" .

(2) عمدة القارئ : ٢٤٦/٧.

(3) المصدر السابق : ٤١٠/١٩.

(4) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص ٣٢٨.

(5) الحيوان: للجاحظ، ت عبد السلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي ط٣، ١٣٨٨هـ ـ ج١/١٠٢.

ولم يستثن عليه الصلاة والسلام، هذا النهي إلاّ الوالد إذا وهب لولده كما جاء في الحديث:

((لا يحل لأحد أن يعطي عطية فيرجع فيها إلاّ الوالد فيما يعطي ولده))[١].

صورة بشعة تتكرر وتتجدد في مخيلتنا، والسبب ما تضمنته من أفعال تدل على استحضار الصورة وتجدد حدوثها ((يعود، يقيء، يأكل)).

*** قطيعة الرحم:**

الحديث الثامن عشر جاء التمثيل لبيان الألم الذي يلحق قاطع الرحم، وأن الرحم يجب ألاّ تقطع مهما وجد الواصل من الأذى والإساءة من أقاربه.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم، ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال:

((إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك))[٢].

حديث عظيم يحثنا على صلة الرحم مهما وجد الواصل من الأذى، فهذا الصحابي الجليل يشكو إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ أنه يصل قرابته ويقابلونه بالقطيعة، ويحسن إليهم فيكافئونه بالإساءة، ويحلم عنهم فيجازونه بالجهل، فيجيبه الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بقوله: ((إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل وصلة الرحم من أفضل العبادات، وأحب الطاعات، وقد حث الإسلام عليها ورغّب فيها، فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم قال:

((من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه)) وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله))[٣].وجاء في الصحيحين ((لا يدخل الجنة قاطع)).

---

(1) صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن عربي المالكي، طبعة دار الكتاب العربي بيروت، ٣٠١/٥.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي :١١٥/١٦.والملّ الرماد الحار.

(3) متفق عليه ، صحيح مسلم ١١٣/١٦.

والصحابي يعرف مدى الأجر الذي يناله من عمله هذا، فيسأل رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فيخبره بالحال التي تلحق أقاربه جزاء صنيعهم به.

والصحابي يريد حلا لهذه المعضلة ويخاف أن تستفحل مما يؤدي إلى تركه لهم ولصلتهم وهو يعلم عقاب القاطع، فيلجأ إلى المربي الأول عليه الصلاة والسلام يستشيره في الأمر.

وقطيعة الرحم من أكبر الكبائر التي تمنع دخول الجنة كما سبق ـ قال تعالى:

﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[1].

شبه عليه الصلاة والسلام ما يلحق أقار م أثناء صلته م وحلمه عنهم وإحسانه لهم بما يلاقيه من يسف بالرماد الحار.

وجه الشبه المعاناة والألم الذي يجدونه.

((أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار........

وقيل معناه أنك بالإحسان إليهم تخزيهم، وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل...... وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم))[2].

وقد جلّى الرسول عليه الصلاة والسلام ما يجدونه بالصورة الحسية وكأنك ترى أناساً يجبرون على أكل الرماد الحار، فجانب الذلة والحقارة واضح وجلي، فهم مجبورون غير راضين بسفهم للرماد، والشيء الآخر أنه رماد لا فائدة منه، والأمر الثالث أنه حار، فاجتمعت لهم أمور لا يحسدون عليها، هذا في الدنيا والآخرة أقوى وأشد.

والغرض من التشبيه بيان حال المشبه.

---

(1) سورة محمد : الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي :١١٥/١٦ "الهامش".

واستخدام التشبيه التمثيلي لبيان هذا المعنى استخدام موفّق، واختيار المشبه به أمر أدى المعنى واضحاً جلياً وكان المشبه به ومفرداته من نطاق الحياة اليومية التي لا يجهلها أحد.

ونلحظ الصورة تتكرر فكل زيارة وكل إحسان يتجدد معه أكل الرماد وهذا ما يوحي به الفعل المضارع (تسفهم المل) واستحضار الصورة أمر ينفر من قطيعة الرحم ويحذّر منها.

٤/ التشبيه التمثيلي في **موضوعات** مختلفة:

هناك عدة أحاديث جاء بيا ا عن طريق التشبيه التمثيلي في موضوعات متفرقة لا يمكن حصرها تحت موضوع واحد.

*** غربة الإسلام آخر الزمان:**

الحديث الأول جاء التمثيل فيه لبيان حال الإسلام آخر الزمان وأنه غريب يأرز إلى المدينة ويعود إليها، فمنها خرج وإليها يعود.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها)).

وفي رواية:

((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها))(1).

دليل على نبوته عليه الصلاة والسلام، وهنا يبين حال الدين آخر الزمان على وجه الأرض، وأن رقعته ستتقلص وينحصر بين مكّة والمدينة، والروايتان تتضمن تشبيهين:

الأول:

شبه عليه الصلاة والسلام حال غربة الإسلام في النهاية بحال غربته في البداية في ندرة المتمسكين به وقلّة الناصرين له ولأتباعه.

قال القاضي عياض:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ج٢/١٧٥ـ١٧٦، ومعنى يأزر :ينضم ويجتمع ويثبت ، والمسجدان مسجدا مكّة والمدينة.

((وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد الناس، وقلّة، ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلاّ في آحاد وقلّة ـ أيضا ـ كما بدأ))[١].

ويعلق الشريف الرضي على الصورة فيقول:

((وهذا الكلام من محاسن الاستعارات وبدائع ا ازات، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الإسلام غريباً في أول أمره تشبيهاً بالرجل الغريب الذي قل أنصاره، وبعدت دياره، لأن الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره، ثم استقرت قواعده، واشتدت معاقده، وكثر أعوانه، وضرب جرانه[٢]، فغربة الإسلام قلّة العاملين بشرائعه، والقائمين بوظائفه، ...... لا أنه والعياذ بالله تحمى سماته، وتدرس آياته))[٣].

الثّاني:

تشبيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الإيمان بأنه يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها وفي رواية ((إلى جحرها)).

نجد في مجمل الروايتين إشارةً إلى وجه الشبه. يقول الفيروز أبادي معقباً على الحديث: ((والحية لاذت بجحرها ورجعت إليه وثبتت في مكا ا))[٤].

وأرز الحية معناه أ ا تدخل جحرها من ذنبها فآخر ما يبقى منها رأسها فيدخل بعد، وتأرز الحية على هذه الصفة إذا كانت خائفة، أما إذا كانت آمنة فهي تبدأ برأسها فتدخله، وهذا هو الانجحار[٥])).

والإيمان خرج من المدينة وانتشر إلى أنحاء العالم،ثم يعود أهل الإيمان إلى المدينة خوفاً على دينهم من الفساد وأهله.

قال القاضي:

---

(1) المصدر السابق ١٧٧/٢ "الهامش".

(2) الجران : مقدم عنق البعير .

(3) ا ازات النبوية للشريف الرضي شرح طه عبد الرؤوف سعد،مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ .

(4) القاموس المحيط للفيروز أبادي ١٦٥/٢، والمعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط٢ ١٣/١.

(5) اللسان : ٣٠٥/٥ ـ ٣٠٦.

((معناه أن الإيمان أولاً وآخراً ـذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجراً مستوطناً، وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ومتعلماً منه والاقتداء بجمهور الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فيها، ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة ـا عنهم .... في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فلا يأتيها إلاّ مؤمن))[١].

فالقاضي عياض يجعل العودة إلى المدينة من قبل أهل الإيمان، أما الشريف الرضي فيجعل العائد هو الدين يقول:

((والمراد أن الإسلام ليأوي إلى المدينة كما تأوي الحية إلى جحرها، وأصل ذلك مأخوذ من التقبض والاجتماع، يقال: أرز أروزاً إذا كان منه ذلك، فجعل عليه الصلاة والسلام المدينة كالوجار[٢] للإسلام يتقلّص إليها وينضم إلى حماها لأ ـا قطب مداره، ونقطة ارتكازه))[٣].

فالإسلام في قوته خرج من المدينة ولّما خاف وقلّ أنصاره عاد إليها، والحية ((تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها))[٤].

فالإسلام ((ينتشر كانتشار الحية من جحرها ثم إذا راعها شيء رجعت إلى جحرها...))[٥].

فالروايات يشبه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيها غربة الإسلام أخر الزمان بغربته أيام البعثة المحمدية من قلّة الناصرين والقائمين عليه، وكثرة المعذبين في سبيله، وكثرة أعدائه، فهي غربة حال الإسلام في قلوب الناس، وغربة التطبيق لشرائعه، فلا يجد المتمسك

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢/ ١٧٧ "الهامش".

(2) الوجار : جحر الضبع.

(3) ا ـازات النبوية ص ٨٥.

(4) فتح الباري ، ابن حجر ٩٣/٤.

(5) عمدة القارئ، العيني ٤٣٠/٨.

إلاّ أشد العذاب، وهذا ما نراه في بعض الدول الإسلامية، أو ما تلاقيه الأقليات المسلمة في العالم.

أما التشبيه الثاني فقد شبه عليه الصلاة والسلام الإيمان في رجوعه وثباته في مكّة والمدينة برجوع الحية إلى جحرها وثبا ا فيه.

وإذا تأملنا لفظة (يأرز) وما يدور في ظلها من إيحاء وما تدل عليه دون غيرها من ضم وجمع وما في هذه اللفظة من رائحة الخوف والذعر، وأن العائدين إلى المدينة لا يعودون إلاّ إذا خافوا على دينهم، وما في هذا الفعل من تجدد.

صورة رائعة، تشبيه بارع، تم اختيار المشبه به من واقع الحياة العربية، فالعرب يعلمون م لة الغريب، وما يلاقيه في غير بلدة من الإهانة، وعدم الاهتمام،والاحتقار، وغير ذلك من الأمور المشينة التي يتعرض لها.

واختيار الحية لتقريب الصورة أمر في غاية البيان والإيضاح للمعنى، ومن من المسلمين لا يعرف الحيات والأفاعي؟.

فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، أخرجت لنا صورةً محسوسة كأننا نشاهدها، فالإسلام غريب، والإيمان يتراجع ويثبت كالحية إلى جحرها، حركة وحيوية وخيالات لا يستطيع البيان أن يصفها ويحدد أبعادها.

*** الناس والمال:**

الحديث الثاني يأتي التشبيه فيه لبيان موقف الناس من بركات الأرض وخيرا ا التي أخرجها الله لهم من مالٍ وغيره.

عن حكيم بن حزام قال: سألت النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال:

((إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه،وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى))[١].

وفي رواية:

((إنما أنا خازن فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه، ومن أعطيته عن مسألة وشره كان كالذي يأكل ولا يشبع))[٢].

وفي رواية:

قام رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فخطب الناس،فقال: ((لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلاّ ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، فقال رجل: يا رسول الله: أيأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ ساعة، ثم قال: كيف قلت؟ قال: قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم: ((إن الخير لا يأتي إلاّ بخير، أو خير هو؟ إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم[٣] إلاّ آكلة الخَضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ثلطت[٤]أو بالت، ثم اجترت[٥]، فعادت فأكلت، فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع))[٦].

وفي رواية:

((أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: بركات الأرض، قالوا: يا رسول الله وهل يأتي الخير بالشر؟ قال: لا يأتي الخير إلاّ بالخير، لا يأتي الخير إلاّ بالخير، لا يأتي الخير إلاّ بالخير، إن كل ما أنبتت الربيع يقتل

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٢٥/٧ ـ ١٢٦.

(2) المصدر السابق: ١٢٨/٧.وفي رواية (إنما أنا قاسم ويعطي الله ....)١٢٨/٧.

(3) يقتل حبطاً أو يلم : الحبط : التخمة، أو يلم : يقارب القتل.

(4) الثلط: هو الرجيع الرقيق ......

(5) اجترت: أي مضغت جر ا، والجرة :ما يخرجه البعير من بطنه ثم يبلعه.

(6) صحيح مسلم :١٤٠/٧ ـ ١٤١.

أو يلم إلاّ آكلة الخَضر فإ ا تأكل حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس، ثم اجترت، وبالت، وثلطت، ثم عادت فأكلت. إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع))[١].

وفي رواية:

((إن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلاّ آكلة الخَضر............))[٢].

وقد وردت هذه الروايات بألفاظ متقاربة في البخاري[٣].

تضمنت هذه الروايات عدداً من التشبيهات النبوية وهي كما يلي:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن هذا المال خضرةُ حلوة..........))

شبه الرسول ـ صلّى الله عليه وسلم ـ المال في الرغبة فيه، والميل إليه، وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو مرغوب فيه كذلك فكيف إذا اجتمعتا كانا أشد رغبة.

ولعلّ تعبيره عن المال يقصد به الدنيا بكاملها لأن المال أحد زينتي الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير.........﴾[٤].

قال الخطابي:

((يريد أن صورة الدنيا حسنة المنظر مونقة تعجب الناظر، ولذلك أنث اللفظين :يعني خضرة حلوة.......

قال الكرماني:

((وله وجه آخر وهو أن تكون التاء للمبالغة، نحو رجل راوية وعلاّمة)) والوجه فيه أن يقال: ((إنما أنث على معنى تأنيث المشبه به، أي هذا المال شيء كالخضرة،وقيل معناه كالبقلة الخضراء))[٥].

---

(1) المصدر السابق:١٤٢/٧ـ ١٤٣.

(2) المصدر السابق:١٤٤/٧.

(3) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٢٩٢/٧ـ ٣٠٧.

(4) سورة الكهف : الآية : ٤٦.

(5) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٢٩٤/٧.

وقد أورد الإمام مسلم حديثاً يؤيد ويؤكد أن المراد بالمال الدنيا، فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال: ((إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء))[١].

جميع الروايات تشبه الدنيا أو المال بالفاكهة الخضراء أو البقول الخضراء بجامع عدم البقاء لأن الخضروات لا تبقى على حالها كذلك المال لا يبقى مع صاحبه ولا يراد منها البقاء وتشبيه الدنيا في سرعة زوالها في الحديث النبوي مجاراةً لما ورد في القرآن الكريم قال تعالى:

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[٢].

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية:

((شبه حال الدنيا في نضر ا و جتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن))[٣].

وفي مقام آخر يقول عن التشبيه في الآية نفسها:

((المراد قلّة بقاء زهرة الدنيا كقلّة بقاء الخَضر))[٤].

الثاني: قوله صلّى الله عليه وسلّم:

((فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع........)).

وفي رواية أبي سعيد الخدري:

((فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع...)).

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٥٥/١٧.

(2) سورة الكهف: آية : ٤٥.

(3) الكشاف: الزمخشري ، طبعة الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ ، ٤٨٦/٢.

(4) المصدر السابق ٢١٢/١.

هذا بيان لحال من يأخذ مالاً بطيب نفس من غير سؤال ولا إشراف ولا تطلع، وبيان ما يستحقه وهو البركة له في ذلك المال، أما من أخذ مالاً بغير حقه أي بتطلع إليه وطمع فيه، أو حصل عليه بطرق غير شرعية، أو لم يخرج الحقوق الشرعية الواجبة في ذلك المال من زكاة وغيرها فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع.

شبه عليه الصلاة والسلام الذي يأخذ مالاً بغير حقه بالذي يأكل ولا يشبع، أو يكون تشبيهاً له بالبهيمة الراعية التي تأكل ولا تشبع، فهو كلما نال مالاً ازدادت رغبته في المزيد، ورأى أنه لا يملك إلاّ القليل.

والحديث يحذّر من الطمع ويدعو إلى الرضى باليسير.

الثالث: قوله صلّى الله عليه وسلّم:

((إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم إلاّ آكلة الخَضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ثلطت أو بالت ثم اجترت فعادت فأكلت)).

ضرب عليه الصلاة والسلام في هذا المقطع من الحديث مثلين هما:

الأول: ضربه للمفرط في جمع الدنيا الطامع فيها من غير تثبت في مصدر المال، فيجمعه من حلال أو حرام، ولا يؤدي حق الله فيه، وأشار عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى بقوله((إن مما ينبت الربيع يقتل حبطاً ....)) لأن الربيع ينبت من أفضل النباتات، فتستكثر منه الماشية وتأكل دون تنظيم، فتتجاوز حد الاحتمال لما تأكله حتى تنتفخ بطو ا فتنشق أمعاؤها، فتهلك بسببه، فمثلها كمثل الذي يجمع المال من غير حله، ويمنع حق الله فيه، فيهلك في الآخرة،لأنه لم يزك ماله، فاستكثر من شيء وجِد للمنفعة والخير، فجاءت العاقبة له بعكس ما كان يطلب ويرجو، فعاد ذلك المال الذي كان يرجو من ورائه السعادة بالوبال عليه، والندم على جمعه لانعدام المنفعة منه، فحاله كحال تلك البهيمة التي رعت الربيع وهي تريد بذلك البقاء والمتعة من التلذذ بطعم العشب الرطب، فأكلت على غير تفكير بالمصير، فآلت في اية المطاف إلى انشقاق أمعائها وهلاكها إثر ذلك.

مثل من الحياة العربية، محسوس مشاهد، معلوم لدى السامعين،تم اختياره لتقريب الصورة التي يريد عليه الصلاة والسلام تثبيت مفهومها، وأثرها في النفس، وهذا جه عليه الصلاة والسلام في ضرب الأمثال من الواقع المعاش.

الثاني: ضربه عليه الصلاة والسلام لمن جمع مالاً من حلال، وأدى ما أوجبه الله عليه من زكاة، وصدقات، وأعمال بر، وهذا ما أشار إليه بقوله ((إلاّ آكلة الخضر.........)).

لأن الخضر اختاره عليه الصلاة والسلام لأنه ليس من أحرار النبات، بل من النباتات التي تم يبسها والماشية لا تستكثر منه فلا تحبط، ومع ذلك فأن آكلة الخضر إذا شبعت استقبلت الشمس،فثلطت ما يؤذيها .... فهذا حالها كحال الذي يجمع المال من طرق حلال بعيدا عن الشبهات، ومع هذا يؤدي حق الله فيه، فيبذل منه في وجوه الخير والإنفاق على نفسه وأقاربه بالمعروف،فلا يسرف ولايشح....... فهو ناجٍ في الآخرة بفضل الله ورحمته.

ويعلق القاضي عياض ـ رحمه الله ـ على هذا الحديث قائلاً:

((ضرب صلّى الله عليه وسلم مثلاً بحالتي المقتصد والمكثر، فقال صلّى الله عليه وسلم أنتم تقولون إن نبات الربيع خير وبه قوام الحيوان وليس هو كذلك مطلقاً بل منه ما يقتل أو يقارب القتل فحالة المبطون المتخوم كحالة من يجمع المال ولا يصرفه في وجوهه، فأشار صلّى الله عليه وسلّم إلى أن الاعتدال والتوسط في الجمع أحسن ،ثم ضرب مثلاً لمن ينفعه إكثاره وهو التشبيه بآكلة الخضر، وهذا التشبيه لمن صرفه في وجوهه الشرعية، ووجه الشبه أن هذه الدابة تأكل من الخضر حتى تمتلئ خاصرتاها ثم تثلط، وهكذا من يجمعه ثم يصرفه والله أعلم))(١).

صورة عظيمة تداخلت عناصرها، مفعمة بالإيحاءات والظلال تضمنت عدة تشبيهات، قال علماء الحديث إن في الحديث ثلاثة تشبيهات، ومنهم من قال أربعة، ومنهم من استخرج منه ثمانية تشبيهات....... وهكذا(٢).

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤٣/٧ ـ ١٤٤"الهامش".

(2) ينظر "فتح البارئ " ٢٤٨/١١.

إن هذا الحديث العظيم نجد فيه المناسبة بين صدر الحديث والتمثيل الوارد فيه، ففي صدر الحديث يقول صلّى الله عليه وسلم:

((لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلاّ ما يـخرج الله لكم من زهرة الدنيا.....))

فهو صلّى الله عليه وسلم يحذر أتباعه من زهرة الدنيا يخاف عليهم منها....... والصحابة يفهمون أن زهرة الدنيا ـ أي المال ـ لا يمكن الحصول عليه وإيجاده في مجتمع إسلامي إلاّ عن طريق شرعي كالبيع والشراء والغنائم وغيرها، أي طرق مباحة في الدين الإسلامي، فمعرفتهم بمصادر المال ومدى نظافته جعلت الصحابي يسأل أيمكن أن يأتي الخير بالشر؟

فصمت عليه الصلاة والسلام ساعة ثم قال: كيف قلت؟ من باب التأكيد وتثبيت السؤال في الأذهان حتى تقع الإجابة أبلغ موقع في نفوس السامعين، قال: قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الخير لا يأتي إلاّ بالخير)) أي أن الخير الحقيقي لا يأتي ويحصل منه إلاّ الخير، ثم قال: ((أو خير هو؟ من باب الاستفهام أي أن هذا الذي يحصل لكم من زهرة الدنيا ليس بخير وإنما هو فتنة، وقد ذكر ذلك سبحانه وتعالى، قال تعالى:

﴿وا علموا أنما أمولكم وأولدكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾[1] وقال تعالى:

﴿إنما أمولكم وأولدكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾ [2].

فالمال فتنته كما ذكر سبحانه وتعالى ولذلك جاء استفهامه عليه الصلاة والسلام، والتقدير: الخير لا يأتي إلاّ بخير ولكن ليست هذه الزهرة بخير لما تؤدي إليه من الفتنة والمنافسة والانشغال ا عن كمال الإقبال على الآخرة.

ثم ضرب عليه الصلاة والسلام لذلك مثلاً فقال:

---

(1) سورة الأنفال: آية :٢٨.

(2)سورة التغابن: آية ١٥.

((إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم إلاّ آكلة الخضر .... فالمناسبة واضحة بين موضوع الحديث والتمثيل الوارد في الحديث، يقول العسكري:

((وأول من تكلم به النبي - صلّى الله عليه وسلم - وهذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفصحه لفظاً وألطفه معنى، وهو مثل ضربه لمن أُعطي من الدنيا حظاً، فألهاه الاشتغال به، والاستكثار منه والحرص عليه، عن صلاح دينه، فيكون فيه هلاكه، كما أن الماشية إذا لم تقتصد في مراعيها حبطت بطو ا فماتت أو كادت))[1].

ويقول ابن سلاّم عن هذا المثل:

((فأراد صلّى الله عليه وسلّم أ ا وإن كانت ذات زهرة وجمال، فقد تؤول بصاحبها إذا سلك ا غير القصد إلى سوء المغبة، كما أن آكلة الخضر من الماشية إذا لم تقصد في مراعيها آل ذلك ا إلى أن تستوبله حتى تحبط عنه بطو ا فتهلك))[2].

فالحديث صورة تمثيلية رائعة، قربت المعنى المقصود للأفهام، والغرض منها التحذير من الدنيا وزخرفها، وأ ا فتنة لا يسلم من شركها إلاّ كل موفق، وقد ذكر ذلك عليه الصلاة والسلام في حديث آخر ((...... فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسِطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها و لككم كما أهلكتهم))[3].

ونلحظ متأملين أن التي ثلطت وبالت واستقبلت الشمس نجت من الهلاك وهناك إيحاء أن المنتفع بماله أعطى حق الله فأخرج ما يتصدق به، والصدقة - كما مر في الباب الأول - أوساخ الناس. فبقاؤها في المال يؤدي إلى هلاكه، وإخراجها منه نجاة وعافية.

---

(1) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد ا يد قطامش، طبع المؤسسة العربيه الحديثة - القاهرة ط١/ ١٩٦٤م /١/ص ١٦.

(2) كتاب الأمثال للإمام الحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام، ت/د. عبد ا يد قطامش، طبعة دار المأمون للتراث - دمشق وبيروت ط١ ١٤٠٠هـ- ص ٣٥.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي:٩٥/١٨.

*** حرمة ولي الأمر:**

الحديث الرابع جاء التمثيل في سياق بيان حرمة ولى الأمر، عن عوف بن مالك قال قتل رجلُ من حمير رجلاً من العدو فأراد سلبه فمنعه خالد بن الوليد وكان والياً عليهم، فأتى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عوف بن مالك، فأخبره، فقال لخالد: ((ما منعك أن تعطيه سلبه؟)) قال: استكثرته يا رسول الله، قال: ((ادفعه إليه)) فمر خالد بعوف فجر بردائه ثم قال: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فسمعه رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فقال: ((لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد. هل أنتم تاركون لي أمر ائي إنما مثلكم ومثلكم كمثل رجلٍ استرعى إبلاً أو غنماً فرعاها، ثم تحين سقيها فأوردها حوضاً فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره، فصفوه لكم وكدره عليهم))[1].

الأمراء الذين كلفوا بأمر الولاية من خيار الناس، وأحسنهم أمانة، لم يطلبوها، لأ م أعلم بعظمها فحقهم عظيم ولذلك لمّا تعرض خالد لله لما تعرض من قِبَلِ عوف نقض عليه الصلاة والسلام حكمه فمنعه من طلبه ((لا تعطه يا خالد)).

جاء التمثيل في قوله ((هل أنتم تاركون لي أمرائي إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلاً أو غنماً فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضاً فشربت فيه فشربت صفوه وتركت كدره، فصفوه لكم وكدره عليهم)).

فقد شبه عليه الصلاة والسلام حال الرعية مع أمرائها في تحمل المشقة بحال رجل استرعى إبلاً أو غنماً مع تحمل المشقة.

ووجه الشبه : صورة منتزعة من متعدد من هذه الحال تفيد أن الرعية يأخذون صفو الأمور حيث تصلهم أعطيا م وحقوقهم بغير نكد ولا معاناة ولا مشقّة، وفي المقابل يتعب ويعاني الأمراء والولاة ويتعرضون للمتاعب لحفظ حقوق بقية الناس فكل عقاب أو شكوى يتوجه إلى الولاة.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ٦٣/١٢ ـ ٦٥.

ونلحظ كلمات الصورة " استرعى" "تحين" وما فيهما من عناية واهتمام ورحمة من الولاة برعاياهم.

واختيار الرعي عنصراً من عناصر الصورة يجسد المعنى لحسيته، فوجه الشبه لايخفى على أعرابي، مثل من الحياة العربية، فالرعي من أهم أعمال السكان في ذلك الوقت، ومن أشرف المهن التي يزاولو ا، وتم اختيار الإبل والغنم لأ ا أشرف يمة الأنعام، وأكثرها انتشاراً في ذلك الوقت.

*** قصر الحياة الدنيا:**

الحديث الخامس جاء لبيان قصر الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة، وقلّة ما فيها، فهي دار ممر لا مقر، عن مستورداً أخا بني فهر يقول: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم :

((والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه"وأشار يحيى بالسبابة " في اليم، بم يرجع))[1].

هذه حقيقة الدنيا، والنفس تحبها وتتعلق ا، ترغب فيها وتكره الموت، المؤمن فيها زارع والكافر مغرم ا وهالع. العاقل يعلم أ ا إلى زوال، سحابة صيف عن قليل تقشع.

والحديث يبين لنا مدى ما تملكه الدنيا من الآخرة، فهذا حظها ونصيبها من الآخرة قطرة.

وقد اتخذ عليه الصلاة والسلام التشبيه التمثيلي أداة وجهاز إيضاح لتجلية المعنى المقصود ليؤدى في أجمل صورة وأ ى منظر.

لو رأينا إنساناً يقف على ساحل محيط من المحيطات، فيضع إصبعه في ذلك الماء ثم يرفعه، فكم علق بذلك الإصبع من الماء؟ قطرة قطرتان ؟ إ ا قليلة جداً، إن النسبة ضئيلة جداً جدا.

ما علق بالإصبع هو الدنيا والمحيط العظيم هو الآخرة. هل هناك مقارنة بين مقدار الماء المتعلق بالإصبع والماء الباقي ؟.

ولنتأمل القسم النبوي في بداية الحديث ((والله ما الدنيا في الآخرة ......)).

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي:١٩٢/١٧.

والغرض من التشبيه التصوير لحقارة هذه الدنيا التي تعلقت ا النفوس المريضة المبتعدة عن منهج الله العالقة في مستنقع الرذائل والشهوات.

من يرضى بقطرة، ويزهد ويعرض عن محيط ؟

صورة رائعة جلّت أمر الدنيا وحذرت من الاغترار ا والركون إليها ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾[١].

هذا الحديث يدور حول قصر مد ا وسرعة فنائها وحقار ا إذا قارناها بالآخرة ونعيمها، حدثنا قيس قال: سمعت مستورداً أخا بني فهر يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه ـ وأشار يحيي بالسبابة ـ في اليم، فلينظر بم يرجع؟)) [٢].

هذا بيان لمكانة الآخرة العظمى بجانب الدنيا، ويلجأ عليه الصلاة والسلام إلى التشبيه والتمثيل الحسي بالسبابة لتقريب المعنى المقصود إيصاله للأمة الإسلامية، فضرب مثلاً للدنيا في الآخرة بإنسان جعل إصبعه السبابة أو الإ ام[٣] في البحر، ثم نزعها فلينظر إلى تلك القطرات التي علقت بذلك الإصبع.

فالدنيا ما علق بالإصبع من قطرات، والآخرة ذلك المحيط العظيم.

ومعنى الصورة ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مد ا، وفناء لذّا ا، ودوام الآخرة، ودوام نعيمها إلاّ كنسبة الماء المتبقي بالإصبع ـ إذا وضع في الماء ثم رفع ـ إلى بقية ماء المحيط.

والغرض من هذا التشبيه: بيان حقارة الدنيا ونعيمها إذا قارناها بنعيم الآخرة ودوامها.

---

(1) سورة الضحى : آية : ٤.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٢/١٧.

(3)ورد ذلك في رواية أخرى في المصدر نفسه.

فالروح السليمة لا تستبدل قطرات آسنة لا فائدة فيها ببحر عظيم، وفي هذا دعوة للنفوس إلاّ تغتر بالقليل العاجل الزائل، وتترك وتغفل عن الكثير الدائم.

الحديث السابع جاء التمثيل فيه لبيان كثرة الفتن التي سوف تحل بالمدينة بعد موته، فعن أسامة أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ أشرف على أُطُم[١] من آطام المدينة، ثم قال: ((هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر))[٢].

حديث عظيم تضمن علامة من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام، أشرف عليه الصلاة والسلام على حصن أو قصر من بيوت المدينة، وهو ينظر في بيوت المدينة وأثر الفتن التي ستأتيها قبل قيام الساعة.

شبه عليه الصلاة والسلام مواقع الفتن التي ستكون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بمواقع القطر، في عمومها وكثر ا، فلا تختص ا طائفة، وفي هذا إشارة كما قال النووي ـ رحمه الله ـ إلى الحروب الجارية بينهم كموقعة الجمل وصفين، ومقتل عثمان والحسين رضي الله عنهما[٣].

والمطر لا يستقر إلاّ في منخفضات الأرض، فالفتن مثله تستقر في منخفضات النفس ومواطن الضعف فيها.

وقد أدى التمثيل الغرض المقصود منه، وما لفت انتباه المستمع في بداية الحديث وشده نحو الخبر ((هل ترون ما أرى؟)).

بلاغة عالية بينت المعنى وتركت للصورة إيحاء ا وللكلمات ظلالها.

*** المدينة والمنافقون:**

---

(1) الأُطم: بضم الهمز والطاء القصر والحصن.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:٧/١٨ ـ ٨.

(3) المصدر السابق:٨/١٨ "الهامش".

الحديث الثامن جاء التشبيه التمثيلي لبيان أن المدينة تنفي المنافقين وخبثاء الناس، فعن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال: ((يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلُم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبةً عنها إلاّ أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنقي المدينة شرارها كما ينقي الكير خبث الحديد))(١).

وفي رواية:

((أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب، وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد))(٢).

وفي رواية:

إن أعرابياً بايع رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فقال: يا محمد أقلني بيعتي فأبى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، فخرج الإعرابي، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ:

((إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها))(٣).

وفي رواية:

((إ ا طيبة يعني المدينة، وإ ا تنفي الخبث كما ينفي النار خبث الفضة))(٤).

جميع هذه الروايات تبين أن المدينة لا يبقى فيها إلاّ الصالحون، وأن شرار الناس ومنافقيها يخرجون منها، فتبقى نقية طاهرةً من كل فاسد ومبتدع.

---

(1) المصدر السابق:١٥٣/٩، والخَبث : الشوائب والأوساخ التي تخرج منه أثناء تعرضه للنار.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥٤/٩ ، ومعنى أكلها القرى فيه وجهان، أحدهما : أ ا مركز الجيوش الإسلامية في أول الأمر فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها . والثاني : أن أكلها وميرا ا تكون من القرى المفتحة وإليها تساق غنائمها "الهامش".

(3) المصدر السابق ١٥٥/٩.

(4) المصدر السابق: ١٥٥/٩ ـ ١٥٦.

وقد تم تحليل هذا الحديث في باب التشبيه المفرد لأنه تضمن تشبيهين الأول مفرد والثاني تمثيلي باعتبار الروايات.

فالمدينة كالكير تميز جيد المعدن من رديئه، شبهها عليه الصلاة والسلام وهي تخرج وتنفي شرارها بالكير الذي يوقد الحداد فيه النار ويتم إدخال المعادن إليه لتنقيتها فهما ينقيان ما ما تنقية دقيقة لإخراج الذي لا فائدة منه.

والغرض من التشبيه بيان فضل المدينة، وأنه لا يبقى فيها إلاّ الأخيار.

النار لا تزال بالمعدن تصهره وتنقيه من كل شائبة حتى يخرج نقياً صافياً، والمدينة مثله تخرج المنافقين وضعفاء الدين منها، والاختبار للمعادن بالنار، أما المدينة فيتميز المؤمن من غيره بالفتن والشدائد.

فالمؤمن معدنه أصيل قوي في إيمانه كالحديد والفضة، وقد تم اختيار هذه المعادن في بناء الصورة لأ ما معلومان لدى السامعين، فالحديد يصنع منه أدوات الحرب والزراعة، والفضة أشهر الحلي وأكثرها انتشاراً، فلهم مع أماكن الحدادين والصاغة مواقف كثيرة.

ونلحظ استحضار الصورة والتجدد الذي يفيده الفعل المضارع (تنقي، تنفي) وما يضيفه على الصورة من حركة وحياة.

كراهية الكفر :

الحديث التاسع:

هذه الصورة التشبيهية كانت حثاً على التمسك بالدين وعدم التخلي عنه وكراهة الكفر.

عن أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ((ثلاث من كن فيه وجد ن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار))(1).

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٢

لقد مرت بنا أركان الأيمان في حديث جبريل السابق ، ولكن متى نجد للإيمان حلاوة ولذة ؟ أ ا لذة حاصلة عندما نجمع تلك الخصال الثلاث التي ذكرها عليه الصلاة والسلام .

فمحبة الله ورسوله فوق كل شئ وهي من أفضل الأعمال فهو الخالق الرازق ، ومحبة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو المبين للشرع ، فالمؤمن يجعل هذه المحبة مقدمة على محبة المال والأهل والنفس ومقدمة على كل هذه المحبوبات ، فهو يقدم رضا الله وأمره على كل أمر ، وحب الإنسان لأخيه المسلم ابتغاء وجه الله أمر جعل الله له ثواباً جزيلاً ، فهم من السبعة تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة .

أما محبة الثبات على دين الله وكراهية التقهقر والتراجع إلى العصيان وترك الهدى وفي هذا الأمر وقع التشبيه النبوي .

((وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذَف في النار))

فقد شبه عليه الصلاة والسلام كراهة العود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه بكراهة القذف في النار، ووجه الشبه شدة الكراهية.

وهذا تشبيه مرسل فالكاف رابطة بين طرفين عقليين كراهة العودة إلى الكفر وكراهة القذف في النار والوجه محذوف فهو تشبيه مجمل .

ومما يلفت النظر في هذه الدقة في اختيار الألفاظ وما توحي به من دلالات ومعان بلاغية فقوله ((يقذَف)) حيث بنى الفعل للمجهول وذلك للتركيز على الحدث نفسه بغض النظر عن فاعله ، ففيه من الدلالة على مهانة الكافر وحقارته وقلّة شأنه ، لأن الإنسان لا يقذف بيديه إلا ما هان عنده وحقر لديه ، وفيه دلالة على مدى الكراهية .

وقوله ((في)) التي تدل على الظرفية ، وأن كراهية الإنسان للكفر ككراهيته لإحاطة النار به، إحاطة الظرف بالمظروف .

قال ابن حجر :

((فإن قيل :فلم عدي العود بفي ولم يعده بإلى ؟ فالجواب أنه ضمن معنى الاستقرار، وكأنه قال : يستقر فيه ، ومثله قوله تعالى : ﴿وما كان لنا أن نعود فيها﴾[١].

والغرض من التشبيه بيان مقدار الكراهية ، وتقبيح الكفر حالاً ومآلاً والتنفير منه ، ولا يخفى أن القدوم على النار عمل لا يقدم عليه عاقل ، لأن العقل والغريزة تخالف هذا الفعل ، والنفرة من الكفر مثل النفرة من النار ، وأن الذين لا يبالون من السقوط في مهاوي الكفر والضلالة قد فقدوا عقولهم وغرائزهم ، وهذا التصوير لتلك الحال غرضه التنفير لأهل العقول من التردي والتشنيع لأهل الضلال فهم كالأنعام بل هم أضل .

ومن دقة الألفاظ كلمة ((العود)) فإ ا تدل على أن المرء يجب عليه أن يترقى كل يوم بالبعد عن طريق الكفر والضلال ، وأن عليه الترقي بالعلم والتقوى والهدى والطاعة ، لأن التهاون والنقص من هذه الأشياء يؤدي به إلى التراجع والتراجع مآله و ايته الترك لذلك الأمر كله ، وهو مقارب للكفر ،فعليه كراهة التراجع هذا ، والواجب عليه أن يستزيد من الأعمال ومن كل ما يقرب إلى الله عز وجل ((وقل رب زدني علماً))[٢].

فمن لم يكره التردي في الجهل والغفلة كان كمن لم يكره القذف في النار . والمقصود الحث على التمسك بشعب الإيمان والتحري والدقة في هذا التمسك وأن يكره التراجع ككراهة القذف في النار .

فهذه ثلاث خصال أوردها عليه الصلاة والسلام إذا تحققت في عبد وجد الطعم الحقيقي للإيمان.

*** التحذير من المشتبهات:**

الحديث العاشر جاء التمثيل لبيان خطر عمل الأمور المشتبه فيها التي تكون طريقاً للوقوع في المحارم.

---

(1) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٦٢/١

(2) سورة طه : ١١٤.

ففي الصحيح عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول:

((إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب))[١].

حديث عظيم، أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام قيل ثلث الإسلام، هذا الحديث وحديثي ((إنما الأعمال بالنيات))، ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[٢].

قال العسقلاني:

((ولا يخفى أن المستكثر من المكروه تصير فيه جرأة على ارتكاب المنهي في الجملة أو يحمله اعتياده ارتكاب المنهي غير المحرم، على ارتكاب المنهي المحرم إذا كان من جنسه أو يكون ذلك لشبهة فيه، وهو أن من تعاطي ما نهى عنه يصير مظلم القلب لفقدان نور الورع، فيقع في الحرام ولو لم يخـتر الوقوع فيه))[٣].

بعد أن بين صلّى الله عليه وسلّم الحلال والحرام ذكر أن هناك أموراً تشتبه على كثير من الناس فلا يعلمون أهي حلال أم حرام، والنجاة والسلامة في تركها.

قوله عليه الصلاة والسلام: ((ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)) يحتمل وجهين:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ٢٧/١١ ـ ٢٨.

(2) المصدر السابق: ٢٧/١١"الهامش".

(3) فتح البارئ ١٢٧/١ ـ ١٢٨.

((أحدهما: أنه من كثرة تعاطيه الشبهات يصادف الحرام وإن لم يتعمده، وقد يأثم بذلك إذا نسب إلى تقصير، والثاني: أنه يعتاد التساهل ويتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم شبهة أغلظ منها ثم أخرى أغلظ وهكذا حتى يقع في الحرام عمداً))[١].

شبه عليه الصلاة والسلام حال من يقع في الشبهات بحيث لا يأمن الوقوع في المحرمات بحال من يرعى حول الحمى بحيث لا يأمن أن ترتع الغنم في ذلك الحمى الممنوع فيقع عليه العقاب.

والمشبه به قصة الراعي الذي ذهب بماشيته يرعاها بجوار حمى الملك. وكان من عادة العرب حماية مواقع السحاب ومنابت الأعشاب، فلا يدخل هذا المكان إلاّ صاحبه ترعى فيه ماشيته.

قال العيني:

((فإن قلت: ما يسمى هذا التشبيه؟ قلت: هذا تشبيه ملفوف لأنه تشبيه بالمحسوس الذي لا يخفى حاله، شبه المكلف بالراعي، والنفس البهيمية بالأنعام، والمشبهات بما حول الحمى، والمحارم بالحمى، وتناول المشتبهات بالرتع حول الحمى، فيكون تشبيهاً ملفوفاً باعتبار طرفيه، وتمثيلاً باعتبار وجهه))[٢].

والغرض من هذا التشبيه أخذ الحلال وترك الحرام والتحذير من الوقوع في الشبهات.

مثلٌ عظيم، جاءت عناصر صورته (رعي، حمى........) من الحياة العربية، إذ أن الرعي من أهم الأمور التي يزاولها سكان الجزيرة العربية، فهم على علم ا وبقوانين تلك الأراضي التي اتخذها الملوك لمواشيهم، وبالعقاب الذي سيلحق من يقترب بماشيته من ذلك الحمى.

ويذكر ابن حجر العسقلاني المغزى من هذا التمثيل ذه الصورة البدوية حيث يقول: ((وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ٢٩/١١ "الهامش".

(2) عمدة القارئ ٣٤٥/١ـ٣٤٦.

مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذ م بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم النبي - صلّى الله عليه وسلّم - بما هو مشهور عندهم))[١].

*** أجر كفالة اليتيم:**

الحديث الحادي عشر:

لا يخلو مجتمع من ا تمعات قديماً أو حديثًا من وجود الأيتام فيه، واليتيم من فقد أحد أبويه أو كليهما، ولا شك أن اليتيم في حالة ضعف يتجرع الذل كل يوم، يهان، يحتقر، لا يدافع عنه أحد، يظلم، فقد الذي كان يحميه بعد الله.

فلابد من راعٍ يرعاه ويقوم على مصالحه وتوجيهه وتربيته، والإسلام دين لم يغفل هذه الشريحة من ا تمع، فقد حث على رعاية اليتيم وكفل له جميع حقوقه، وتوعد من أكل مال اليتيم بالعذاب الأليم.

وفي بيان أجر كافل اليتيم يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة:

((كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة)) وأشارمالك بالسبابة والوسطى[٢].

تقدم أجر الساعي على الأرملة والمسكين وماله من أجر وهنا يخبر عليه الصلاة والسلام عن أجر من كفل يتيماً سواء كان اليتيم قريبا كابن الأخ أو ابن العم ... أو كان بعيدا.

فاليتيم ثالثة الأثافي، الأرملة ،والمسكين،واليتيم، فهم المحتقرون والأذلاء في كل مجتمع، ورأينا كيف جعل الله لمن يعتني م أجرا عظيما.

والتشبيه في قوله: ((أنا وهو كهاتين في الجنة)).

فالمشبه: كافل اليتيم ومدى قربه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الجنة.

---

(1) فتح الباري ١٢٨/١.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١١٣/١٨ ،ومالك من رواة الحديث.

والمشبه به: المسافة الكائنة بين الأصبعين السبابة والوسطى.

وجه الشبه: شدةُ القرب في كلٍ وعدم الفصل بينهما.

وهو تشبيه مرسل ومجمل، وتشبيه محسوس بمحسوس.

والغرض من التشبيه: بيان المقدار بين المشبه والمشبه به،والحث والترغيب في هذا العمل العظيم لتحقيق أهم ميزة تميزت ا الأمة الإسلامية وهي التكافل والتراحم.

فهذا ثواب عظيم ومطلب نفيس تطمح إليه النفوس الزكية أن يكون العبد قريباً منه عليه الصلاة والسلام في الجنة.

وكفالة اليتيم القيام بأموره من نفقة، وكسوة، وتأديب، وتربية، وتوجيه، وحماية....

*** الفطرة الإسلام:**

الحديث الثاني عشر جاء التمثيل فيه لبيان نقاء فطرة كل مولود من بني آدم، وأنه خالص من شوائب الانحرافات العقدية، فهو مؤمن بربه موحد لخالقه، وأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن المولود يتعرض للخلل العقدي السليم من قبل والديه.

عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة يمةً جمعاء هل تحسون فيها جدعاء؟)) ثم يقول أبو هريرة: واقرؤا إن شئتم ((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله))[1].

قال العسقلاني في معنى الحديث نقلاً عن الطيبي:

((والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد........))[1].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٦/٢٠٧ـ٢٠٩، والجمعاء : مجتمعة الأعضاء.......

وهناك رأي ذكره الإمام العيني يبين معنى الحديث وأن الفطرة من الفاطر الخالق، يقول:

((وقال قوم الفطرة الخلقة من الفاطر الخالق، وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر وإيمان أو معرفة وإنكار وإنما يولد المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعاً وبنية ليس فيها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة، ثم يعتقدون الإيمان أو غيره إذا ميزوا))[٢].

والرأي الأخير تم فهمه من قوله ((كما تنتج البهيمة يمة جمعاء)) ولكني أرجح - والله أعلم - الرأي الأول، لأنه تم ذكر العقائد المنحرفة والمخالفة للإسلام ولم يتم ذكر الإسلام، فالفطرة إذن الدين.

شبه عليه الصلاة والسلام حال المولود عند ولادته وبقائه على الفطرة السليمة ثم يحدث له الانحراف العقدي بعد ذلك بحال البهيمة تلد يمة كاملة الخلق ثم يطرأ عليها التشويه والنقص بعد ولاد ا من جدع وقطع وتغيير.

((والنتاج يكون في الناقة والفرس،وقيل إنه في جميع الدواب،والولادة في الغنم))[٣].

فالإنسان مهيأ لعبادة ربه وتوحيده ثم تأتي له عوامل خارجية لا علاقة لتكوينه العقلي والقلبي ا فتدخل نقصاً وتشويهاً في تلك الفطرة، والحديث يجعل أهم عامل من هذه العوامل الخارجية الوالدين فيتحول على دين والديه.

والتشبيه بين حالتي الفطرة في بدايتها وماهيه عليه من سلامة و يؤ لتوحيد خالقها، وحالتها بعد مرور فترة من الزمن وما يعتريها من نقص وخلل يغير مسارها الصحيح، صورة معنوية أتى التمثيل لبيا ا بصورة حسية بارزة.

ولنتأمل الأفعال المضارعة (يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه) وما تدل عليه من استحضار للصورة وكأننا نشاهد كل والد ووالده يعلم طفله بعقائد دينه وتصرفاته وما

---

(1) فتح الباري ٢٤٩/٣.

(2) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ١٧٨/٨.

(3) اللسان: ٣٧٣/٢.

يبذلانه من حرص على تعلم ذلك الدين، وان هذه الأفعال مستمرة لا تترك للنسيان مجال، متجددة في كل حال وفي كل وقت يتعلم ما تنص عليه تلك الديانة.

وأرى ـ والله أعلم ـ أنه صنف الديانات على هذا الترتيب حسب شدة خطرها على الإسلام.

الحديث الثالث عشر ((المتشبع بما لم يعط)):

ولا تزال سلسلة التوجيهات النبوية للعائلة المسلمة مستمرةً، فعن عائشة أن امرأة قالت: يا رسول الله أقول إن زوجي أعطاني ما لم يعطني، فقال: رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)) (١).

وفي رواية عن أسماء قالت:

((جاءت امرأة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: إن لي ضرة فهل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)) (٢).

أي المتكثر بما ليس عنده بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده يتكثر بذلك عند الناس ويتزين بالباطل فهو مذموم كما يذم من لبس ثوبي زور.

قال أبو عبيدة وأخرون:

هو الذي يلبس ثياب أهل الزهد والعبادة والورع، ومقصوده أن يظهر للناس أنه متصف بتلك الصفة ويظهر من التخشع والزهد أكثر مما في قلبه فهذه ثياب زور ورياء.

وقيل: هو كمن لبس ثوبين لغيره وأوهم أ نما له.

وقيل: هو من يلبس قميصاً واحداً ويصل بكمية كمين آخرين فيظهر أن عليه قميصين.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٠/١٤.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٠/١٤ ـ ١١١.

وقال الخطابي: المراد هنا بالثوب الحالة والمذهب والعرب تكنى بالثوب عن حال لابسه، ومعناه أنه كالكاذب القائل ما لم يكن.

وقيل: هو الرجل تطلب منه شهادة زور فيلبس ثوبين يتجمل بهما فلا ترد شهادته لحسن هيئته[١].

فقد شبه صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط بمن لبس ثوبي زور.

ووجه الشبه: الكذب ومخالفة الحقيقة.

وقوله ((ثوبي زور)) أي كمن كذب كذبين أو أظهر شيئين كاذبين، حيث قال عليه الصلاة والسلام لمن قالت: إن لي ضرة فهل علي جناح أن أتشبع بما لم يعطني زوجي أي أظهرت الشبع، فأحد الكذبين قولها: أعطاني زوجي، والثاني: إظهارها أن زوجها يحبها أشد من ضرتها.

وقد جاء التشبيه المرسل المجمل منفرا من هذا الأمر ((التشبع وإظهار ما لا يملك أنه يملكه)) فهو مزور وكاذب مرتين، فالأولى أنه لم يعط شيئاً والثانية إظهار أنه قد أُعطي.

والغرض منه التحقير للمشبه، والطرفان معنوي وحسي.

***الخضر وموسى عليهم السلام:**

الحديث الرابع عشر:

حدثنا أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((إنه بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعماؤه وبلاؤه إذ قال ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني، قال: فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير منه أو عند من هو إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك قال: يا رب فدلني عليه، فقيل له: تزود حوتاً مالحاً فأنه حيث تفقد الحوت، قال: فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة ، فعمى عليه فانطلق وترك فتاه، فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوة، قال: فقال فتاه: ألا ألحق نبي الله فأخبره، قال: فنسي فلما تجاوزا، قال لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، قال: ولم يصبهم نصب حتى تجاوزا، قال: فتذكر، قال: أرأيت إذ أوينا إلى

---

(1)المصدر السابق ١١٠/١٤ ـ ١١١ "الهامش".

الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره، وأتخذ سبيله في البحر عجباً، قال: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً فأراه مكان الحوت، قال: ههنا وصف لي، قال: فذهب يلتمس فإذا هو بالخضر مسجى ثوباً مستلقياً على القفا أو قال: على حلاوة القفا، قال: السلام عليكم، فكشف الثوب عن وجهه، قال: وعليكم السلام، من أنت، قال: أنا موسى، قال: ومن موسى، قال: موسى بني إسرائيل، قال:ما جاء بك، قال: جئت لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر، قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً ، فانطلقا حتى ركبا في السفينة خرقها، قال: انتحى عليها، قال له موسى عليه السلام: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا، قال: ألم اقل إنك لن تستطع معي صبراً، قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً يلعبون، قال: فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي فقتله، فذعر عندها موسى عليه السلام ذعرةً منكرة، قال: أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: عند هذا المكان رحمة الله علينا وعلى موسى لو لا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة، قال: إن سألتك عن شيء بعدها، فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ولو صبر لرأي العجب، قال: وكان إذا ذكر أحد من الأنبياء بدأ بنفسه رحمة الله علينا وعلى أخي كذا رحمة الله علينا، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لئاماً فطافا في ا ـالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال: لو شئت لاتخذت عليه أجرا، قال: هذا فراق بيني وبينك وأخذ بثوبه قال: سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر إلى آخر الآية فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها فأصلحوها بخشبة، وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً، وكان أبواه قد عطفا عليه، فلو أنه أدرك أرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ر ـما خيراً منه زكاة وأقرب رحما، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته إلى آخر الآية ....))[1].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي:١٤٢/١٥ـ١٤٦.

والتشبيه وارد في قوله عليه الصلاة والسلام: (فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكُوة)[١].

وفي رواية: (حتى كان مثل الطّاق)[٢].

فقد شبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الماء بعد دخول الحوت فيه عندما أمسك الله جرية الماء بالطاق أو الكُوة وهما بمعنى واحد (ما كان البناء المعقود أعلاه وبقي ما تحته خالياً بجامع الاستدارة والتماسك المستقل في الهواء.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبه وبيان قدرة الله تعالى، ويؤيد هذا ما قاله في ـاية الرواية ((فكان للحوت سرباً وكان لموسى وفتاه عجباً)).

وقد وردت القصة بكاملها في سورة الكهف.

وفي ـاية إحدى الروايات يقول عليه الصلاة والسلام:

((......... وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة، ثم نقر في البحر فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ مثل ما نقص هذا العصفور من البحر))[٣].

في هذه الجزئية من الرواية يبين عليه الصلاة والسلام سعة علم الله ـ سبحانه ـ وقد جعل الله من أسمائه العليم.

وقد بين سعة علمه قال تعالى:

﴿والله يعلم ما في السموات وما في والأرض والله بكل شىء عليم﴾[٤].

والأحاديث والآيات الدالة على سعة علم الله كثيرة ليس ا ال لسردها، ونعود إلى التشبيه فقد شبه عليه الصلاة والسلام علم الخضر وعلم موسى ـ عليهما السلام ـ بجانب علم الله

والقصة كاملة في القرآن الكريم في سورة الكهف من الآية ٦٠ حتى الآية٨٢.

والفتى هو يوشع بن نون ومعنى فتاه صاحبه وليس المقصود عبداً له" الهامش" ١٣٨/١٥.

(1) الكُوة: بالفتح وقيل بالضم وهي الطاق، والطاق عقد البناء وجمعه طبقان وأطواق وما عقد أعلاه من البناء وبقي ما تحته خالياً .

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:١٣٧/١٥ وما بعدها.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي:١٤١/١٥.

(4)سورة الحجرات آية: ١٦.

ـ تعالى ـ بما أخذه العصفور من ماء البحر، فعلم موسى والخضر عليهما السلام مثل ما علق في منقار العصفور وعلم الله بقية البحر.

قال العلماء:

((لفظ النقص هنا ليس على ظاهرة، وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر هذا على التقريب إلى الأفهام وإلاّ فنسبة علمهما أقل وأحقر ....))[١].

٥/ التشبيه التمثيلي في أحاديث الآخرة:

جاء التمثيل لبيان بعض المعاني الغيبية المقربة لبعض جوانب يوم القيامة والجنة والنار، وهذه المعاني من الأمور الغيبية التي تم إيضاحها وتجليتها بأسلوب التمثيل.

معان عظيمة لا تصفها اللغة ا ،ردة، أمور غيبية يتم إيضاحها وتقريبها للأفهام عن طريق التمثيل والمشبه في هذه المعاني هيئة محسوسة مركبة وهذا مذهب الخطيب القزويني.

والأحاديث في هذا الفصل بلغت سبعة أحاديث في معان مختلفة تحدث في الآخرة.

*** قرب الساعة من البعثة:**

الحديث الأول:

يدور هذا الحديث حول قرب الساعة وأن البعثة المحمدية من دلائل قر ا، فعن أبي حازم أنه سمع سهلاً[٢] يقول: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشير بإصبعه التي تلي الإ ام و الوسطى وهو يقول :

((بعثت أنا والساعة هكذا، وفي رواية ((كهاتين))[٣].

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٤١/١٥"الهامش".

(2)صحيح مسلم بشرح النووي: هو سهل بن سعد رضي الله عنه.

(3)المصدر السابق: ٨٨/١٨ ـ ٨٩.

يبين عليه الصلاة والسلام قرب الساعة وانتهاء الحياة الدنيا، فيمثل لهذا الأمر بالصورة الحسية، حيث جمع بين السبابة والوسطى، وأن الفرق بينهما في الطول والقرب كالفرق بين البعثة وقيام الساعة.

قيل: ((المراد بينهما شيء يسير كما بين الإصبعين في الطول، وقيل: إشارة إلى قرب ا اورة))(١).

فالمشبه في الحديث: قرب وقوع الساعة من بعثته - صلى الله عليه وسلم -.

والمشبه به: قرب السبابة من الوسطى في ا اورة أو الارتفاع.

والغرض من التشبيه: بيان المقدار.

ونلحظ استخدام التصوير لتقرير المعنى المقصود وتثبيته في النفوس. وهذا طريق لا يمكن لأسلوب آخر أن يوضح المعنى مثله، وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر بقوله:

((وذلك أن الوصف كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه، وزيادة التثبيت والتقرير في ذاته وأصله، فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيه ووضع قياس من غيره يكشف عن حده ومبلغه في القوة والضعف والزيادة والنقصان ....))(٢).

*** النار يوم القيامة:**

الحديث الثاني: جاء التمثيل فيه لبيان وصف جهنم، ومدى العذاب المتوقع خلال ذلك الشكل المخيف، ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال:

((....... فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأ ا سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى.......))(٣).

---

(1)المصدر السابق ٨٩/١٨ "الهامش".

(2)أسرار البلاغة ص١١١.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي: ج٣ /٢٥-٢٦.

وصف عظيم لجهنم – أعاذنا الله منها – أثناء ورود أهلها لها، كأ ا سراب.

قال النووي:

((والسراب هو الذي يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعاً مثل الماء يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فالكفار يأتون جهنم أعاذنا الله الكريم وسائر المسلمين منها، وهم عطاش فيحسبو ا ماءً فيتساقطون فيها))[١].

فهذا التشبيه تشبيه دقيق معبر، واختياره أداة التشبيه (كأن) يفيد فائدة خاصة في دقة التشبيه وإصابته، وقوة المشا ة بين الطرفين.

والسراب ملازم لأحوال الكفّار، وفيه الدلالة على التعب، والخسران، وعدم الفائدة، مع رغبة النفس وأملها في الحصول على شيء، فالسراب ملازم لهم في جميع الأحوال، فأعمالهم سراب قال تعالى:

﴿والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾[٢].

فجهنم كالسراب يحطم بعضه بعضاً، صورة مخيفة يبعث الفعل المضارع فيها الروح (يحطم) وكأننا نشاهد بعض أجزاء تلك الصورة.

ويعلق الدكتور البيومي على هذه الحديث قائلاً:

((أليست هذه صورة جميلة تذكرنا بقول الله تعالى عنها ﴿تكاد تميّز من الغيظ﴾[٣] وكلتا الصورتين تنطق باحتدام اللهيب !))[٤].

(1) المصدر السابق :٢٦/٣.

(2) سورة النور: آية :٣٩.

(3) سورة الملك: آية: ٨.

(4) البيان النبوي : ص ١٥٢.

وتشبيه النار بالسراب من أجمل التشبيهات، ولم يذكر في غير كلامه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، وفي السراب من المعاني الخفية والنفسية الشيء الكثير التي جعلت التشبيه يبلغ الدرجة العظيمة هذه وبخاصة عندما شبهت النار به.

تشبيه رائع الغرض منه بيان حال النار.

*** المسلمون بين الأمم يوم القيامة:**

الحديث الثّالث: جاء التمثيل فيه لبيان حجم المسلمين بين الأمم يوم القيامة، وما يتسمون به من تميز ومغاير م لبقية الأمم.

ففي الصحيح عن عبد الله قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((....أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك. ما المسلمون في الكفار إلاّ كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثورٍ أبيض ....))[1].

تشويق للجنة، واطمئنان للقلوب المؤمنة، وحث على العمل الصالح، بين عليه الصلاة والسلام نسبة المسلمين مقارنة بغيرهم في الجنة، ثم بين نسبتهم مع أهل الموقف.

((والحديث مشهد حي استكمل كل عناصر الحيوية، فالحوار المثير، والفاجآت الضخمة، والتشبيهات الرائعة، كل ذلك مما زخر به هذا النص الجميل))[2].

في هذا الحديث الشريف يطمئن عليه الصلاة والسلام أمته ويذكر بأ ا نصف أهل الجنة فلله الحمد والشكر.

والتشبيه وضح حال الأمة الإسلامية بالنسبة للأمم الأخرى يوم القيامة، فالمشبه حال الأمة الإسلامية بين الأمم، والمشبه به حال الشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الأحمر ـ كما في بعض الروايات ـ أو حال الشعرة السوداء في الثور الأبيض،ووجه الشبه القلّة والندرة مع المغايرة الكاملة.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ٣/٩٥ ـ ٩٦.

(2) ينظر "التصوير الفني في الحديث النبوي" الصباغ ص ٢١٩.

تشبيه دقيق ولطيف كشف التمثيل فيه بطريقة محسوسة عن قلة المسلمين إضافةً إلى ظهورهم وتميزهم وسط تلك الأمم، فهم كرام، والكرام قليل، شعرة مغايرة لبقية الشعر اتفقت مع غيرها في الشكل الخارجي واختلفت في اللون والمضمون، بلاغة عالية وتصوير رائع كشف المعنى وأبان المقصود.

*** الأرض يوم القيامة:**

الحديث الرابع جاء فيه التمثيل لبيان حال الأرض يوم القيامة، ففي الصحيح عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد))[1].

إنه يوم عظيم، كثير الأهوال، يوم يجعل الولدان شيبا، والآيات الكريمات والأحاديث الشريفة وضحته وجلّته، وذكرت ما يحدث للمخلوقات فيه، وهذا الحديث العظيم الذي بين أيدينا يأخذ جانباً من ذلك اليوم، وهو عبارة عن ذكر لصفة الأرض التي يحشر عليها الخلق، فيصفها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بأ ا أرض عفراء، ثم يوضحها أكثر فيقول إ ا كقرصة النقي....

فالأرض ذلك اليوم ليست الأرض التي ألفناها وأحببناها، من خضرة وماء، وظل وهواء، فالرسول يؤكد هذا بقوله ((ليس فيها علم لأحد)) أي أنه لم يعد ا علامات، فقد تغيرت ملامح وجهها، وزالت تضاريسها، وسبحان القائل:

((يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهّار))[2].

وروى أبو سعيد الخدري حديثاً عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((تكون الأرض يوم القيامة خبزةً يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة)) وقال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٣٤/١٧، والعفراء: البيضاء إلى حمرة، النقي: الدقيق الحوري.

(2) سورة إبراهيم: آية ٤٨.

القاسم ألا أخبركم بـ ل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: (بلى) قال: تكون خبزةً واحدةً كما قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال: فنظر إلينا رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - ثم ضحك حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبركم بإدامهم؟ قال: (بلى) قال: إدامهم بالأم ونون، قالوا: ما هذا؟ ثور ونون يأكل من زائدة كبده سبعون ألفاً))[1].

فهذه الرواية تزيد الصـورة لنا وضوحاً وبياناً، فقـد أخبر - صلّى الله عليه وسلّم - عن صورة الأرض أثناء التبديل، فقال:

((تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة)).

ففي الرواية الأولى يشبه الرسول - عليه الصلاة والسلام - الأرض يوم القيامة بقرصة النقي، ووجه الشبه الصورة المنتزعة من متعدد الحمرة مع البياض ثم الاستواء......

أما الرواية الثّانية شبهت الأرض حين تبدل يوم القيامة بخبزة المسافر يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي.

والغرض من التشبيه تقريب صورة المشبه، فهو غيب أخبر الله به رسوله - صلّى الله عليه وسلّم - ويجب علينا الإيمان والتصديق.

ومعنى الحديث - والله اعلم - ((أن الله تعالى يجعل الأرض كالظلمة والرغيف العظيم ويكون ذلك طعاماً ونزلاً لأهل الجنة والله على كل شيء قدير))[2].

والنون: الحوت باتفاق العلماء.

أما الأم: ففيه خلاف والأرجح أنه الثور ولكنه نطقه بالعبرانية يأكل من زائدة كبدهما - أي الأم والنون - سبعون ألفاً، يحتمل أ م السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب ويحتمل غيرهم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي:١٣٥/١٧، والخبزة هي الظلمة التي توضع في الملّة.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٣٥/١٧ "الهامش".

*** غرف أهل الجنة:**

الحديث الخامس جاء لبيان بعض ما ناله المؤمنون في الجنة الذين حسن إيما م وصدقوا رسله. ففي الصحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((إنّ أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكواكب في السماء))[١].

وفي رواية:

((الكوكب الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين))[٢].

تم تحليل بعض أجزاء هذا الحديث في باب التشبيه المفرد وذلك باعتبار بعض الروايات التي جاء التشبيه فيها مفرداً.

الجنة درجات، أعدها الله لعباده المؤمنين، لكلٍ مكانةٌ ومرتبةٌ حسب فضله، وفي هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام أن هناك أقوام يرى أهل الجنة مراتبهم وغرفهم وذلك جزاء ما نالوا من إيمان راسخ وعمل صالح.

والكوكب الدري (هو النجم الشديد الإضاءة، الشديد البياض البراق العظيم القدر، ومنسوب إلى الدر لبياضه وضيائه)[٣] والكوكب دائم الضياء، ثم إنه غابر أو غارب، والمعنى واحد، وهذا يعني أنه عال وبعيد مرتفع ـ وغابر لها معنيان أي ذهب أو بقي.

يقول العيني نقلاً عن الطيبي:

((شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع البعد))[٤].

---

(1) المصدر السابق: ١٦٨/١٧ ـ ١٦٩.

(2) المصدر السابق ١٦٩/١٧، وفي رواية الغارب وقيل العازب، وهو البعيد والمعنى واحد.

(3) عمدة القارئ ١٥٨/١٥.

(4) المصدر السابق : ١٥٩/١٥.

والله عز وجل يلقى على المؤمنين في هذه الغرف نوره فيكونون أشد ـاءً ونضرةً ونورا وهناك سؤال يطرح نفسه أمام القارئ يقول: ما فائدة هذه القيود التي وصف ـا المشبه به من كونه دري ثم غابر في الأفق؟

يجيب على هذا السؤال الإمام العيني نقلاً عن الطيبي ـ رحمهما الله ـ قال:

((للإيذان بأنه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه))[1].

فضل عظيم حباه سبحانه لأوليائه وصفوة عباده من المؤمنين، يجب علينا الإيمان والتصديق الجازم به.

*** ممنوعون من ورود الحوض:**

الحديث السادس جاء لبيان بعض أحوال يوم القيامة، وبيان دفع الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لرجال عن حوضه في ذلك اليوم، ومغالبتهم له ومحاولتهم المستمرة في الورود، ومع هذا كله يتم منعهم من الشراب منه.

ففي الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أتى المقبرة فقال: ((....... السلام عليكم ..... فإ ـم يأتون غراً محجلين وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجالٌ عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إ ـم قد بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً))[2].

وفي البخاري ((والذي نفسي بيده لأذودن رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض))[3].

شبه رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ذوده المنافقين يوم القيامة عن حوضه بحال الراعي الذي يطرد الناقة الضالة الغريبة عن إبله، يطردها عن حوض إبله الذي تشرب منه.

---

(1) عمدة القارئ ١٥٩/١٥.

(2) ينظر " صحيح مسلم بشرح النووي" ١٣٧/٣ ـ ١٣٩.

(3) صحيح البخاري ١٤٧/٣.

وجه الشبه بين الحالتين ((أن أصحاب الإبل إذا وردوا المياه بإبلهم ازدحمت الإبل عند الورود فيكون فيها الضال الغريب، فكل أحد من أصحاب الإبل يدفعه عن إبله حتى تشرب إبله، فيكثر صادوه ودافعوه حتى صار مثلاً شائعاً، قال الحجاج لأهل العراق لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل))[1].

هذا مصير وحال المنافقين على الحوض يوم القيامة يطردون، والعطش بلغ منهم أشد مراحله، فهم لا يستحقون النعمة يجب أن يمنعوا منها كما يمنع البعير أو الناقة عن تلك الإبل المعروفة، وهذا ذم وتقبيح لهم.

قال ابن الأثير:

((إن الإبل إذا وردت الماء فدخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج منها))[2].

قصة عظيمة اتفقت عناصرها الدنيوية بالأخروية، بعير أحرقته الشمس في صحراء شديدة الحر، ضمأ لهب حلقه حتى لم يعد ذلك البعير المعروف بالصبر والتحمل، يمشي فوق الرمال الحارة، ثم يرى النجاة فجأة، إنه ماء صاف عذب حوله قطيع من الإبل مع صاحبها، يقترب وفي ظنه أنه لن يرى في زحمة تلك الإبل الكثيرة، ولكن تم كشفه، فيطرد ويضرب، فيزداد ألماً على مابه من ألم وعطشاً اشد من العطش الأول لأنه رأى الماء فتاقت نفسه إليه فحرمه، صورة يعرفها رعاةُ الإبل ومربوها.

تم نقل هذه الصورة بمعانيها وإيحاءا ا إلى يوم القيامة، فهناك المنافق الذي أثقلته الذنوب وأ كته الأهوال نفسياً، والعطش الذي أغلق حلقه في ذلك اليوم العصيب، ثم يتراءى له الحوض النبوي، فيطمع في الورود عليه والشراب منه فيجد المصطفى عليه الصلاة والسلام على الحوض، فيتم له الطرد والإبعاد فيزداد عطشاً وخذلاناً.

((صيغت هذه الصورة على أسلوب قصة سريعة تعتمد على التشبيه المتصل بحياة السامعين، وهو التشبيه بالبعير الضال الذي يذاد ويدفع بالشدة والعنف، وفي ذلك تجسيد

---

(1) المفهم شرح صحيح مسلم ٥٨٦/٢.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثر ٣٤٩/٣.

للخزي والعذاب والهلاك الذي يصيب من يبدل ما كان عليه رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم))[١].

فهؤلاء المنافقون أحدثوا في الدين، وابتدعوا، وحاربوه بكل وسيلة فلا بد أن يطردوا من الأمة الإسلامية ولا يجوز الانتساب لها، فليسوا منها كغرائب الإبل.

*** مخالفة القول للعمل:**

الحديث السابع جاء التمثيل فيه لبيان جزاء من يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر فيأتيه، والغرض من التمثيل التنفير من هذا الفعل، وأن جزاءه الصورة البشعة التي كشف الستار عنها التمثيلُ يوم القيامة.

ففي الصحيح عن أسامة بن زيد أنه سمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول:

((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور ا كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأ ى عن المنكر وآتيه))[٢].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ديني، وهو من أسباب خيرية الأمة المحمدية قال تعالى:

((كنتم خير أمةٍ أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))[٣].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر مطلوب منا كمسلمين لكي نخالف به بقية الأمم كما قال تعالى:

---

(1) التصوير الفني في الحديث النبوي ، الصباغ ، ص ١٢٠.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: ١١٧/١٨ ـ ١١٨، تندلق أقتاب بطنه: تخرج أمعاؤه.

(3) سورة آل عمران : آية :١١٠.

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (١).

والحديث يصور منظراً شنيعاً ومشهداً بشعاً لهذا الرجل، يؤتى به يوم القيامة ويلقى في النار، ونلحظ بناء الفعلين (يؤتى، يلقى) للمفعول وما يدلان عليه من كره وقسر وإلزام، فإذا أُلقى في النار خرجت أمعاؤه، منظر تموج منه النفس، يدور بأمعائه في النار.

((واختيار الحمار من بين أنواع الحيوان يتناسب مع تحقير صورة هذا الرجل))(٢).

تشبيه تمثيلي،حالة بحالة،شبه عليه الصلاة والسلام صورة الرجل في النار وقد خرجت أمعاؤه من بطنه وهو يدور بها على مرأى من أهل النار بصورة الحمار وهو يدور بالرحى.

إنه منظر ملفت لأنظار أهل النار استنفر جيوش الأسئلة (يا فلان! مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ يرون بأنه لا يستحق النار لأنه كان حسن المنظر أمامهم في الدنيا، من الدعاة إلى الله، ولكن الله يعلم ما في السرائر، فيكشف سبب مجيئه إلى النار ((قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه))

هذا سبب دخوله النار، وقد توعد الله ـ سبحانه ـ هذه الفئة بقوله:

﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (٣).

لا شك أن الحديث تصوير وتفسير للمقت الذي ورد في الآية، وقد وبخ سبحانه الأمم السابقة على هذا الفعل قال تعالى:

﴿أتأمرون النّاس بالبّر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾(٤).

والمشبه به في الحديث الحمار، وهو مثل في البلادة والغفلة والغباء، وفيه معنى الإهانة.

إنها صورة بشعة، إنسان حي يجر أمعاءه ويدور بها في نار جهنم، فضيحة عظيمة وإظهار لحقيقة داخله الفاسد المنتن.

---

(1) سورة آل عمران: آية : ١٠٤.

(2) التصوير الفني في الحديث النبوي :١٨٧.

(3) سورة الصف :الآيات : ٢ ـ ٣.

(4)سورة البقرة آية: ٤٤.

الباب الثالث

الموضوعات والعناصر المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم

الموضوعات والعناصر المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم المعبر عنها بأسلوب التشبيه:

اختار الله نبيه محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ من بين آلاف الفصحاء، وجعله أفصحهم، وأيده بالقرآن الكريم معجزة تبهر قومه فصاحةً وبيانا، وجاءت سنته مبينةً لتلك المعجزة، وشارحةً لمعانيها، ومفصلة لتلك الآيات التي ترقى م من مستنقع الجاهلية إلى قمم الأخلاق الفاضلة.قال تعالى:﴿لقد مَنّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم ءايته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلل مبين﴾(1).

إ ا مهمة عظيمة أوكلت إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو المبلغ عن ربه، المبين لما في القرآن، أرسله الله إلى قوم شديدي الخصام، اشتهروا بالفصاحة، وبرعوا في أساليب البيان، وفنون القول، فكان عليه الصلاة والسلام أفصح منهم وأشدهم عارضة، وأقواهم حجة، قال تعالى:

﴿فإنما يسرنه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لُّدًّا﴾ (2).

فالمعاني جميعها من عند الله، والقرآن معجز والحديث مبدع، وقد اشتركت الموضوعات والمعاني بين الحديث النبوي والقرآن؛ لأ ما توضيح لمنهج رباني واحد، ورسالة سماوية واحدة.

((إ ا فصاحة العاقل المكين الذي أرشده القرآن، وأفرغ عليه آلاف المعاني، وفتح أمامه أبواب الإقناع والسداد، فإذا تكلم فعن رصيد ضخم من التفكير الثاقب والمعرفة الغزيرة والدراية الكونية والتاريخية والفقهية مما بسطه محكم الذكر الحميد، ومن هنا كان تعبير رسول الله دسما بمعناه مشرقًا بلفظه، وتتابع المعاني وتسلسلها لدى البليغ المطبوع يجبر الألفاظ المنتقاه جبرا، ويسوقها مساقًا هادئًا كي تأخذ مكا ا الطبيعي دون نشاز...

ولقد كانت معاني محمد في إرشادا ا ربانية،وكانت ألفاظه معرضا رائعا لمعانيه، وإذا كان القرآن أستاذ معانيه فإن أثره عليه عظيم جليل ...))(3).

---

(1)سورة آل عمران آية: ١٦٤.

(2)سورة مريم آية: ٩٧.

(3)البيان النبوي للبيومي ص٦٨.

وفي هذا الباب ـ إن شاء الله ـ سأحاول جاهدا استقصاء المعاني والموضوعات التي وردت بعض جوانبها في صحيح مسلم بأسلوب التشبيه وجاءت نفس المعاني أو الموضوعات في القرآن الكريم بطريق التشبيه، مع بيان الغرض من التشبيه في كلٍ.

وقد قسمت هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول:

المعاني والموضوعات المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم.

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: الدنيا وما فيها وفي هذا المبحث:

أ ـ الدنيا نفسها.

ب ـ المنافقون.

جـ ـ الكافرون.

د ـ القمر.

هـ ـ عيسى عليه السلام.

و ـ الصدقة.

وقد درست الصورة التشبيهية في كل موضوع من هذه الموضوعات وبينت أوجه الشبه والاختلاف بين الصورة النبوية والصورة القرآنية.

المبحث الثاني:

يوم القيامة وما بعده، وفي هذا المبحث الموضوعات التالية:

أ ـ يوم القيامة نفسه وما فيه من الأهوال.

ب ـ الجنة وأحوال أهلها.

جـ ـ النار ووصف أهوالها وعذاب من فيها.

وسأدرس ـ إن شاء الله ـ هذه الموضوعات على ج موضوعات المبحث الأول مراعيا في التحليل الجانب الديني والجانب البلاغي.

الفصل الثاني:

العناصر المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم.

وفي هذا الفصل سأحاول - بمشيئة الله - استقصاء جميع العناصر الواردة في الحديث النبوي "صحيح مسلم" وما جاء منها في القرآن الكريم بطريق التشبيه، وهذا الفصل ينقسم إلى موضوعات:

١ - عنصر النبات.

٢ - عنصر الحيوان.

٣ - عنصر الجماد.

٤ - متفرقات.

الفصل الأول: المعاني والموضوعات المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الدنيا وما فيها:

من الموضوعات المشتركة بين الحديث والقرآن التي ورد فيها تشبيهات موضوع الدنيا وما فيها، وسيكون الحديث - إن شاء الله - عن الدنيا نفسها وكيف تم وصفها في الحديث ثم في القرآن وعن المنافقين وعن الكافرين وعن بعض المخلوقات.

ونبدأ بالحديث عن الدنيا وسأقوم - إن شاء الله - بشرح موجز للتشبيه في كل حديث لأنه قد سبق التحليل له.

أ - الدنيا نفسها:

فالدنيا مزرعة الآخرة، وقد جعلها دار ممر لا دار مقر، وقد فهم حقيقتها من طهر الله قلو م من حبها والركون إليها، وقد بعث الله - جل وعلا - رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - ليبين للناس ما يجهلون، وكان مما بين لهم حقيقة هذه الدنيا التي اغتر ا كثير من الناس في عصره - صلى الله عليه وسلم - وفي العصور التي سبقته من أخبار الأمم السابقة، وفي هذا الكتاب العظيم - أعني صحيح مسلم - تعرض مؤلفه لعدد من الأحاديث التي بين فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - حقيقة الدنيا متخذًا الصورة التشبيهية راحلة لبلوغ المعنى المراد إيصاله للأمة.

فقال صلى الله عليه وسلم:

الحديث الأول:

((الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة))[1].

فهنا يشبه عليه الصلاة والسلام الدنيا بالمتاع بجامع التمتع والانتفاع والتبلغ وسرعة الفناء وأ ا وسيلة، من طلبها للآخرة فهي متاع بلاغ ومن طلبها لذا ا فهي متاع غرور وقد ذكر ذلك الله سبحانه وتعالى بأسلوب القصر بما وإلا فقال:

﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [2].

---

(1) انظر صحيح مسلم ١٠/٥٦.

(2) سورة آل عمران: ١٨٥.

والحديث تشبيه بليغ.

فالحديث السابق بيانٌ لحقيقتها وأ ا وسيلة وليست غاية لذا ا.

الحديث الثاني:

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه)) هذه وأشار يحي بالسبابة ((في اليم، بم يرجع؟))[١].

ففي هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام قصر الدنيا وفناء لذ ا وبقاء الآخرة ودوام لذ ا فيشبها ـ الدنيا ـ بما علق بسبابة من وضعها في البحر، فالدنيا تلك القطرة والآخرة ذلك البحر والمحيط.

وفي قسمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بداية الحديث تأكيد وتحذير من الركون إليها وبيان لحقار ا لينتبه الغافلون ليطيروا من مستنقعات الآثام إلى أعلى قمم مثل الإسلام مع المؤمنين الذين يطلبون الآخرة وما أعده الله لأوليائه المتقين.

وسلك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التشبيه لبيان قلّة وحقارة نعيم الدنيا إذا قُورن بنعيم الآخرة.

فذكر ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشبهين ((الدنيا في الآخرة)) ثم الأداة ((مثل)) ثم ذكر المشبه به لكل واحد إلاّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، بم يرجع؟)).

الحديث الثالث في الحديث عن الدنيا:

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[٢].

ففي هذا الحديث ـ كما سبق عند تحليله ـ شبهت الدنيا بسجن المؤمن إذا قورنت بما سيلقاه من نعيم بعد موته وشبهت بالجنة للكافر مقارنة بما سيلقاه في الآخرة من العذاب الأليم.

على سبيل التشبيه البليغ.

---

(1) انظر: صحيح مسلم ١٩٢/١٧.

(2) انظر: صحيح مسلم ٩٣/١٨.

والحديث يحث على الصبر للمؤمن حتى ينال الفوز يوم القيامة ليتمكن من ضبط نفسه الأمارة بالسوء، وينتصر عليها.

وأن ما في الدنيا من النعيم هو مثل نعيم السجن، والكافر في النار يرى أنه كان في جنة في الدنيا حيث لم يمنع نفسه من شيء فجنى على نفسه وحدد مصيره في جهنم.

هذه ثلاثة أحاديث ذكرها الإمام مسلم في صحيحه قالها ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه عن الدنيا فشبهها بالمتاع، ثم ذكر أ ا في القصر كالقطرة في أصبع السبابة، ثم ذكر أ ا سجن المؤمن وجنة الكافر وهذه التشبيهات من التشبيهات البليغة المحذوفة الوجه والأداة لبيان ما بين المشبه والمشبه به من قوة وتلاحم فكأنه هو وفي التشبيه الثاني ذكر الأداة ((مثل)) وما توحي به من شدة المقاربة بين الطرفين.

هذه الدنيا مجسدةً في حديثه صلى الله عليه وسلم عنها.

أما الدنيا في كلام رب العزة والجلال فتناول حقيقتها من خلال الآيات التالية:

١ ـ قال تعالى:

﴿إنما مثل الحيوة الدنيا كماءٍ أنزلنه من السمآء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل النّاس والأنعم حتىٰ إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيَّنت وظن أهلها أنهم قدرون عليها أتها أمرنا ليلاً أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾[1].

قال الزمخشري:

((هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تفضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف، وزين الأرض بخضرته ورفيقه...))[2].

أما قوله تعالى:

﴿كأن لم تغن بالأمس﴾.

---

(1) سورة يونس آية: ٢٤.

(2) ينظر: الكشاف ٣٢٩/٢.

فهو تشبيه حال هلاك الدنيا بحالها عند ما لم تكن موجودة. أي كأنك بالدنيا لم تكن.

قال أبو حيان:

((يشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتفاء وجوده في الزمان الماضي السرعة انتقاله من حالة الوجود إلى حالة العدم، كأن حالة الوجود ما سبقت))[١].

ففي تشبيه الدنيا صورة بجميع أجزائها، وجاء المشبه به مفصلاً ليوحي بأن ذلك التفصيل ممكن في المشبه، فالمشبه به النبات وكلنا يعلم أهمية النبات للإنسان وللأنعام، نبات نزل عليه الماء من السماء، فنما واهتزت به الأرض وربت، وأخذت زخرفها وتزينت به وبلغت بجماله أجمل صورة فارتدت به ثوبا أخضر يسر الناظرين، فكانت به في غاية الحسن، و اية البهجة، فاستقرت الأمور وطاب العيش، فكان العيش على ما يرام والحال أجمل ما يرى ثم ماذا حصل؟ ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً﴾ فماذا بعد ذلك الأمر؟ ﴿فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس﴾ فانتهى أمرها.

وفائدة وإيحاء الفاء العاطفة وأثرها في المعنى المفيد للتعقيب بدون مهلة لا يخفى.

٢ ـ قوله تعالى:

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلنه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرِّياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾ [٢].

هذا تشبيه آخر للحياة الدنيا،حيث شبهت في سرعة زوالها ذا النبات الذي ي ل عليه الماء من السماء،ولكنه بعد خضرته و جته يصبح هشيما تذروه الرياح فلا تبقي له أثرا.

قال الزمخشري:

((شبه حال الدنيا في نضر ا و جتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء، بحال النبات يكون أخضر وارقًا، ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن))[٣].

---

(1) البحر المحيط ١١٤/٥، لأبي حيان ـ دار الفكر ـ بيروت، ط٢.

(2) سورة الكهف آية: ٤٥، والهشيم ما شم وتحطم.

(3) ينظر: ((الكشاف)) جـ ٦٩٧/٢.

فالدنيا في أولها في غاية الحسن والنضارة، ثم تتزايد قليلاً قليلاً، ثم يبدأ الكمال في النقص حتى تنتهي بالهلاك والفناء.

والباء في قوله ((به)) فيها وجهان:

١ ـ فاختلط بعض أنواع النبات بسائر الأنواع الأخرى بسبب هذا الماء.

٢ ـ فاختلط ذلك الماء بالنبات واختلط ذلك النبات بالماء حتى روي.

فالآية الكريمة تضمنت صورة رائعة مؤثرة، نزول ماء من السماء غزير ـ والماء أساس الحياة قال الله ـ تعالى ـ ﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيء حي﴾ [(١)] ـ ثم تتشرب الأرض هذا الماء، ثم ينتهي العرض بصورة رياح تذروا ذلك النبات الصائر إلى حطام عبر أدراجها.

صور مطابقة لهدفها ... وهنا روعة التوافق بين التصوير والهدف، فالهدف إعطاء فكرة عن سرعة مرور زمن الحياة الدنيا فقد أعطانا بداية الحياة على شكل ماء من السماء و ايتها على شكل رياح تذروا ما أخرج الماء من زروع وثمار، وذلك ليدل على سرعة مرور الزمن، ولم يفصل ـ سبحانه ـ كيفية خروج النبات وأنواعه فهذه اللمحة السريعة للحياة هي نفس النتيجة التي يستنتجها الإنسان عند ﺎية عمره يرى أن العمر مر سريعا كلمح البصر.

((والكاف في الآية هذه بمعنى مثل))[(٢)].

فالواجب على كل مسلم أن يتدارك مافات من عمره لكسب الأعمال الصالحة التي ينال ﺎ رحمة ربه ومرضاته، وأن يغتنم بقاءه فيها لأ ﺎ زائلةٌ وسريعةٌ التلف.

٣ ـ قوله تعالى:

﴿اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّاً ثم يكون حُطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديد ومغفرةٌ من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور﴾ [(٣)].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(2) ينظر: أدوات التشبيه ودلالا ﺎ في القرآن الكريم د/ محمود موسى، مطبعة الأمانةط١ ، ١٤١٣هـ ـ ص١٥٩.

(3) سورة الحديد، آية: ٢٠.

هذا التشبيه فصل فيه كل من المشبه والمشبه به، وقد ذكر المشبه بأداة القصر، وأن ما يستهوي الناس في هذه الدنيا فيستغرق أعمارهم جميعها، ويشغلون به أنفسهم وأوقا م، وماذا يشغل أكثر الناس اليوم غير اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر.

أما المشبه به فهو ذلك النبات الذي أحياه الغيث، فأعجب الكفّار نباته ومن الممكن أن نفسر الكفّار هنا بالزراع لأ م يغطون البذور فيهيج ذلك النبات ثم تراه مصفرا ونلحظ دقةً في التعبير مع جمال في التصوير وذلك في كلمة ((الكفار)) وكذلك في الفعل المضارع ((يهيج)) ودلالته على التجدد واستحضار الصورة، وما تدل عليه أداة العطف ((ثم)) من التراخي وأنّ النتيجة لا مفر منها مهما امتد الوقت وطال الأمد.

قال الزمخشري في هذه الآية:

((أراد أن الدنيا ليست إلاّ محقرات من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأما الآخرة فما هي إلاّ أمور عظام، وهي: العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله. وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قله جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل وأُعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفّر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم، الكفار: الزراع))[1].

والصورة في الآية غيث يـ ل على أرض زراعية، فتنبت النباتات المختلفة ذات الألوان النضرة والأزهار الجميلة البراقة، فينبهر ا المعجبون بالزينة، فينصرفون للعب في تلك الرياض والتلذذ بمناظره حتى ينسوا أنفسهم عما كان يجب أن يعملوه في وقتهم ذلك وبعد فترة وهم يسبحون في بحار اللهو والغفلة إذ بذلك الزرع قد انتهى عمره وفني وقته وفقد أجمل صفات جماله، فأصبح هشيماً بعثرت الرياح فتاته وتطايرت أجزاؤه ...، فانتبهوا عند ما زال الزمن الذي يجب أن ينهوا أعمالهم الحقيقية فيه ... لقد جعلوا وقتهم لعبا ولهوا وزينةً وتفاخرا فهل ينفع الندم؟

وهذه هي الخسارة الكبرى نسأل الله العافية.

---

(1) الكشاف ٤/٤٦٦.

فالحياة الدنيا تختلف من إنسان إلى آخر ولكن الفاصل إما مؤمن أو كافر، فالمؤمن يجعلها محطة التزود للآخرة فيعمل صالحاً من تعلم العلم النافع والطاعات الأخرى وما عند الكافر فهي فرصة لابد من اغتنامها في الاستمتاع وافراغ الشهوات، وجمع المال للعب واللهو....

فالأعمال إذا لم يقصد ا وجه الله فهي لهو ولعب وزينة وتفاخر.

هذه ثلاث آيات في كتاب الله ـ الكريم ـ تحدث عن الدنيا وقد يظن ظان أ ا تكرر لنفس المعنى، ولكن عند التأمل نجد أ ا على النحو التالي:

إن كل مثَلٍ من هذه التشبيهات تناول جانبا مستقلاً من جوانب الحياة ففي التشبيه الأول ((في الآية الأولى)) يتناول المرحلة النهائية من الحياة الدنيا، قبيل دمار الأرض وما عليها، فبين لنا ـ سبحانه ـ أ ا ستكون على الناس ـ أي القيامة ـ وهم على الكفر، فقوله: ﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ من دلالة أن القائل كافر لأن المؤمن لا يظن ظناً مثل هذا بل هو عاجز لا يستطيع فعل شيء في الكون ومؤمن أن المقتدر على ذلك والقادر هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وقوله: ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا﴾ دليل على أن الساعة ستأتي بغتة والناس مشغولون غافلون عنها، وقد يكون ـ والله تعالى أعلم ـ في هذا دليل على كروية الأرض لأن الساعة ستكون على الأرض في وقت واحد والناس على الأرض أما في ليلٍ أو ـار ويكون هذا من الإعجاز العلمي في القرآن والله أعلم.

أما الآية الثانية:

فنلاحظ أنه ـ سبحانه ـ ذكر بداية الحياة الدنيا، و ايتها مباشرةً دون ذكرٍ للتفاصيل إشارة إلى قصر زمنها وسرعة زواله مقارنة بالحياة الآخرة.

وحدث على طلب الآخرة الباقية والزهد في الدنيا الفانية.

والمثل الثالث يصور لنا أعمال الكفّار في الحياة الدنيا، إ ا لعب ولهو ... وأن ما فيها زينة، فيركضون وراءها للتفاخر في الأموال والأنساب والتكاثر في الأولاد.

ونسوا أن هناك يوماً أخر سيفرق فيه بين الخلق، إما إلى جنة أو إلى نار ﴿وفي الآخرة عذابٌ شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور﴾.

فجعلها متاع غرور.

في تشبيهاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للدنيا جاءت مفردة وتمثيلية أما تشبيهات القرآن عن الحياة الدنيا فقد جاءت تمثيلية.

والأحاديث تحدثت عن الدنيا بأ ا متاع، حقيقتها وكنهها كأي متاع إن أريد به خيرا نفع وإن أريد به غير ذلك فهي متاع الغرور، وخير متاعها المرأة الصالحة لأ ا معينة على الخير.

وأن المؤمن فيها كالمسجون منفذ لأوامر ربه مطيع له بخلاف الكافر.

واتفقت التشبيهات في الحديث والقرآن في الحديث عن قصر مد ا مقارنةً بالآخرة وقلة نعيمها.

خلاصة الحديث عن الدنيا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

من خلال ما اطلعت عليه من مراجع في هذا البحث لاحظت أن التشبيهات النبوية في غاية الإبداع في أي موضوع تناولته وأن القصد منها تفهيم الناس حقائق الدين على حسب عقولهم ومداركهم، وبما يجسد الحقائق النظرية والفكرية بصورة من الحياة الواقعية المحسوسة، فتكون أقرب للفهم والعقل.

أما أمثال القرآن فهي بحاجة إلى إعمال فكر وتدبر عميق فكما سبق أن الحديث مبدع فالقرآن معجز، وقد بين سبحانه ما تتضمنه تلك الأمثال وما تحتاجه من فكر وروية وجهد وأ ا لا تفهم من أول وهلة ولأي شخص قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون﴾ (١).

وبين ـ سبحانه ـ الغرض من تلك الأمثال فقال:

﴿وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلهم يتفكرون﴾ (٢).

وقال: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (٣).

---

(1) سورة العنكبوت آية: ٤٣.

(2) سورة الحشر آية: ٢١.

(3) سورة الزمر آية: ٢٧.

فأمثال القرآن أمثال تشريع، بينما أمثال رسول الله هي أمثال بيان وغالباً ما يأتي بتفصيلها معها، فلا تحتاج إلى شرح عميق ولا داعي لتكرار الأحاديث المبينة لذلك لأ ا تعرضت للتحليل في هذه الدراسة.

بعد أن عرفنا حقيقة الدنيا في كلام الله ـ عز وجل ـ وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وإن الغافل المنشغل ا والمغرم ا أكثرهم من المنافقين والكافرين ننتقل إلى ذكر الصور المتعلقة م في الحديث ثم في القرآن الكريم وما الجوانب التي تناولتها تلك الصور في الحديث عنهم.

ب ـ المنافقون:

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((... ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر))[1].

هذا الحديث العظيم يبين فيه عليه الصلاة والسلام الأثر الذي يضيفه القرآن على قارئه فالحديث تشبيهات تمثيلية وجه الشبه منتزع من متعدد طعم وريح. فالأعمال ثمار النفوس والثمار نتاج الأشجار على حسب نوعها.

فهنا يشبه المصطفى عليه الصلاة والسلام المنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة وعلل وجه الشبه بكون ريحها طيب وهو اثر القرآن وطعمها مر وهو حقيقة النفاق لخلو قلبه من حلاوة الإيمان فإظهار قراءة القرآن أكسبه الريح الطيبة.

أما المنافق الذي لا يقرأ القرآن فهو كالحنظلة لا ريح لها وطعمها مر.

فالحديث يبين الأثر الذي يحدثه القرآن في المنافق.

فهذه الصورة المحسوسة الهدف منها التقريب للأفهام فكل طرف من الأطراف تضمن صنفين مختلفين عن غيره من ناحية الطعم والريح. فكان التشبيه ذه الثمار أبلغ صورة لبيان أصناف الناس في تعاملهم مع القرآن الكريم.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ٨٣/٦ ـ ٨٤.

وقد ضرب ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلاً للمنافق يبين فيه تردده في دينه وعدم استقراره، فعن ابن عمر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة)) وفي رواية: ((تكر في هذه مرةً وفي هذه مرةً))[١].

فهنا يصور عليه الصلاة والسلام بالشاة العائرة في تردده وحيرته فهو يظهر الإيمان ويبطن الكفر كما قال عنه ـ عز وجل ـ :﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾ [٢].

فاختيار الشاة للمشبه إشارة إلى تحقيره والتنفير منه وفي ذلك دليل على تعرضه للمخاطر.

لقد تحدث القرآن الكريم عن المنافقين فأنزل ـ سبحانه ـ سورة التوبة لتبين حقيقتهم وكذلك سورة المنافقين، وقد فضح الله هذه الزمرة؛ لأ ا من أخطر الزمر الإنسانية، على أنفسها وعلى غيرها فهي ضالة مضلّة تنشر الدمار والفساد مبطنا لا زمن ولا مكان لهم.

قال تعالى ـ بعد أن ذكر عددا من أوصافهم ـ: ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا فلّما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون﴾ [٣].

هذه الآية هي أول مثل في القرآن الكريم.

فنشرح المثل ـ والله أعلم ـ أن المنافقين لمّا أظهروا الإسلام فقد حقنت دماؤهم وسلمت أموالهم من الغنيمة وأولادهم من السبي وأخذوا من غنائم الجهاد والزكاة فكان ذلك من نور الإيمان.

فحالهم كحال الذي اسوقد نارا، فانتفع بضوئها قليلاً، ثم سلب منه ذلك النور فدامت حيرته وحسرته على ما فاته من ذلك النور، فكان يسير انتفاعهم في الدنيا من تلك

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٨/١٧، والعائرة المترددة الحائرة.

(2) سورة البقرة، آية: ١٤.

(3) سورة البقرة، آية: ١٧.

المميزات التي حصلت بإظهار الإسلام يشبه ذلك النور، وما سيلقون في الآخرة يشبه الظلمة التي غشيت صاحب النار بعد انطفائها.

وقد يكون المقصود بالآية:

مثالهم في نفاقهم وحالتهم العجيبة، كحال شخص أوقد نارا ليستدفئ ا ويستضيء، فاشتعلت ثم انطفأت فجأة. وتركته في ظلام دامس وخوف شديد، وعدم هداية...

فكذلك حال هؤلاء المنافقين في استبدالهم الضلالة بدل الهدى واستحبا م الغي على الرشد فكانوا مضرب المثل في الغي والضلالة والعمى.

((وروي عن سعيد بن جبير أ ا نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج الرسول، واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به، فكان انتظارهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كإيقاد النار، وكفرهم به بعد خروجه كزوال ذلك النور))[1]. قال ابن كثير: ((وفي هذا المثل دلالة على أ م آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى في قوله: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ والتشبيه هاهنا في غاية الصحة لأن المنافقين لما آمنوا بادئ ذي بدء اكتسبوا نورا ثم أبطلوا ذلك النفاق فوقعوا في حيرة عظيمة فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين))[2].

بعد أن ذكر سبحانه حالهم كحال المستوقد نارا ثنى بضرب مثلٍ آخر وعطف، الكلام بحرف العطف ((أو)) الدال على التخيير فقال:

﴿أو كصيب من السَّماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في ءاذانهم من الصَّواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير﴾[3].

---

(1) ينظر: التصوير والرمزية في الأمثال القرآنية: ص٥٢.

(2) ينظر: تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير للرفاعي ١/٣٠.

(3) سورة البقرة، آية: ١٩، ٢٠.

هذا تشبيه تمثيلي آخر ليكون كشفًا لحالهم وأيضاحا لحقيقتهم، فقد بدأت السورة بذكر صفات المؤمنين ثم صفات الكافرين وكان الكلام موجزا عن كل منهم ثم تناولت السورة صفات المنافقين، واسهب سبحانه في ذكر صفا م وضرب لنا الأمثال لحالهم - واستنتج والله أعلم - أن نسبة وجود كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة هي تلك النسبة من ذكر صفا ا في هذه السورة، فالمؤمنون قلة والكافرون قلة والمنافقون هم أكثر تلك الأصناف، وقد يكون الحديث عن المنافقين مفصلاً لبيان شدة خطرهم فالصفات المذكورة لهم تحدد هويتهم.

فأتى سبحانه ذا المثل عقب المثل الأول مباشرةً زيادة في الإيضاح والتجلية.

وهناك سؤال يطرح نفسه، وهو أن ((أو)) تفيد التخيير فهل المثلان يؤديان نفس المعنى وأن المثل الثاني عبارة عن تكرار للمثل الأول أم أن لكل مثل خاصية تميزه عن الآخر؟

قال الجماس:

((وبما أن حرف العطف ((أو)) يفيد الإضراب أيضا، أي يأتي بمعنى بل أحيانا ...، كأنه يقول: إن مثل هؤلاء الفرق كذا وكذا بل هناك ما هو أعظم من ذلك فإن مثلهم كذا وكذا...))[1].

وسأكتفي في تفسير الآية بلاغيا بما ذكره الزمخشري قال:

((شبه دين الإسلام بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر. وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات. وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق. وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق، والمعنى: أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذ م السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا...... لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حير م وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طُفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق....))[2].

---

(1) ينظر التصوير والرمزية ص٥٥، ٥٦.

(2) ينظر: الكشاف ٨٦/١، ٨٧.

وابن كثير يقول في هذه الآية: ((وهذا مثل آخر ضربه الله لنوع آخر من المنافقين، وهم قوم يظهر الحق لهم تارةً ويشكّون به تارةً أُخرى، فقلو م في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب المطر نزل في حال ((ظلمات)) وهي الشكوك والكفر والنفاق ((ورعد)) وهي ما يزعج القلوب من الخوف، فإنّ من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع، كما قال تعالى: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾، و((البرق)) هو ما يلمع في قلوب هذا النوع من المنافقين أحيانا من نور الإيمان.ولهذا قال: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾ أي لا ينفع حذرهم شيئًا لأن الله محيط م بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته ثم قال: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ أي لشدته وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثبا ا للإيمان، وعن ابن عباس يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين، ﴿فكلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ يقول ابن عباس: أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي متحيرين وكذا روي عن الصحابة، وهو أظهر وأصح ما قيل في هذه الآية، وهكذا يكونون يوم القيامة، عندما يعطي الناس النور بحسب أيما م ..... ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخلّص من المنافقين الذين قال تعالى فيهم : ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ [1]...))[2].

وقيل في هذه الآية:

شبه الله أحوال المنافقين بما في الصيب من الظلمات والرعد والبرق والصواعق. وقيل: مثل الله ـ تعالى ـ القرآن بالصيب لما فيه من الإشكال عليهم، والعمى وهو الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد والبرق مثل لما يخوفون به.

فالآية تشبيه تمثيلي يظهر حالة المنافقين مع الشريعة الإسلامية.

---

(1) سورة الحديد، آية: ١٣.

(2) تيسير العلي القدير ٣١/١.

تشبيهات سورة البقرة في الحديث عن المنافقين كانت تشبيهات تمثيلية وجه الشبه منتزع من متعدد والأداة في التشبيهين الكاف وهي بمعنى مِثْل[1].

فالمثلان مختلفان،فالمثل الثاني يختلف جوهريا في أنه قد صنف الناس وفق أعمالهم الظاهرة واستجابتهم للحق عندما يكون الغيث هو الإسلام وانقسام الناس حوله إلى مؤمن به مصدق وكافر صد عنه وسد أذنيه فهو أعمى أصم أبكم ومنافق يسعى إلى تحقيق مصالحه من أي مصدر كان، والآية مثل مجمل للأصناف الثلاثة الذين تم ذكرهم في الآيات السابقة فقد كان الحديث عن المؤمنين في ثلاث آيات وعن الكافرين في آيتين وعن المنافقين في بقية الآيات السابقة للمثل.

أما المثل الثاني فتناول البواطن فكان التصنيف وفق عمى البصيرة أو رؤيتها للحق كما قال: ﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾ وهذه أوصاف قلو م والقلب وتصرفاته من البواطن والله أعلم بالصواب.

ذكر الله في المثل السابق أ م يخافون من الموت ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾، فقد بين سبحانه الحالة التي يكونون عليها إذا طلب منهم الجهاد في سبيل الله قال تعالى:

﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحّةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرًا﴾ [2].

((يعني قوما من المنافقين كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أمرهم بالقتال، وأن يستعدوا له نظروا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام شاخصة أبصارهم ومتغيرة ألوا م، فشبههم في شدة خوفهم من الحرب بالخائف من الموت وهو في حال السكرات.

---

(1) أدوات التشبيه في القرآن الكريم ١٥٤ ـ ١٥٥.

(2) سورة الأحزاب آية: ١٩.

((وهذا التشبيه أبلغ في وصف الخائف من جميع الأوصاف، وأوقع التشبيهات لمثل هذه الحال))[١].

كالذي يغشى عليه أي: ينظرون إليه نظرا يشبه نظر المغشي عليه تراه يقلبه هنا وهناك. فالكاف بمعنى شبه لأن التشبيه في صورة مشاهدة))[٢].

نعم صدق الله فهذا حال المنافقين في كل عصر ومصر. فالتشبيه أخرج لنا صورةً محسوسة لحال هؤلاء المنافقين إذا دعوا إلى القتال.

قال تعالى عنهم:

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشُب مسنّدة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾ [٣].

هذه الآية تصور لنا ما يقوم به المنافق من تستر يخفي به حقيقته فهم يتسترون بالإسلام ظاهرا ويبطنون الكفر والنفاق وخاصةً بعد أن قويت شوكة المسلمين.

فالإسلام كلامه جميل ومعتنقه ثيابه نظيفة وترديد بعض الألفاظ الإسلامية في المواقف والمناسبات لتقشع سحب الشك عنهم، واتخاذهم للإسلام ظاهرا كالخشب المزينة به الجدران القديمة المتهدمة لتستر عيوب ذلك البناء.

في كتب التفاسير ورد قوله: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ أي هيئا م ومناظـرهم، ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ يعني عبد الله بن أبي.

قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي وسيما جسيما صحيحا ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي مقالته، وقال: كانوا رجالاً أجمل شيء كأ م خشب مسندة إلى حائط، لا يسمعون ولا يعقلون أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام، وقيل شبههم بالخشب التي تآكلت، فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في باطنها. وقيل: مسندة أي أسندوا إلى الإيمان لحقن دمائهم.

فالمنافقون صورة جميلة تخفي في طيا ا حقيقة فاسدة وبشعة.

---

(1) الجمان في تشبيهات القرآن: ابن ناقيا، تحقيق الجويني ص١٨٣.

(2) أدوات التشبيه في القرآن، محمود موسى، ص١٤١.

(3) سورة المنافقون، آية: ٤.

يشبه الله تعالى المنافقين في جمال الصورة وعدم النفع ومخالفة الظاهر للباطن بالخشب المسندة التي لا ينتفع ا.

((وا يء بكلمة التشبيه (كأن) مؤكدة للتشبيه لما فيه من غرابة))[١].

رآينا ـ من خلال ما سبق ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر في التشبيه الأول حقيقة المنافق وكيف يستفيد من القرآن إذا قرأه، فإنه ـ أي المنافق ـ طعمه مر أي خبيث الداخل؛ ولكن قراءته للقرآن تكسبه الرائحة الطيبة بسبب القرآن فهو كالريحانة، فالرائحة الطيبة القرآن، والطعم المر ذلك النفاق، فهو طيب الظاهر بسبب قراءة القرآن مر الباطن بسبب ما ينطوي وما يكمن في داخله من نفاق.

أما المنافق الذي لا يقرأ القرآن فهو فاسد الظاهر والباطن كالحنظلة لا ريح لها وطعمها مر، فكانت هذه الصورة المحسوسة تجسيدا لأثر القرآن في سلوكيات وحياة المنافق، وقد ربط صلى الله عليه وسلم بين الطرفين بأداة التشبيه ((مثل)) والتشبيه تشبيه تمثيلي.

أما الحديث الثاني فبين فيه عليه الصلاة والسلام أضطراب المنافق وتردده وعدم ثباته بتلك الشاة الضائعة التائهة بين غنمين لا تدري لأيهما تتبع، فهي في حيرة، سريعة التغيير لقرارها.

وهذا تشبيه تمثيلي، إذن تشبيهات الرسول عليه الصلاة والسلام للمنافق تمثيلية في هذه الدراسة.

أما التشبيهات القرآنية بشأن المنافقين فهي أشد غموضا وتحتاج إلى تفكر وتدبر أكثر من تشبيهات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخاصة تشبيهات سورة البقرة والدليل على هذا كثرة التفسيرات للآيتين المتضمنتين للتشبيهين، كما مر أثناء التحليل.

فمثلا سورة البقرة بشأن المنافقين بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ حقيقة حالهم وما يعانونه بسبب ذلك النفاق، وأثر اختلاف الظاهر عن الباطن وما يعود به كل نوع عليهم، وهذان التشبيهان تمثيليان.

---

(1)أدوات التشبيه في القرآن الكريم.

أما تشبيه سورة الأحزاب فبين الله فيه الحالة الحسية والنفسية للمنافقين إذا طلب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم القتال والاستعداد للمعركة، فهو تشبيه لهم بمن يعاني سكرات الموت وغصصه، وهو تشبيه تمثيلي.

أما تشبيه سورة المنافقين فهو تشبيه للهيئة العامة والشكل الخارجي للمنافق فهم كالخشب المسندة التي لا فائدة فيها ولا يعلم ما بداخلها، وهو تشبيه تمثيلي.

جـ ـ الكافرون:

كان من ضمن الموضوعات التي تحدث عنها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ موضوع الكفر وأهله فكانت أحاديثه في صحيح مسلم كالآتي:

ـ عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال، فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال، فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلاّ كشعرة بيضاءَ في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض))[1].

في هذا الحديث تبشير لأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأ ا نصف أهل الجنة.

فهو يكشف بطريقة محسوسة عن قلة عدد المسلمين، وأوضح أ م ظاهرون متميزون وسط هذا الغثاء من الناس، فالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض لا شك في كو ا ظاهرة واضحة ملفتة للنظر.

فهذه صورة تمثيلية وضح فيها صلى الله عليه وسلم النسبة بين المسلمين والكفار في الكثرة يوم القيامة فالكافرون كالشعر الأسود في ثور أسود فهم أكثر، وهذا تشبيه ـ في نظري ـ تمثيلي الغرض منه بيان المقدار.

ـ أما في حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن حلاوة الإيمان فقد جعل العودة إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كالقذف في النار، فعن أنس بن مالك عن النبي ـ صلى الله عليه

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٥/٣ ـ ٩٦ ـ والشك من الراوي.

وسلم ـ : ((ثلاث من كن فيه وجد ن حلاوة الإيمان... وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار))[1].

فالتشبيه كراهة العودة في الكفر وما فيه من الضلال والطغيان والظلام بعد أن من الله عليه بالإيمان وما فيه من الطمأنينة والراحة، تشبيه هذا الموقف بكراهة القذف في النار، فالكفر نار، والعودة إليه واختياره كمن يختار ويوافق على القذف في النار، والأداة مذكورة وهي الكاف، فلن يذق المؤمن حلاوة الإيمان إلا إذا جعل حب الكفر والعودة إليه كحب القذف في النار.

ـ عن ابن عمر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحد))[2].

هذا الحديث ورد في كتاب الأشربة، فالكافر يأكل في معي كأ ا سبعة أمعاء لكثرة ما يأكل، وقد مر أثناء التحليل لهذا الحديث آراء العلماء في معنى هذا الحديث فقد يكون من باب التشبيه والغرض منه بيان المشبه وقد يكون ذلك من باب الحقيقة، فالصورة تتحدث هنا عن كثرة أكل الكافر بخلاف المؤمن.

وفي هذا الحديث تصوير لبشاعة أكل الكافر وشربه وذكر للمؤمن المقتصد في أكله وشربه الذي خالطته بركة الله.

ـ أما حال الكافر يوم القيامة فقد وضح عليه الصلاة والسلام جانبا منها عندما كان يتحدث عن الكافر في نار جهنم فقد قال: ((ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث))[3].

في هذا الحديث الشريف يقرب لنا صلى الله عليه وسلم صورة الكافر يوم القيامة، فبين لنا أن حجمه قد تغير فضرسه مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث، فجبل أحد من أعظم جبال المدينة لذلك مثل به.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٢.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣/١٤ ـ ٢٤.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨٦/١٧.

فهذه صورة مخيفة للكافر فكل عضو منه قد زاد ملايين المرات، فهو تشبيه مفزع مخيف. كبر في الجسم لزيادة العذاب، والجلد الرقيق الذي لا يبلغ ملم يكون مسيرة ثلاث ومع ذلك الغلظ يتم تبديله كما قـال تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها﴾ (1).

فهذه أربعة أحاديث تناولت جوانب مختلفة حول الكفر والكافرين، أما القرآن الكريم فكان حديثه عنهم من خلال الصور التشبيهية التالية:

قال تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداًءً صمٌ بكمٌ عمى فهم لا يعقلون﴾ (2).

جاء هذا المثل بعد ذكر عدد من صفات الكافرين من الإعراض عن اتباع ما جاء من عند الله على لسان رسوله، وقد ذكر المفسرون عدة تفسيرات لهذه الآية وبيان التشبيه فيها من ذلك: أن المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق، وتقدير التشبيه. ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه لا ينتفع بنعيقه بشيء غير أنه في عناء، وكذلك الكافر ليس له من دعائه آلهته وعبادته لهم إلاّ العناء، وقيل: أن المثل مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق على حذف أي مثل داعي الكافرين إلى الإيمان في ا م لا يسمعون من الدعاء إلاّ جرس النغمة ودوي الصوت، من غير القاء أذهان ولا استبصار، كمثل الناعق بالبهائم، التي لا تسمع إلاّ دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت ا وزجر لها))(3).

هذا هو التشبيه وهو تشبيه تمثيلي أيد فيه ـ سبحانه ـ حالهم هذه بالصفات المساعدة في تقوية التشبيه ﴿صم بكم عمىٌ فهم لا يعقلون﴾.

فبهذه الصفة شا وا الأنعام التي تفقد العقل والكلام.

---

(1) سورة النساء، آية: ٥٦.

(2) سورة البقرة، آية: ١٧١.

(3) ينظر: البحر المحيط ٤٨١/١ وما بعدها، والكشاف ٢١٢/١.

فالآية قبل التشبيه تبين حالهم في اتباع ما وجدوا عليه آباءهم وترك ما أنزل الله، فالتابع والمتبوع من الكفرة في ضلال مبين، وسيكونون في جهنم جميعا ويتبرأ كل واحد من الآخر.

قال تعالى: ﴿إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب* وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرةً فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا﴾ (١).

ومثال الكافرين في حال اتباعهم لآلهتهم فرعونُ وقومه فهي صورة لهذه المعاني التي اتصفوا بها ﴿ويقدم قومه يوما القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ (٢).

والمثل يدعو إلى استخدام المؤمن لحواسه جميعا ليتعرف على خالقه ليثبت إيمانه ثم يحكم عقله لتتحقق فيه إنسانته، فينعم بسعادة الدارين.

فالكافر أعمى لا يبصر الحق وأصم لا يسمع الحق وأبكم لا ينطق فإذا اجتمعت هذه الصفات في شخص فقد ترتب على ذلك ذهاب عقله فهو لا يعقل فكيف يكون قائدا ومرشدا وقدوةً وهو محاصر بهذه الصفات المؤهلة لالتحاقه بجنس الحيوانات، فالمؤمن عاقل والكافر لا عقل له.

أما المصير الذي ينتظر ما أنفق الكافر وماذا سيحدث لتلك النفقات، هل تنفعهم؟ يقول الله ـ تعالى ـ في ذلك: ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ (٣).

السبب الأول والأخير في عدم قبول نفقات الكافرين كفرهم بالله ورسوله، وقد ذكر سبحانه السبب في عدم قبولها قال تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يتقبل منكم إنكم كنتم فاسقين وما منعهم أن تقبل نفقاتهم إلاّ أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ (٤).

---

(1) سورة البقرة، آية: ١٦٥، ١٦٦.

(2) سورة هود، آية: ٩٨.

(3) سورة آل عمران، الآية: ١١٧.

(4) سورة التوبة، آية: ٥٢.

والكافر ينفق ماله رئاء الناس، أو ليصد عن سبيل الله، فنيته سيئة، لأن من لا يؤمن بالآخرة فإن الهدف من نفقاته أمور دنيويةٌ بحتة.

ومعنى التشبيه في هذه الآية أن نفقة الكافرين في بطلا ا، وذها ا وعدم منفعتها كمثل زرع أصابته ريح باردة أو نار فأحرقته فأهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء بعد ما كانوا يرجون فائدته ونفعه، وظلمهم لأنفسهم كان بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، وقيل: ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير وقت الزراعة أو غير موضع زراعة.

والصر البرد الشديد، أو السموم الحار وجميعها مهلك.

فالنية كالأرض إن كانت طيبة نال صاحبها خيرا ونفعاً كثيرا في الدنيا والآخرة وإن كانت خبيثةً فالخسارة والبطلان والفساد وعدم النفع، فالأعمال بالنيات.

والإنفاق يشمل أنواعا عدة من الإنفاق المالي والفكري والزمني، قال تعالى: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ [١].

لأن الله ـ سبحانه ـ قد خصص في آيات كثيرة الإنفاق بالمال ،قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ...﴾ [٢].

الله ـ سبحانه وتعالى ـ من على خلقه من الإنس والجن بنعمٍ كثيرة، ومن بين هذه النعم نعم الحواس السمع والبصر والبصيرة والعقل، فأمرهم الله ـ سبحانه ـ باستخدام تلك الحواس الاستخدام الصحيح المؤدي إلى معرفة الله تعالى وتوظيفها في طاعته، ولكن الكافر لم يعمل على الاستفادة من هذه الحواس كما أخبر الله عنه في الآيتين الكريمتين:

قال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرًا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أوليك كالأنعام بل هم أضل أوليك هم الغافلون﴾ [٣].

---

(1) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(2) سورة البقرة، آية: ٢٦٢.

(3) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

وقال: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [(١)].

في الآيتين وصف للكافرين وأ م لا يستفيدون من حواسهم ولو كانت موجودة يراها الناس، فهم لا يبصرون بعيو م ولا يعقلون بقلو م، فجعلهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بم لة من لا يسمع ولا يعقل))[(٢)].

فشبههم الله ـ سبحانه ـ في عدم النظر والاعتبار لعدم العقل في المشبه به تحقيقًا في المشبه ت يلاً بالأنعام.

والأداة في الآيتين الكاف ومن خصائصها الربط في صفة معنوية[(٣)].

قوله ﴿بل هم أضل﴾ لأن الأنعام إذا علمت أن في الأمر ضرر تركته بخلافهم، فهم يعلمون أن ما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق ثم يعاند ويكفر، فيقدم على النار فهم يسمعون كلام الله ولكن قلو م في غفلة فسماعهم كسماع الأنعام كما سبق في قوله تعالى: ﴿كمثل الذى ينعق بما لا يسمع...﴾ وقد ذكرهم سبحانه في قوله: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ ((فهو تشبيه مثل الذي سبق)).

سبق وأن ذكرنا نفقات الكافرين وأ ا مثل ريح أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، أما يوم القيامة فكيف تكون أعمال اولئك الكافرين؟.

يخبرنا الله ـ سبحانه ـ عنها في قوله: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شىء، ذلك هو الضلال البعيد﴾ [(٤)].

---

(1) سورة الفرقان، آية: ٤٤.

(2) ينظر: الجمان في تشبيهات القرآن ص٩٦، ٩٧.

(3) أدوات التشبيه في القرآن الكريم ص: ١٦٨.

(4) سورة إبراهيم، آية: ١٨.

((...يوم عاصف أي شديد الريح، وعصفت الريح اشتدت ... فبين الله أن أعمال الذين كفروا في ذها ا وإحباطها، كرماد ذهبت به الرياح يوم عصفها))[١].والتشبيه تشبيه تمثيلي.

والآية الكريمة متضمنة صورتين أساسيتين ـ وفق ظاهرها ـ وهي:

١ ـ صورة حال الذين كفروا مع حقيقتهم كحال من هو أعمى أصم أبكم عاجز عن عمل شيء ينفعه في يوم عاصف مهلك نزل العذاب فيه على صورة ريحٍ عاتية، والتقدير ـ والله أعلم ـ مثل الذين كفروا في يوم عاصف كمثل من لا يقدر على شيء مما كسبوا.

٢ ـ صورة الأعمال وحقيقتها كالرماد في السواد، ثم بين وجهاً آخر وهو الخفّة في الوزن عندما قال: ﴿اشتدت به الريح في يومٍ عاصف﴾.

ونلحظ ما تدل عليه لفظة ((ريح)) من عذاب وإحراق ودمار.

فهذه أعمال الكافرين يوم القيامة في مهب الريح التي لا تبقي شيئاً، لأ م كفروا بالله ورسوله ولم تكن خالصةً لوجه الله فهي كالرماد في السواد وخفة الوزن والحقارة وعدم النفع كما قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا﴾[٢].

والكاف في التشبيه بمعنى مثل في الدلالة.

قال تعالى:

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ووجد الله عنده فوفّاه حسابه، والله سريع الحساب﴾ [٣].

إن الإنسان إذا كان بحاجة إلى شيء معين فإنه يتولّد لديه قوةٌ تدفعه إلى الحصول عليه. فالظمآن ـ مثلاً ـ يبحث عن الماء، وكلما ازداد ظمؤه ازدادت حاجته إليه، فيسعى في الحصول عليه ويدفع أي ثمن إنّ وجده، فالماء أهم عنصر لبقائه حياً، وقد يلاحظ في رحلته البحثية ظاهرة السراب التي نراها في الأراضي الصحراوية القفراء التي لا تنبت الزرع

---

(1)الجمان في تشبيهات القرآن ص: ١٣٠.

(2)سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(3)سورة النور، آية: ٣٩.

ولا تمسك الماء، نتيجة انكسار الضوء في طبقات الجو العليا باختلاف طبقات الجو الحارة والباردة فالسراب يراه الظمآن والمرتوي.

فالظمآن العالم بحقيقته لا يركض وراءه لأنه يعلم حقيقته ويعلم أن النتيجة من الركض وراءه زيادة العطش، أما الجاهل فإنه سيركض وراءه سواء كان عطشا أم مرتويا فيزيد ركضه فيزيد عطشه حتى يهلك، وقد يكون الضمير في قوله ﴿حتى إذا جاءه﴾ عائداً إلى الموت ـ والله أعلم ـ لأن الظمآن الذي يركض وراء السراب في أرض مقفرة لابد أن يهلك ويلحقه الموت والتقدير ((حتى إذا جاءه الموت)) عرف حقيقة ما كان يركض وراءه بأنه سراب ووهم لا حقيقة له.

فهذه الصورة هي واقع الذين كفروا وحقيقتهم، وحقيقة أعمالهم، فأعمالهم التي يبذلو ا في تحصيل أمور دنيوية ويسعون في تحقيقها كصورة الظمآن الذي يركض وراء سراب زائل، فهو جهد ضائع ولن تظهر له تلك الحقيقة إلا عند موته، فيعلم أن ما كان يسعى إليه في هذه الدنيا من مال أو منصب أو جاه كان سرابا.

أما القيعان فهي الحياة الدنيا لا تمسك ماءً ولا تنبت زرعاً فلا يبقى عليها شيء قال تعالى: ﴿كلُّ من عليها فانٍ، ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام﴾ [1].

فجري الكفار وراء تلك الزخارف والزين الدنيوية جري الظمآن وراء السراب تعب ايته لا شيء.

قال الزمخشري في هذه الآية:

((شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجي من عذابه، ثم تخيب في العاقبة أمله، ويلقى خلاف ما قدر، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء. فيأتيه فلا يجد مارجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق))[2].

---

(1) سورة الرحمن ، آية: ٢٦ ـ ٢٧.

(2) ينظر: الكشاف ٢٣٧/٣.

نعم هذه حال الكافر تعب في الحياة وخسارة في الآخـرة، كما قال تعالى عنـهم: ﴿عاملةٌ ناصبة﴾ [1].وقال كذلك: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أؤلئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقايه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ [2].

فالتشبيه هذا لأعمال الكافرين بالسراب في فوا ا وحضور ضررها والخيبة المنتهية بالهلاك الحسي والمعنوي.

أما أعمال الكافرين في التشبيه الثاني فهي في ظلمتها وسوادها وخلوها من نور الحق لكو ا باطلة بظلمات متراكمة من لجج البحر والأمواج والسحاب. قال تعالى: ﴿أو كظلمات في بحر لُجى يغشاه موجٌ من فوقه موج من فوقه سحابٌ ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له من نورًا فما له من نور﴾ [3].

يعني: ((أن أعمال الكافرين إن مثلت فمثلها كالسراب الذي ليس بشيء أو كهذه الظلمات التي وصف لأنه - تبارك وتعالى - لما وصف نوره الذي هو للمؤمنين، أعلم تعالى أن قلوب الكافرين وأعمالهم بم لة الظلمة))[4].

ونلحظ أنه سبحانه وصف نور الله بأبلغ وصف وأجمل سياق ثم هنا يقارن ويعكس لنا الصورة في حديثه عن الظلمة التي تعتبر حقيقة الكافر، فالليل والموج والسحاب مجتمعة لاشك أ ا أشد ظلمة، فالكافر وأعماله مثلها.

فهذا التشبيه جار على نسق التشبيه في أول السورة - الذي كان يدور حول نور الله - فالصورة مركبة بنفس الأسلوب ونفس الإيقاع فهناك قمة النور وأشده وهنا قمة الظلام وأحلكه وهناك في النهاية ﴿نور على نور﴾[5] وهنا ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾.

---

(1) سورة الغاشية، آية: ٣.

(2) سورة الكهف، آية: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

(3) سورة النور، آية: ٤٠.

(4) الجمان في تشبيهات القرآن ص١٧٢.

(5) سورة النور، آية: ٣٥.

كأن التشبيهات في سورة النور عن الكافرين وأعمالهم بذكر الأداة ((الكاف)) التي أتت في هاتين الآيتين بمعنى ((مثل))[1].

والتشبيه في موضوع أعمال الكافرين ورد معنا في سورة إبراهيم في قوله: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾، [إبراهيم ١٨]، وفي سورة النور قوله: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء........، أو كظلمات في بحر لجي﴾ [النور ٣٩، ٤٠]، فالتشبيهات لا تكرار فيها فالتشبيه في سورة إبراهيم يبين حال الذين كفروا وحقيقة أعمالهم يوم القيامة وأن مصيرها الفناء فتكون هباءً منثوراً.

أما تشبيه سورة النور فيحكي لنا حال الكافر وحقيقة عمله في الحياة الدنيا، فلا يعلم حقيقة عمله إلاّ عند الوفاة فيستيقن أن عمره قد انقضى خلف سراب، فالتشبيه الأول صورة لعمله يوم القيامة والثاني صورة لعمله عند سكرات الموت.

هذه حالهم بسبب إعراضهم عن ابتاع الدين الإسلامي وعن وعظ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، كما قال تعالى في بيان حالهم: ﴿فمالهم عن التذكرة معرضين، كأنّهم حمرٌ مستنفرة﴾ [2].

القسورة الأسد، وقيل الرماة الذين يصيدو ا.

ورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية قوله: ((أي فما بالهم معرضين عما وعظوا به من القرآن، وذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا قرأ عليهم ما جاء به الوحي نفروا منه وهربوا من سماعه وتباعدوا عن الإصغاء إليه فضرب الله تعالى لهم المثل ذا التشبيه فقال: ((كأ م حمر مستنفرة فرت من قسورة، وكما فرت الحمر من الرماة والأسد فكذلك فر كفار أهل مكة من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين تلا عليهم القرآن))[3].

---

(1) أدوات التشبيه /١٦٢.

(2) سورة المدثر، آيةك ٤٩، ٥٠.

(3) الجمان في تشبيهات القرآن ص: ٣٣١.

ونلاحظ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الجوانب التالية في حديثه عن الكافرين:

١ ـ مقدار الكافرين يوم القيامة ومقدار المسلمين.

٢ ـ كراهة العودة في الكفر بعد أن وفّقه الله للإسلام.

٣ ـ م الكافر وشراهته في الأكل.

٤ ـ بيان مقدار ضرس الكافر في جهنم ومدى غلظ جلده.

فهذه المعاني التي ذكرها صلى الله عليه وسلم تناولت الكفر والكافرين، الغرض منها التقريب للأفهام وبيان تلك الأحوال.

أما القرآن الكريم فتحدث عن الجوانب التالية حول الكفر وأهله متخذًا التشبيه التمثيلي طريقًا وحاديا لإيضاح المراد:

١ ـ الكافر في دعاء آلهته لا ينتفع بشيء ولا يحصد سوى العناء والتعب.

٢ ـ نفقات الكافرين فاسدة لا تفيد صاحبها كزرع أصابته ريح عاتية باردة أو حارة فأحرقته.

٣ ـ أن الكافر عطّل حواسه العقلية والبصرية والسمعية عن التأمل في مخلوقات الله الدالة على وحدانيته وإحياء الفطرة فشابه الأنعام.

٤ ـ أعمال الكافرين يوم القيامة هباءً منثورا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

٥ ـ الكافر يرى أن عمره مضى وأنه مخدوع بالدنيا، وأنه كان جاريا خلف سراب لا حقيقة له.

٦ ـ شدة نفور الكافر وكراهتة للحق عند سماعه.

د ـ القمر:

القمر آية من آيات الله ـ سبحانه ـ جعله علامة على وحدانيته ولمعرفة السنين والحساب، وجاء ذكره في الحديث في الكلام حول ليلة القدر وتحديد مكا ا من شهر

رمضان، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : ((تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: ((أيكُم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة))[1].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام القمر في أحد منازله بنصف جفنة في تقوسه وانحنائه إشارةً إلى أنّ ليلة القدر إنما تكون في آخر الشهر، والتشبيه تشبيه مفرد أما القرآن فقد وصف القمر في اية الشهر بقوله:﴿والقمر قدرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم﴾ [2].

فقد شبه سبحانه القمر في آخر الشهر بالعذق من التمر القديم المتعرج المنحني، فهي صورة تفصيلية لشكل القمر في اية الشهر حيث بلغ من الضعف وشدة الانحناء وقلّة الضوء ما بلغّ، والكاف هنا بمعنى ((شبه))[3].

فالآية والحديث جاء القمر فيهما لبيان حالته في اية الشهر، فصورة الحديث كانت سابقةً، فالقمر يمر بمرحلة مثل شق الجفنة ثم يكون بعد ذلك كالعرجون القديم.

والقمر في الآية الكريمة جاء في سياق الحديث عند قدرة الله ـ سبحانه ـ ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ والحديث كان لتحديد ليلة القدر متى كانت.

هـ ـ عيسى عليه السلام:

إن من أعظم النعم التي أنعم الله ا على عباده إرسال الرسل إليهم للدلالة على الخير والتحذير من الشرك. وكان من الموضوعات المشتركة بين الحديث والقرآن في الصورة التشبيهية موضوع الحديث عن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في سياق ذكر عدد من الأنبياء عليهم السلام.

فعن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((عرض علي الأنبياء ... ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود))[1].

---

(1) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/٨.

(2) سورة يس، آية: ٣٩، والعرجون الجزء الذي يكون فيه التمر.

(3) أدوات التشبيه في القرآن، ص: ١٧١.

والحديث يقرب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم صورة عيسى عليه السلام للصحابة - رضي الله عنهم - فيشبهه في الخلقة بعروة بن مسعود الثقفي المعروف للصحابة في الجاهلية والإسلام.

وهناك روايات أخرى تقرب لنا الصورة التي جمعت بين عيسى عليه السلام وعروة بن مسعود ففي رواية أخرى للإمام مسلم ((...عيسى أجعد مربوع))[٢].

والجَعد هنا للجسم دلالةً على اجتماعه واكتنازه وليس المقصود جعد الشعر لأن الرواية الأخرى توضح هذا ((ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبِطَ الرأس))[٣].

والمربوع الرجل بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائق ولا بالقصير الحقير.

فكان الحديث وصفًا لنبي الله عيسى عليه السلام وتقريب صورته بالنظر إلى عروة بن مسعود، وما بينهما من صفات متقاربة من توسط القامة وحمرة الجلد المشربة بالبياض وترسل شعر الرأس فاشتركا في الصفات الخَلقية، لأن بقية التشبيهات التي وردت في الحديث كانت كذلك وليس المراد الاشتراك في الناحية الروحية المعنوية والله أعلم.

أما عيسى عليه السلام فكيف كان في التشبيه القرآني؟

قال تعالى: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [٤].

هذه الآية مقارنة بين عبدين من عباد الله ورسولين عظيمين اتفقا في أشياء كثيرة.

فآدم أبو البشر خلقه الله من تراب ثم صار التراب طينا ثم صلصالاً كالفخار، ثم نفخ الله فيه من روحه فجرى الدم والحياة في جسده وأصبح مخلوقاً يسمع ويبصر ويأكل ويفكر ويتألم ويعقل...

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٣١، ٢٣٢.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٢٦.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٢٧.

(4) سورة آل عمران، آية: ٥٩.

ثم جعل الله نسله على شكل ماء مهين باتصال بين ذكر وأنثى ثم يمر ذلك المشيج بالأطوار المختلفة من علقة ثم مضغة ... حتى يصبح إنسانا كامل النمو فيخرج إلى الحياة الدنيا.

فكان هذا نظام التناسل منذ أبناء آدم، ذكر وأنثى. فلم يتعرض هذا النظام لخرق إطلاقًا فجاء خلق عيسى عليه السلام خارقًا لتلك العادة ابن من أم فقط، فخرق ذلك النظام الطبيعي مما أدى ذلك الخرق إلى أخذ عقول كثير من البشر فاتخذوا عيسى عليه السلام إلها، فنسوا أن آدم عليه السلام خلق قبلة من غير أب ولا أم بأمر من الله ((كن فيكون)).

فآدم عليه السلام خلق بكلمة ((كن)) على صورة إنسان، التراب خامة، وروح الله هي السر في ذلك ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [1].

فوجه الشبه بين آدم وعيسى عليهم السلام ما يلي:

١ ـ أ هما من عباد الله المرسلين المؤمنين.

٢ ـ أ هما مخلوقان من روح الله.

﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ...﴾ [2].

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾.

٣ ـ أن في خلقهما إعجاز إلهي وخرق للعادة وأن كلّ واحد منهما معجزة إلهية بطريقة غريبة.

((فالكاف أفادت مشا ة عيسى لآدم في خرق العادة عند الخلق))[3].

فالحديث وصف لعيسى عليه السلام في الصورة الخارجية وقوة الشبه بينه وبين عروة بن مسعود، والآية بيان أن عيسى مثل آدم في غرابة الخلق الخارق للعادة الداعي إلى توحيد الله والإيمان به، والتشبيهان مفردان حسيان.

---

(1) سورة الحجر، آية: ٢٨.

(2) سورة التحريم، آية: ١٢.

(3) أدوات التشبيه في القرآن/٥٤.

و- الصدقة:

الصدقة من أفضل الأعمال والعبادات التي يتقرب ا العبد إلى ربه طلبا لمرضاته وطمعاً في جنته، وقد رغب الدين الإسلامي فيها وجعل فضلها عظيماً.

وصحيح مسلم من أكبر الينابيع التي حوت أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذا الموضوع، والمهم في هذه الدراسة التركيز على الصورة التشبيهية في حديثه صلى الله عليه وسلم.

فمضاعفة صدقة العبد أمر على مستوى عالٍ من الاهتمام عند الله - عز وجل - فعن سعيد ين يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلاّ أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرةً فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله))[1].

هذا الحديث دليل على سعة رحمة الله بعباده المؤمنين فهو يعطي على العمل القليل الأجر العظيم، فالصدقة من المال الطيب إذا قُصد ا وجه الله أخذها سبحانه وتعالى بيمينه ورباها حتى تصبح مثل الجبل العظيم، تربية وعناية تفوق أي عناية، اهتمام وحرص كما يربي أحدكم فلّوه أو فصيله، تشبيه تمثيلي الغرض منه الترغيب في الصدقة وبيان حالها.

فالحديث يبين لنا فضل الله على عبده في اهتمامه سبحانه بصدقته من أخذ باليمين، وتربية حتى تكون مثل الجبل، وشدة في الاهتمام والعناية كعناية العربي بمهره أو قلوصه.

أما المتصدق والبخيل فما أثر الصدقة عليها؟ وما موقفهما من الصدقة؟

هذا ما وضحه صلى الله عليه وسلم في حديثه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليهما جنتان من حديد إذا هم المتصدق بصدقة اتسعت عليه حتى تعفي أثره، وإذا هم البخيل بصدقة تقلّصت عليه وانضمت يداه إلى تراقيه وانقبضت كل حلقة إلى صاحبتها)) قال:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٨/٧ ، ٩٩.

فسمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((فيجهد أن يوسعها فلا يستطيع))[١].

قيل في شرح هذا الحديث : ((ضرب المثل بهما لأن المنفق يستره الله تعالى بنفقته ويستر عوراته في الدنيا والآخرة كستر هذه الجنة لا بسها، والبخيل كمن لبس جنة إلى ثدييه فيبقى مكشوفًا بادي العورة مفتضحا في الدنيا والآخرة))[٢].والبخيل إذا هم بالصدقة لا تطاوعه نفسه على البذل فيبقى غير مكفر عنه الآثام فيكون معرضا للآفات في الدنيا والآخرة، فالتشبيه تمثيلي الغرض منه الحث على الصدقة وبيان أثرها على صاحبها.

الحكمة من الصدقة ((الزكاة)) تطهير نفس صاحبها وماله قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...﴾ [٣].

وقد جعلها سبحانه لفئات معينة في المجتمع كالفقراء والمساكين...الخ.

وبين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها لا تجوز لآله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((إنّ الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس...))[٤].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام الصدقة في تطهيرها لأموال الناس ونفوسهم بذلك الماء الناتج من غسل شيء كان متسخا، والغرض من التشبيه بيان العلة في تحريمها على آل محمد صلى الله عليه وسلم لكرامتهم.

وهذا تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه، فالصدقة كفعلٍ كالماء الذي يغسل الأوساخ والأدران والمتصدق به كالماء بعد الغسل اختلطت به الأوساخ.

ففيه حثٌ على الصدقة وتنفير من أخذها إلاّ في حالات الضرورة التي بينها العلماء وأيدتها الأدلة.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٩/٧ ، ١١٠، وفي رواية ((جبتان)).

(2) المصدر السابق ١٠٩/٧"الهامش" ، وعمدة القاري ٢٤٦/٧.

(3) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٧/٧ـ ١٨٠.

فتبين لنا مما سبق أنه لا يجوز استرجاعها لأ ا غسيل نفسه وماله، ويدخل في هذا الهبات فلو استرجعها فما الحالة التي هو فيها؟ يخبرنا صلى الله عليه وسلم عن حاله في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في كتاب الهبات، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله))[١].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام العائد في صدقته أو هبته بالكلب الذي يأكل حتى يشبع ثم يخرج ما أكل من جوفه ثم يعود يأكل قيأه، إ ا صورة بشعة تنفر منها النفوس السوية، فهذا التشبيه التمثيلي جاء للتحذير والتنفير من الرجوع في الصدقة أو الهبة مهما كانت الأحوال.

قال الإمام العيني بعد هذا الحديث:

((فالغرض من التشبيه تقبيح صورة ذلك الفعل: أي كما تقبح أن يقيء ثم يأكل كذلك يقبح أن يتصدق بشيء ثم يجره إلى نفسه بوجه من الوجوه))[٢].

ولا يجوز الرجوع في الصدقة أو الهبة إلاّ إذا كانت ((الهبة)) من والد لأحد من أولاده وإن سفل وخصه دون تسوية كما فعل والد النعمان بن بشر فإنه أرجعها صلى الله عليه وسلم ثم قال:

((لا يحل لأحد أن يعطي عطية فيرجع فيها إلاّ الوالد فيما يعطي ولده))[٣].

أما القرآن الكريم فهو الموجه الأول والحاث على فضائل الأعمال والترغيب فيها، وكان من ضمن الموضوعات التي حث عليها الصدقة قال تعالى مرغباً فيها: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ [٤].

---

(1) المصدر السابق ٦٣/١١ ـ ٦٤.

(2) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤٦/٧.

(3) ينظر: صحيح الترمذي ٣٠١/5.

(4) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

هذا مثل ضربه الله للصدقة التي توفرت فيها عدة شروط منها: أن تكون خالصة لوجه الله وبقصد التقرب إليه، وأن تكون لمن يستحقها، أي في الموضع المشروع المناسب. فالزراعة لا تكون في الصخور والبذور المزروعة يجب أن تكون صالحة للإنبات، وهذه الشروط هي المشار إليها بقوله: ﴿ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾.

فالمؤمن يبذل ماله ووقته في سبيل الله فيضاعف الله له أجر الإنفاق، ويبذل وقته فيهدي الله على يده أقواماً يكون أجرهم له بسبب دعوته إياهم.

فمثل تلك الأموال التي ينفقها المؤمن بنية صحيحة ابتغاء مرضاة الله وفي سبيله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة، فالله يضاعف تلك الصدقات ويربيها حتى تكون أعظم من الجبل.

فهذا تشبيه تمثيلي يحض على الإنفاق في سبيل الله وأن الجزاء مضاعف بغير حساب.

فالآية دلت على ثواب الصدقة المراد ا وجه الله البعيدة عن المهلكات التي تحبط تلك الأجور العظيمة التي حذّر الله منها في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله **رئاء** الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا، والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ (١).

فالآية الكريمة تحذر كل مؤمن ألاّ يغتر بإيمانه وأن يحافظ على أعماله الصالحة مما يفسدها من المن والأذى.

وهناك صورة أخرى، فصدقة الكافر المرائي وصدقة المؤمن التي تبعها المن والأذى فكل واحد من هؤلاء لا يقدر على شيء مما كسب، فكل واحد منهما لا ينبت زرعه شيئا فالمؤمن المنان قتل بذوره بعد زرعها، والكافر المرائي زرع في أرض صخرية لا تنبت شيئاً فعدم الإنبات وجه التماثل.

---

(1) سورة البقرة، آية: ٢٦٤.

فالنية مطية، تقود صاحبها إلى حيث يريد، فمن أراد الله أفلح ومن أراد غير ذلك خاب وخسر، ولمّا كانت صدقات المؤمن قابلة للزيادة والنمو ومضاعفة الأجر، وأ ا زرع طيب بين لنا سبحانه المرض المهلك لها ... إنه مرض المن والأذى.

فالمنفق الكافر المرائي مثله كصفوان ، الحجر الكبير الأملس، عليه تراب، فيظنه الظان أنه أرضا صالحة للزراعة، أرضا طيبة، فإذا أصابه الغيث ذهب ذلك التراب وبقي ذلك الحجر.

فالمن والأذى والرياء تكشف عن نية المنفق فتبطل صدقته في الآخرة كما يكشف الوابل عن الحجر المغطى بالتراب.

وهذا تشبيه تمثيلي الغرض منه بيان حال صدقات الكافرين وصدقات المؤمنين التي لحقها المن والأذى أما المؤمن الذي يطلب بصدقاته مرضاة الله فبينها الله - تعالى - من خلال التشبيه في قوله تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ (1).

بعد أن بين لنا سبحانه حال صدقات الكافرين المرائين وأ ا كمثل صفوان عليه تراب أصابه المطر فأظهر حقيقته فذهب التراب وبقي الحجر الأملس أراد أن يبين لنا الفرق بين تلك الصدقات وصدقات المؤمن الذي صلحت نيته، فهدفه من صدقته وإنفاق أمواله ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً لنفسه.

فالآية تصور لنا نمو الصدقات في قلب المؤمن وعند الله في الآخرة كنمو البذر الحي الجيد في تربة جيدة خصبة معرضة للأمطار.

فالمؤمنون كالجنة ذات الأشجار العالية المثمرة في أرض خصبة دائمة الأمطار، يستفيد الناس من ثمرها وأوراقها وجمالها ...الخ.

فالمؤمن إذا امتلأ قلبه بالإيمان عرف الخير لنفسه وحث الناس إليه وأعطى الناس المال والطعام والعلم طلبا لمرضاة الله فوجه الشبه في التشبيه التمثيلي العطاء المستمر.

---

(1) سورة البقرة، آية: ٢٦٥.

فالصدقة في الحديث النبوي وفي القرآن الكريم كانت على النحو التالي:

فالحديث النبوي تحدث عن الصدقة من خلال الجوانب التالية:

١ ـ تربية الله لصدقة العبد المؤمن الكائنة من كسب طيب، وكانت عن طريق التشبيه التمثيلي.

٢ ـ الحث على الصدقة وبيان أثرها على المنفق والبخيل، وكان التشبيه التمثيلي أسلوبه.

٣ ـ بيان العلة في تحريم الصدقة على آل محمد وأ ا أوساخ الناس، وكان التشبيه البليغ طريقها.

٤ ـ التنفير من الرجوع في الصدقة أو الهبة، وكان عن طريق التشبيه التمثيلي.

أما الصدقة في القرآن الكريم فعلى النحو التالي:

١ ـ مضاعفة الصدقة أضعافًا كثيرة، صورته التشبيه التمثيلي، الغرض منه الحث على الانفاق.

٢ ـ مهلكات الصدقات المن والأذى والرياء، وجاءت في صورة التشبيه التمثيلي، الغرض منه التحذير.

٣ ـ المنفق ابتغاء مرضاة الله يقوى إيمانه ويعم نفعه جميع الناس، وكان التشبيه التمثيلي بياناً لهذا المعنى.

مما سبق رأينا أن الحديث والقرآن اتفقا في ذكر مضاعفة الأجر، فالقرآن أستاذ للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المعاني مع اختلاف في طريقة عرضها بالأسلوب الذي يناسبها.

فبلاغته ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعلو بلاغة البشر((إذ أ ا فصاحة العاقل المكين الذي أرشده القرآن، وأفرغ عليه آلاف المعاني، وفتح أمامه أبواب الإقناع والسداد، فإذا تكلم فعن رصيد ضخم من التفكير الثاقب والمعرفة الغزيرة والدراية الكونية والتاريخية والفقهية مما بسطه محكم الذكر الحميد. ومن هنا كان تعبير رسول الله دسماً بمعناه مشرقًا

بلفظه، وتتابع المعاني وتسلسلها لدى البليغ المطبوع يجبر الألفاظ المنتقاه جبرا، ويسوقها مساقًا هادئًا كي تأخذ مكا ا دون نشاز ....

ولقد كانت معاني محمد في إرشادا ا ربانية، وكانت ألفاظه معرضا رائعا لمعانيه، وإذا كان القرآن استاذ معانيه فإن أثره عليه عظيم جليل))[1].

فالمعاني والأحكام ربانية مصاغة في قوالب محمدية فأثر القرآن الكريم واضح فيها﴿وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ﴾ [2].

المبحث الثاني: ((يوم القيامة وما بعده)):

يوم القيامة يوم عظيم يختل فيه نظام الكون قال تعالى عنه: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ...﴾ [3].

وقال سبحانه واصفًا شدة هول ذلك اليوم وقوة فزعه : ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلُّ ذات حمل حملها وترى الناس سُكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب شديد﴾ [4].

هذا اليوم الطويل يحكم الله فيه بين العباد، فإما فائز وأما خاسر، النتيجة بعده إما إلى جنة أو نار.

وقد دار التصوير لهذا اليوم في الاحاديث النبوية والآيات القرآنية بشكل كبير، وهذا الموضوع جدير بدراسة مستقلة، والذي يعيننا في هذه الدراسة هو المقارنة بين الجوانب التي تعرضت لها أحاديث صحيح مسلم من خلال الصورة التشبيهية ومدى علاقتها ببناء التشبيه ليوم القيامة في القـرآن ، وسيكون هـذا المبحث ـ بمشيئة الله ـ متناولاً عدة جوانب : يوم القيامة نفسه، الجنة، النار، ومدى علاقة هذه الصورة التشبيهية في الحديث الشريف بالقرآن الكريم.

---

(1) البيان النبوي ص٦٨، د/محمد رجب البيومي، دار الوفاء، ط١ ، ١٤٠٧هـ.

(2) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(3) سورة إبراهيم، آية: ٤٨.

(4) سورة الحج، آية: ٢.

أ/ يوم القيامة وما فيه من الأهوال:

إن وقت القيامة غيب من جملة الغيوب التي استأثر الله بعلمها، والحديث عن القيامة وأهوالها حديث يرقق القلوب ويدعو إلى العمل الجاد، والإكثار من العمل الخالص، والاستعداد لذلك اليوم.

وقد احتوى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على نصوص كثيرة تدور حول هذا اليوم العظيم، والإيمان ـذا اليوم ركن من أركان الإيمان، ومن كفر به فهو كافر بإجماع المسلمين.

وقد غيب الله أمرها،وجعل علامات ودلالات وأمارات على قر ا أُفردت لها دراسات مستقلة[١] بينت العلامات الصغرى والعلامات الكبرى مستندة على ما صح من الأدلة.

ودلّت النصوص من الكتاب والسنة على قرب ذلك اليوم، قال الله تعالى : ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [٢]، وقال: ﴿وما يدريك لعلّ السّاعة تكون قريباً﴾ [٣] فلا يعلم وقتها أحد من الخلق حتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين سئل عنها قال: ((ما المسئول عنها بأعلم من السائل)).

إنه يوم عظيم يختل فيه نظام الكون وسننه ونبدأ بالأرض في ذلك اليوم وكيف تكون.

ففي صحيح مسلم جاءت صورة الأرض يوم القيامة والحال التي تؤول إليها من خلال حديثين هما:

ـ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(1) منها مثلاً ((صحيح أشراط الساعة، تأليف /مصطفى أبو النصر الشبيلي. مجلد . مكتبة السوادي.

(2) سورة القمر، آية: ١.

(3) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد))[١].

يصف لنا عليه الصلاة والسلام الأرض التي يحشر الناس عليها يوم القيامة.

فقد شبة الأرض يوم القيامة بقرصة النقي بتلك الخبزة التي خالط بياضها حمرة، وكأن النار غيرت بياض وجه الأرض إلى الحمرة.

والغرض من التشبيه تقريب الصورة.

فالأرض تبدل غير الأرض وكذلك السموات فأين يكون الخلق يومئذ؟، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قوله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : ((على الصراط))[٢].

فهذه صورة بينت لنا لون أرض المحشر، بياض شابته حمرة ليس عليها آثار سكنى ولا بناء ولا شيء، ولا جبال ولا أ ار، إ ا أرض مستوية وصدق الله حيث يقول: ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا، فيذرها قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا﴾[٣].

ـ عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: ((تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدةً يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم جبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة))[٤].

فقد شبه صلى الله عليه وسلم الأرض حين تبدل يوم القيامة بخبزة المسافر يميلها من يد إلى يد حتى تستوي.

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي١٣٤/١٧ :((والعفراء: بيضاء إلى حمرة، النقي هو الدقيق الحوري، العلم: علامة السكنى أو بناء أو أثر. والقرصة: الخبزة.

(2)المصدر نفسه١٣٤/١٧.

(3)سورة طه آيات:١٠٥ ـ ١٠٧.

(4)صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٥/١٧٠، يكفؤها: يميلها، خبزة السفر: خبزة الملّة، والا ل: مايقدم للضيف والعسكر....

قال النووي شارحاً للحديث: ((إن الله تعالى يجعل الأرض كالظلمة والرغيف العظيم ويكون ذلك طعاما ونزلاً لأهل الجنة والله على كل شيء قدير))[١]

فهذان الحديثان بينا لنا الحال التي تكون عليها الأرض يوم القيامة فهي صورة واحدة، إ ا على هيئة واحدة ... إ ا خبزة واحدة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، لقد قلبت قلبا .. يقلبها الجبار تبارك وتعالى كما يقلب أحدنا خبز الملة.

إ ا أرض عفراء كالخبزة المصنوعة من الدقيق الأبيض الخالص، مستوية لا علامات ولا دلالات يهتدى ا.

((هناك على هذه الأرض يحشر الناس ...... وفيها من الوحشة مافيها، وفيها الغربة الحقيقية...

قربت هذه الصورة الحسية أمراغيبياً سيحصل لهذه الأرض وهو تغير معالمها....))[٢].

ومن الصور التي تعرضت لها أحاديث صحيح مسلم في وصف يوم القيامة الحديث عن الشمس في ذلك اليوم، فعن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ((تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، قال سليم بن عامر*: فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وإشار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده إلى فمه))[٣].

إن هذا الحديث العظيم يصور جانباً من أهوال يوم القيامة والحديث يمثل صورتين في غاية الشدة والعذاب، هما:

ـ صورة أهل المحشر وهم واقفون تحت الشمس التي اقتربت منهم.

ـ صورة أهل المحشر وهم يخوضون في تجمعات العرق.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٥/١٧ "الهامش".

(2) ينظر التصوير الفني في الحديث النبوي ص١١٥.

* أحد رواة الحديث.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٦/١٧.

فالشمس حرار ا قوية والعربي في الصحراء لا ينكر هذه الحقيقة بالرغم من بعدها عنا مسافات طويلة، فكيف يكون حال من كان تحتها وبينة وبينها ميل؟ إنه أمر مفزع ومخيف، ويزيد الحديث في إكمال تلك الصورة المخيفة فيجعل الناس يغمر بعضهم العرق ويصل في البعض الآخر إلى حقويه ومنهم إلى ركبتيه ومنهم إلى كعبيه.

فيكون قليل العرق كثير الأعمال الصالحة والعكس.

ففي الحديث دعوة للمؤمن أن يعد العدة لذلك الموقف الرهيب.

والحديث متضمن تشبيهاً مرسلاً في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((حتى تكون منهم كمقدار ميل)).

والغرض من التشبيه بيان مقدار قرب الشمس من الخلق يوم القيامة.

فهذا حال أهل الموقف ما عدا السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله نسأل الله من فضله.

وكان ليوم القيامة في القرآن الكريم نصيب كبير منه منذ بدايته حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، والذي يهمنا ـ هنا ـ هو ذكر الصورة التشبيهية لجوانب مختلفة من جوانب ذلك اليوم العظيم، أول تلك الجوانب هو ذكر سرعة وقوع ذلك اليوم الذي جعله سبحانه من الغيبيات قال تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾ (١).

أي أن ما غاب عن العباد في السموات والأرض فالله يختص بعلمه، وأن من جملة تلك الغيبيات أمر الساعة ووقت وقوعها، فبين سبحانه أنه إذا أراد أن تقع تقع وفي زمن قياسي شبهه بلمح البصر وهو ارتداد الطرف أو هو أقرب((أي أقرب وأسرع من ذلك الزمن الذي يستغرق رجوع البصر وقربه، فهو على كل شيء قدير وأن أمره بين الكاف والنون: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ وكما قال سبحانه: ﴿إنما قولنا لشيءٍ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (٢).

---

(1) سورة النحل، آية: ٧٧.

(2) سورة النحل، آية: ٤٠.

وهذا المعنى تمّت إعادته مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿ومآ أمرنا إلاّ واحدةٌ كلمح بالبصر﴾ [1].

قال الزمخشري: ((إلاّ كلمة واحدة سريعة التكوين، وقوله: ((كلمح بالبصر)) أراد قوله كن، يعني أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه)) [2].

*ومن مظاهر القيامة خروج الموتى من قبورهم قال تعالى:﴿خشعًا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر، مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ [3].

في هاتين الآيتين يبين الله ـ سبحانه ـ حالة خروج العباد من قبورهم متوجهين لأرض المحشر، صورة مخيفة أولها خشوع الأبصار وما فيه من الكناية عن الذلّة والخضوع ثم بين كثر م بأسلوب التشبيه حيث جعلهم كالجراد المنتشر، ومن عادة العرب التمثيل بالجراد في الكثرة والتموج، يقال في الجيش الكثير: جاؤوا كالجراد وكالدبا، والدبا الجراد قبل أن يطير.

فجعلهم الله ـ سبحانه ـ مثل الجراد في الكثرة والانتشار في كل مكان.

وقد وصفهم سبحانه في موضع آخر ووصف ما يعلوهم من ذلّة والحال التي يكونون فيها أثناء الذهاب إلى أرض المحشر قال تعالى:

﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ [4].

يشبه سبحانه خروجهم من قبورهم والذلة تعلو هيئا م بحال الكافرين في الدنيا عند ذها م إلى نصبهم المعبودة من دون الله، فهم يذهبون مسرعين نحوها. فهم مسرعون نحو الداعي يوم القيامة كإسراعهم إلى ما نصبوه في الدنيا واتخذوه آلهةً من دون الله.

---

(1) سورة القمر، آية: ٥٠.

(2) ينظر الكشاف ٤/٤٣٠.

(3) سورة القمر، آية: ٧، ٨.

(4) سورة المعارج، آية: ٤٣، ٤٤.

*ومن تلك المظاهر التي ذكرها سبحانه ليوم القيامة الجبال، فهل ستبقى كما هي عليه؟ أم تدك؟ أم تذهب؟ وإلى أين؟.

أسئلة يجيب عنها من هو عالم بكل شيء قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدةً وهى تمر مرَّ السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىءٍ إنّه خبير بما تفعلون﴾ [(١)].

جاء هذا التشبيه في سياق الحديث عن أهوال يوم القيامة فقد سبق بذكر الفزع الذي ينتاب أهل السموات والأرض.

أي أن الجبال تجمع فتسير كما تسير الريح السحاب، ووجه الشبه التطاير في الجو بسرعة متفاوتة وأحجام متباينة.

وقد ختم الله هذا المشهد الغيبي بذكر جزاء المحسن وجزاء المسيء في ذلك اليوم العظيم ﴿من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها وهم من فزع يومئذ ءامنون ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [(٢)].

إ ا بلاغة عظيمة معجزة بيانية، صورة متناسقة ربطت الدنيا وما فيها بالآخرة، انتهت بأسلوب الألتفات ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾.

قال الزمخشري في هذه الآيات:

((فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقائق[(٣)]))[(٤)].

وقال سبحانه في موضع أخر عن الجبال يوم القيامة:

﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ [(٥)].

---

(1)سورة النمل، آية: ٨٨.

(2)سورة النمل، آية: ٨٩، ٩٠.

(3)شقشق الفحل شقشقة، أي: هدر، شبه الخطيب بالفحل.

(4)تفسير "الكشاف" ٣/٣٧٤، ٣٧٥.

(5)سورة المعارج، آية: ٩، والعهن: الصوف المصبوغ ألواناً.

فجعلها سبحانه كالعهن وهو الصوف المصبوغ ألوانا مختلفة، فالجبال خفيفة الوزن يوم القيامة مع مراعاة الأحجام والألوان، فالتشبيه مرسلٌ مجمل.

وفي تشبيهها بالصوف الملون إشارة إلى ما ورد في وصف أنواع الجبال في قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفًا ألوانها ومن الجبال جدُدٌ بيض وحمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ (١).

وقد زاد سبحانه صفةً أخرى لذلك الصوف المصبوغ بكـونه منفوشاً قال تعـالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (٢).

فجعلها كالصوف الملون المتفرق الأجزاء، وهذا منظر مخيف لهذه الجبال العظيمة التي فقدت صفة الثبات فدكّت ونسفت وذهبت من أماكنها: ﴿وإذا الجبال سُيِّرت﴾ (٣).

وقال: ﴿إذا رُجت الأرض رجّا وبسَّت الجبالُ بسًا فكانت هباءً منبثاً﴾ (٤).

إ ا صورة في غاية الشدة والخوف من صور ذلك اليوم العظيم إ ا النهاية التي كتبها الله على جميع المخلوقات، ومن بينها هذه الجبال الشاهقة الممتدة التي تحتل جزءاً من رقعة هذه الأرض.

هذه هي الجبال العظيمة والأرض التي تحملها كأ ا لم تكن فيها ويوم عظيم ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبًا مهيلاً﴾ (٥)، فالأرض تزلزل وتزعزع والجبال أكواماً من التراب من شدة تلك الزلزلة، فما حال السماء في ذلك اليوم؟.

جاء الحديث عن السماء يوم القيامة بصورة التشبيه في القرآن الكريم كما يلي:

قال تعالى:

---

(1) سورة فاطر، آية: ٢٧، ٢٨.

(2) سورة القارعة،آية: ٥.

(3) سرة التكوير، آية: ٣.

(4) سورة الواقعة الآيات: ٤ ـ ٦.

(5) سورة المزمل، آية: ١٤.

﴿يوم نطوى السماء كطى السِّجلّ للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعدًا علينا إنّا كنا فاعلين﴾ [١].

ورد في التفاسير آراء في معنى كلمة ((السجل)) فقيل: الصحيفة، وقيل: ملَك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه، وقيل: اسم كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

فقد شبه سبحانه ما تتعرض له السماء من طي يوم القيامة بطي الكاتب لصحيفتة، والتشبيه لصورة الحركة أي طيا يشبه طي الكاتب صحائفه.

أما لون السماء يوم القيامة فقال سبحانه:

﴿وانشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ [٣].

يبين سبحانه في هذه الآية أمراً من أهوال يوم القيامة وهو انشقاق السماء وصيرور ا وردةً كالدهان، وانشقاق السماء يوم القيامة من الأمور التي تلفت النظر يوم القيامة قال تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ وقال: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [٤].

ومعنى وردة: حمراء، كالدهان: كدهن الزيت، وهو دردي الزيت[٥]، وقيل الدهان: الأديم الأحمر، فشبه سبحانه السماء يوم القيامة بدهن الزيت في الرخاوة وكالأديم الأحمر في اللون فهي متلونة مختلفة.

وقال سبحانه في تأييد هذا المعنى: ﴿يوم تكون السَّماء كالمهل﴾ [٦].

أي كدردي الزيت، وعن ابن مسعود: كالفضة المذابة في تلو ا.

*وكان من تلك المظاهر المخيفة لذلك اليوم العظيم منظر الناس على أرض المحشر وما يعلوهم من ذلة وضعف، قال تعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ [١] فقد شبههم سبحانه في انتشارهم وضعفهم بالفراش.

---

(1) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(2) ينظر: الكشاف ١٣٤/٣.

(3) سورة الرحمن، آية: ٣٧.

(4) سورة الإنشقاق، آية: ١، سورة الأنفطار، آية: ١.

(5) الكشاف٤٣٨/٤.

(6) سورة المعارج، آية: ٨.

هذه بعض الجوانب التي تناولتها الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة في ذكر يوم القيامة ووصفه من خلال الوصف التشبيهي.

بعد أن تم تحليل جميع الصور التشبيهية نلخص تلك الجوانب فيما يلي:

*تناول الحديث النبوي ثلاثة جوانب هي:

١ ـ كون الأرض يوم القيامة كقرصة النقي على سبيل التشبيه المرسل ا مل.

٢ ـ الأرض يوم القيامة خبزةٌ واحدة،صورة كانت على سبيل التشبيه المؤكد ا مل.

٣ ـ الشمس يوم القيامة وبيان مقدار قر ا عن طريق التشبيه المرسل ا مل.

*أما القرآن الكريم فكانت مظاهر القيامة المتعلقة بموضوعات الحديث ما يلي:

ـ يوم القيامة من حيث القرب والسرعة كلمح البصر، تشبيه مرسل مجمل.

ـ خروج الموتى من قبورهم كالجراد المنتشر، تشبيه مرسل مجمل.

ـ خروج الموتى سراعاً إلى أرض المحشر إجابةً للداعي كأ م إلى نصب يوفضون، تشبيه مرسل مفصل.

ـ الناس يوم القيامة كالفراش المبثوث، تشبيه مرسل مجمل.

ـ الجبال يوم القيامة في حركتها تمر مر السحاب، تشبيه مؤكد مجمل ((بليغ)).

ـ الجبال يوم القيامة في خفتها وتلو ا كالصوف الملون، تشبيه مرسل مجمل.

ـ الجبال يوم القيامة كالصوف الملون المنفوش، تشبيه مرسل مجمل.

ـ طي السماء يوم القيامة كطي السجل للكتب، تشبيه مصدري مرسل مجمل.

ـ السماء يوم القيامة وردة كالدهان، تشبيه مرسل مجمل.

ـ السماء يوم القيامة كالمهل، تشبيه مرسل مجمل.

ـ زمن يوم الحساب كألف سنة، تشبيه مرسل مجمل.

وقد كان التشبيه النبوي في وصف الأرض يوم القيامة متفقًا مع القرآن الكريم في وصف تلك الجوانب المخيفة من نسف الجبال وتطاير لها حتى صارت الأرض مستويةً استعداداً ليوم الحساب.

---

(1)سورة القارعة، آية: ٤.

كانت الجوانب المختلفة لذلك اليوم تكون صورة متكاملة جاءت مفرقةً في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إنه يوم مخيف شديد الفزع، وجب على كل نفس سوية أن تعود إلى كتاب الله وسنة نبيه، تنقب في ذلك المنجم العظيم، يحدوها الإيمان، جاعلةً طريق العلم جا لها، لتنعم بحلاوة الفوز يوم القيامة، إذ أنّ النعيم الأبدي في حياة سرمدية حاديا لكل عاقل يريد جنة الله، وينعم برضوانه، وقامعا لكل شبهة وشهوة تدعو إلى غضبة ـ سبحانه ـ ونيرانه.

ب / الجنة: ((دار الرحمة والنعيم للمؤمنين)):

الجنة دار المتقين، جعلها سبحانه مقر رحمته ورضوانه، أمنية العقلاء الذين أفنوا حيا م في سبيلها، قدموا لنيلها النفس والنفيس، من جهاد، وتضحية، وإنفاق، وصبر على المكاره،وطاعة متنوعة خالصة لله وفق ما شرع.

إ ا الجنة الأمل الكبير والأمنية العظمى، في سبيلها يذل كل صعب، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، حور عين، وفواكه مما يشتهون، حياة لا موت فيها، لا نصب ولا وصب، قال تعالى:

﴿إن المتقين في مقام أمين، في جناتٍ وعيون، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة ءامنين، لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم ، فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ (1).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد: إن لكم أن تحيوا، فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تشبوا، فلا رموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا، فلا تبأسوا أبدا))(٢). رواه مسلم.

---

(1) سورة الدخان آيات ٥١، ٥٧.

(2) انظر: رياض الصالحين ص٧٠٩ ـ ٧١٠.

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في وصف الجنة وبيان ما أعده الله لأوليائه الصالحين كثيرة جدا، وقد ألف العلماء كتبا مستقلة تبين نعيم الجنة ووصف أهلها [١].

وفي هذا المبحث يهمنا ما ورد من معان جاء التشبيه مبيناً لها في وصف الجنة وأهلها، ومقارنتها بما ورد من صورة تشبيهية في القرآن الكريم.

وقد جاء ذكر الجنة ووصف ما فيها في صحيح مسلم ست مرات جاءت المعاني فيها في ثوب التشبيه، وكانت وصفًا لأهل الجنة وأحوالهم.

الحديث الأول:

جاء التشبيه لبيان الحال التي تكون عليها وجوه أول زمرة من المؤمنين يدخلون الجنة وبيان مقدار تلك الإضاءة التي كست وجوههم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ((إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلو ن على أشد كوكب دري في السماء إضاءةً ....)) [٢].

ورد في بعض الروايات أ م السبعون ألفا[٣].

شبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجوه أول زمرة تنجو من المؤمنين وتدخل الجنة بالقمر ليلة البدر، في شدة الإضاءة والبياض، ثم شبه وجوه الزمرة الثانية التالية للأولى باضوأ نجم في السماء.

الغرض بيان مقدار البياض والإضاءة فيالمشبه،وفيه الحث والترغيب في العمل الصالح.

الحديث الثاني:

جاء التشبيه فيه لبيان وصف آخر أهل الجنة دخولاً، بعد أن كانوا في جهنم، ورد هذا الحديث لتصوير من يخرجون من النار برحمة الله تعالى، وقد جاء الحديث بألفاظ متقاربة وروايات متعددة.

---

(1)ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم ت/بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد ط٢.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٧١ ـ ١٧٢.

(3)المصدر السابق ٣/٨٨.

رواية أبي هريرة جاء فيها ((فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل)) [١].

رواية أبي سعيد الخدري جاءت الصورة ((فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترو ا تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون فيها إلى الظل يكون أبيض)).

ورواية أخرى له جاء ((فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية)) [٢].

وهناك روايات أخرى جاءت الصورة التمثيلية نفسها أو مقاربة لها[٣].

شبه عليه الصلاة والسلام آخر من يخرجون من النار في إعادة النضارة والحياة إليهم بنبات الحبة في حميل السيل من حيث اللون والسرعة والطراوة والضعف.

((والمعنى من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من ذلك الماء نضراً حسناً متبختراً لخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متميلة ..))[٤].

وتزيد بعض الروايات في وصف أولئك القوم مبنيةً حالهم عند خروجهم وما أصا م من الضعف نتيجة دخولهم النار، فيدخلهم ر م را يغتسلون منه فتعود لهم الهيئة السوية والمنظر الحسن.

جاء في بعض الروايات:

((فيخرجون كأ م عيدان السماسم، قال: فيدخلون را من أ ار الجنة، فيغتسلون فيه فيخرجون كأ م القراطيس...))[٥].

هذه الرواية تضمنت صورتين:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢/٣.

(2) المصدر السابق ٣٥/٣ ـ ٣٦.

(3) المصدر السابق ٣٦/٣ ـ ٣٧.

(4) عمدة القاري ١٩٥/١.

(5) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٥١/٣، ٥٢.

الأولى: شبه المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أولئك القوم عندما خرجوا من النار وما أصا م من ضعف وهزال بعيدان السماسم، ((والسماسم جمع سمسم وهو النبات المعروف والله أعلم))[١].

وفي عيدان السماسم الدقة والسواد الذي يتلاءم مع ما أصا م من الحرق في النار.

الثانية:

شبه عليه الصلاة والسلام اولئك القوم بعد اغتسالهم في ر من أ ار الجنة وما لحقهم من شدة البياض بعد الاغتسال وزوال ما كان م من السواد بالقراطيس، ويؤيد هذا الوجه ما جاء في رواية أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ((فيخرجون كاللؤلؤ في رقا م الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ....))[٢].

فشبههم باللؤلؤ في الصفاء والبياض والإشراق واللمعان، فصورهم جميلة تم تطهير داخلهم في النار.

الغرض من التشبيهات في هذا الحديث برواياته بيان حال اولئك القوم حينما خرجوا من النار، وما أصا م من ضعف وهزال وكيف ينبتون نبات الحبة بسرعة وطراوة ثم إلقاؤهم في ر من أ ار الجنة لتعلو النضارة وجوههم، والحيوية أجسادهم.

الحديث الثالث:

جاء التمثيل فيه لبيان معنى التفاوت في المنازل بين المؤمنين، عن سهل بن سعد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: ((بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين))[٣].

---

(1) المصدر السابق ٥١/٣، ٥٢ "الهامش".

(2) المصدر السابق ٣٣/٢.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٩/١٧.

شبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حال غرف أهل الجنة وبعدها عن بعض وما بينها من المسافات ورؤيتها بعيدة. برؤية الكوكب الدري في المشرق أو المغرب.

والصورة توحي بالرفعة والنقاء والإشراق وقد سبق تحليل هذه الأحاديث في الأبواب السابقة.

إخبار عن حالة من حالات أهل الجنة فيها الحث على العمل الصالح ((رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)).

الحديث الرابع:

جاء التشبيه فيه لبيان ما ينتج من أكل أهل الجنة وشرا م بعد ذكره عليه الصلاة والسلام أ م لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون...

ففي الصحيح عن جابر قال: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((إنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون)) قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس))[١].

شبه عليه الصلاة والسلام بقايا الطعام والشراب التي تخرج من أجسامهم في الجنة برشح المسك في الرائحة الطيبة الزكية، وهذه أمور غيبية يجب علينا الإيمان ا، ومذهب أهل السنة أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ.

والغرض من التشبيه بيان حال المشبه التي سيكون عليها في الجنة، فهو مسك، تغير عن حالته المعهودة في الدنيا.

الحديث الخامس:

جاء التشبيه لبيان صفة قوم من أهل الجنة تميزوا بصفات اتسموا ا في الدنيا، فقلو م رقيقة ضعيفة، دائمة الخوف والوجل من خالقها.

ففي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((يدخل الجنة أقوام أفئد م مثل أفئدة الطير))[١].

---

(1) المصدر السابق ١٧٣/١٧.

شبه عليه الصلاة والسلام أفئدة قوم ممن يدخلون الجنة بأفئدة الطير في الرقة والضعف، وقيل في الخوف والرهبة، وقيل لأ م متوكلون على الله كتوكل الطير عليه.

والطير شديدة الخوف والفزع، تخاف من أي حركة أو صوت، والمؤمن خائف من ربه دائم المراقبة، يرجو رحمته، خائف إذا سمع آيات العذاب والوعيد، وكان سلفنا الصالح من هذه الأمة ضاربين أروع الأمثلة في ذلك.

والغرض من هذا التشبيه مدح المشبه وبيان م لته التي وصل إليها وأن الخوف من الله من أسباب دخول الجنة.

أما الجنة في القرآن فجاء وصفها ووصف ما فيها بأبلغ الأساليب وأجمل العبارات من خلال وصف مساحتها، وذكر ما أعده الله للمؤمنين من الحور العين.

ونبدأ الحديث بالصورة التشبيهية المبينة لحال الحور العين، ومعرفة مدى الجمال الذي وهبه الله لهن إكراماً لأزواجهن.

جاء وصف حور الجنة في كتاب الله الكريم ثلاث مرات عن طريق التشبيه.

قال تعالى:

((فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان، فبأى ءالآء ربكما تكذبان، كأنهن الياقوت والمرجان))(٢).

وقال سبحانه:

﴿وحور عين ،كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ (٣).

وقال : ﴿وعندهم قاصرات الطرّف عين كأنهن بيض مكنون﴾ (٤).

ونبدأ الحديث عن الصور من خلال كتب التفسير، قوله:﴿ وعندهم قاصرات الطرّف عين ، كأنهن بيض مكنون﴾ .

---

(1)صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٦/١٧ ، ١٧٧.

(2)سورة الرحمن، آيات: ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(3)سورة الواقعة، آية: ٢٢، ٢٣.

(4)سورة الصافّات ، آيات: ٤٨، ٤٩.

((أي قصرن أبصارهن على أزواجهن، لا يمددن طرفًا إلى غيرهم...والعين: النجل العيون، شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي، و ا تشبيه العرب النساء، وتسميهن بيضات الخدور))[1].

وقوله في سورة الرحمن:

﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان، فبأى ءالاء ربكما تكذبان، كأنهن الياقوت والمرجان﴾.

((نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم. لم يطمث الإنسيات فيهن أحد من الإنس، ولا الجنيات أحد من الجن، .... هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضاً))[2].

أما قوله عنهن في سورة الواقعة: ﴿وحور عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾.

((أي كأ ن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه))[3].

شبه تبارك وتعالى نساء أهل الجنة ببيض النعام، وباللؤلؤ المكنون، وبالياقوت والمرجان.

إبداع وجمال وتفنن في تصوير حسنهن، فهن حور أي شديدات سواد العين وبياضها، وقاصرات الطرف على أزواجهن، وعين ضخام الأعين مع حسنها واتساعها، أي جمال وحسن هذا؟ جمال الظاهر والباطن اتسمن به وكان التشبيه مصورا هذا الجمال ومبدعا في إبرازه وتقريب صورته للأذهان ((فهن بيض النعام ذو اللون المشوب بصفرة وذاك أجمل وأحسن ألوان النساء، والبيض قد كُن وستر فلا يصل إليه غبار، ومن لؤلؤ مكنون وهن كأ ن ياقوت ومرجان، والنفس شديدة الرغبة في هذه الأنواع الكريمة وتلك الأحجار النفيسة محبة لها شديدة الحرص عليها، وذاك عامل نفسي قوي يحبب هؤلاء النساء ويعلي شأ ن في نفس المؤمن....

---

(1) الكشاف ٤٢/٤.

(2) المصدر السابق ٤٤١/٤، ٤٤٢.

(3) تيسير العلي القدير ٢٩٠/٤.

والياقوت:حجر نفيس كريم تختلف ألوانه وأشهر ألوانه الأحمر، والمرجان: صغار الدرر، وإنما خص ا دون كباره لأن الصفاء في صغار الدر أشد من الصفاء في كباره ووجه الشبه هو صفاء اللون وحمرته المشوبة بشدة البياض))[١].

فهي تشبيهات محسوسة.

وقد ذكر عليه الصلاة والسلام وجه الشبه لبعض هذه الصور في الحديث الذي روته أم المؤمنين أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

((قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حور عين﴾ قال: ((حور بيض، عين ضخام العيون شفر الحوراء بم لة جناح النسر)) قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ قال: ((صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي)) قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خيرات حسان﴾ قال: ((خيرات الأخلاق حسان الوجوه)) قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال: ((رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر ...))[٢].

والغرض من هذه التشبيهات ـ والله أعلم ـ بيان مقدار جمال الحور العين، والترغيب والحث على العمل الصالح لينال العبد هذا النعيم العظيم، وتزيينهن للسامعين.

ومن الجوانب البيانية للجنة في القرآن الكريم بيان سعتها ومساحتها حيث جعلها ـ سبحانه ـ كعرض السماء والأرض، وأن شرط دخولها الإيمان بالله ورسوله، قال تعالى:

﴿سابقوا إلى مغفرة من ربِّكم وجنّة عرضها كعرض السَّماء والأرض أُعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [٣].

جاء في تفسير هذه الآية سابقوا أي: ((سارعوا مسارعة المسابقين لأقر م في المضمار، ((إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض)) قال السدي: كعرض سبع سموات

---

(1) علم البيان، د/بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، ط٢، ١٤١٨هـ، ٢٦.

(2) انظر: (تيسيير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير)، الرفاعي ٢٩٢/٤، ٢٩٣.

(3) سورة الحديد، آية: ٢١.

وسبع الأرضين، فذكر العرض دون الطول؛ لأن كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد))[(١)].

وجاء في مختصر تفسير ابن كثير في معنى الآية:

((المراد جنس السماء والأرض))[(٢)].

شبه عرض الجنة بعرض السموات والأرض متصلة ووجه الشبه السعة العظيمة في كل، والغرض من التشبيه المرسل ا مل بيان مقدار سعة الجنة.

وقد جاء هذا المعنى في آية أخرى إخبارا دون تشبيه على سبيل الحقيقة قال تعالى:

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضهاالسموات والأرض أُعدت للمتقين﴾[(٣)].

قال الزمخشري:

((ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة: الإقبال على ما يستحقان به، ((عرضها السموات والأرض)) أي عرضها عرض السموات والأرض، كقوله: ﴿عرضها كعرض السماء والأرض﴾ والمراد وصفها بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه. وخص العرض، لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، كقوله: ﴿بطائنها من استبرق﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض))[(٤)].

وقيل بل عرضها كطولها لأ ا قبة تحت العرش، والشيء المقبب المستدير عرضه كطوله، وقد دلّ على ذلك ما ثبت في الصحيح ((إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أ ار الجنة، وسقفها عرش الرحمن))[(٥)].

ويرى الدكتور ضياء الدين الجماس أن عرض الجنة عرض جمالي وليس قياسي يقول: ((لكن المقصود ـ والله أعلم ـ هو عرض المشاهدات الجمالي ... فمثلاً لكل بائع طريقة

---

(1) الكشاف ٤٦٦/٤.

(2) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٣١٢/٤.

(3) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(4) الكشاف ٤٠٦/١.

(5) انظر: تيسير العلي القدير ٣١١/١.

في عرض بضائعه على الناس .... والفنان في كل معرض يعرض أعماله بطريقة ما على المشاهدين....))[(١)].

وأرى ـ والله أعلم ـ أن هذا الرأي مجانب الصواب لأن الآية جاءت للترغيب في العمل الصالح ((أعدت للمتقين)) وبيان تلك السعة والبسطة، خاصة وأن الآيات مسبوقة بأسلوب الإنشاء الطلبي ((سارعوا، سابقوا))، وما يوحى به الفعل الأمر من معنى الإسراع والحث وا اهدة لنيل هذه المكانة العظيمة.

وروى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:

((انطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ((قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض))، قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: ((نعم....))[(٢)].

إ ا الجنة تلك الأمنية العظيمة التي يتمناها كل مسلم ومسلمة، يسعون لها منذ أن خلق الله الخلق، لا راحة ولا توقف عن طلبها إلا بنيلها.

هذه هي الجنة عرضها السموات والأرض معا، فاين تكون النار؟

سؤال وجه إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام كان جوابه في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال:

((إن هرقل كتب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟)) فكما أنه لا يلّزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن يكون في مكان، وإن كنا لا نعلمه وكذلك النار تكون حيث شاء الله ـ عز وجل ـ، وهذا أظهر))[(٣)].

---

(1) التصوير والرمزية في الأمثال القرآنية، د/ضياء الدين الجماس ص٣٠٥.

(2) رواه مسلم ٤٥/٦، رياض الصالحين ص٧٢٢.

(3) تيسير العلي القدير ٣١١/١.

*وإذا نظرنا فيما بين أيدينا من نصوص حول الجنة وأهلها في الحديث النبوي ـ في صحيح مسلم ـ وما جاء في القرآن الكريم من معان جاء التعبير عنها بصورة التشبيه نجد أن الحديث النبوي تحدث عن الجنة وأهلها من خلال عدة أحاديث كان الغرض منها كالتالي:

١ ـ بيان حال وجوه أول زمرة تدخل الجنة من المؤمنين، وأ م على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلو م كأشد كوكب دري في السماء إضاءة.

جاء التعبير عن هذا المعنى وتجليته بطريق التشبيه التمثيلي.

٢ ـ بيان سرعة نمو آخر أهل الجنة دخولاً بعد أن كانوا في جهنم فأخرجهم الله برحمته، بينت الصورة سرعة نموهم وعودة الحياة إليهم، حيث شبه ذلك النمو بنمو الحبة في حميل السيل، وما يصاحب بدايتها من ضعف وطراوة.

وقد جلى هذا المعنى وقربه للسامعين التشبيه التمثيلي الذي تم ربط الطرفين فيه بأداة التشبيه ((الكاف)).

٣ ـ بيان حال أولئك القوم الخارجين من النار بعد دخولهم را من أ ار الجنة، وما علا أجسامهم من جمال ونضرة وحيوية، بعد ما كان م من ضعف وهزال، فهم كعيدان السماسم، ثم جاء التشبيه مرة أخرى ليبين ما علاهم من جمال ونضرة وحيوية، فجعلهم كالقراطيس وكاللؤلؤ من شدة البياض والنقاء.

وكانت تشبيهات هذا المعنى مفردةً مرسلةً، حيث تم ذكر أدوات التشبيه ((الكاف وكأن))، ومجملة لأنه تم حذف وجه الشبه.

٤ ـ الصورة الرابعة جاءت لبيان تفاوت منازل أهل الجنة، فغرفهم بعيدة صافية مرتفعة شديدة الإضاءة، يرو ا كما يرى الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، معنى يحكى حالاً من أحوال أهل الجنة تم تقريبه للأذهان عن طريق التشبيه التمثيلي.

٥ ـ أما الصورة الخامسة فجاء التشبيه فيها لبيان حال ومآل الطعام الذي يأكله أهل الجنة بعد أكله فهو يخرج منهم على هيئة رشح كرشح المسك رائحة جميلة، فهو تشبيه مفرد مرسل تم ذكر أداة التشبيه ((الكاف))، ومجمل حيث حذف وجه الشبه ((الرائحة الطيبة)).

٦ ـ والصورة السادسة جاءت لبيان حال قلوب بعض أهل الجنة في الدنيا وما اتصفت به من رحمة، ورهبة، وشدة خوف من ربها، هذا المعنى تم تقريبه للأفهام بتشبيه قلو م بأفئدة الطير.

وهذا من باب التشبيه المرسل حيث ذكرت الأداة ((مثل)) ومجمل لغياب وجه الشبه وخفائه، ليتسع وجه الشبه لدى المتلقي.

* أما القرآن الكريم فجاء فيه معنيان تم التعبير عنهما بأسلوب التشبيه:

أولاً: الحور العين، فتارةً يشبههن بالياقوت والمرجان، وتارةً بالبيض المكنون وخاصةً بيض النعام، وتارةً باللؤلؤ، والغرض من هذه التشبيهات بيان مقدار جمالهن وتزينهن للمؤمنين، وكل تشبيه جاء في وصفهن كان لغرض وغاية، وله إيحاؤه الخاص به، من صفاء ونقاء ورقّه، وحساسية تحتاج إلى عناية ومحافظة، ونلحظ أنه جاء اللؤلؤ والياقوت والمرجان، وهذه من الجواهر والأحجار الكريمة التي يتزين ا النساء.

ثانيا: جاء التشبيه في القرآن عن الجنة لإيضاح مساحة الجنة وأ ا كعرض السماء والأرض أعدها الله للمتقين، فتشبيهات القرآن عن الجنة جاءت بأسلوب يضع الصورة أمامك، ليأنس القلب ويطمئن، وتتطلع النفس لرغبتها في ذلك النعيم، ولننظر إلى تلك الضيافة والنعيم الذي أعده الله للمؤمنين، أي جمال هذا الذي أودعه الله في الحور العين؟ وأي سعة هذه التي تساويها الجنة؟ مهما حاولت النفس أن تحيط بذلك فإ ا تقف عاجزةً ذاهلة.

جـ ـ النار ((مأوى الفجار)):

النار دار العذاب، مقر غضب الجبار، والله قد وصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار، وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال، وما ا من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلى غير ذلك مما فيها من أنواع العذاب وعظائم الأهوال، وطلب ـ سبحانه ـ من عباده الخشية والتقوى، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى

عنه ويأباه، والمتأمل لكتاب الله وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وجد في الحديث عن جهنم العجب العجاب، وما تتضمنه تلك النصوص من وصف لها ولأهلها، وما تحذره من الأعمال الموجبة لدخولها، والخوف من النار من أحب الأعمال إلى الله، قال تعالى:

﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [1]وقال سبحانه مادحاً المؤمنين: ﴿والذين هم من عذاب ربِّهم مشفقون﴾ [2]، وأخرج البخاري بسنده عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: ((كان أكثر دعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار))[3].

وقد كثرت التآليف في الحديث عن النار وما ا من شتى أنواع العذاب، وما دار حولها من نصوص تصف أحوالها وتبرز أهوالها[4].

وعند دراستنا لصحيح مسلم ـ رحمه الله ـ وجدنا عدداً من الأحاديث التي تصف جهنم وبعضا من أحوال أهلها ـ نعوذ بالله ـ وما أعده الله لهم.

وقد جاء ستة أحاديث كان التعبير عن معانيها بأسلوب التشبيه، كان كل تشبيه متناولاً طرفًا مستقلاً وغرضاً مقصودا، وهي كما يلي:

١ ـ جاء التشبيه لبيان شكل كلاليب جهنم، وما ا من زوائد تشبيه زوائد شوك السعدان.

جاء في الصحيح من حديث طويل عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن أناساً قالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ .... وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإ ا مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلاّ الله تخطف الناس بأعمالهم ....))[1].

---

(1) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(2) سورة المعارج، آية: ٢٧.

(3) سورة البقرة، آية: ٢٠١.

(4) ينظر: على سبيل المثال كتاب التخويف من النار، لابن رجب الحنبلي، ت /بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان، دمشق.

شبه عليه الصلاة والسلام الكلاليب الموضوعة على الصراط في جهنم بشوك السعدان ووجه الشبه الشكل المستدير ذو الزوائد المتفرقة في جميع الاتجاهات.

فعبر عليه الصلاة والسلام عن أمر غيبي وهو كلاليب جهنم بأمر حسي يعرفه المخاطبون وهو شوك السعدان بطريقة أثارت إعجاب الصحابة وبلاغة نالت استحسا م فقالوا في اية الحديث: ((كأنك كنت ترعى بالبادية))، وهذه بلاغة عالية أن يجمع بين المتباعدات.

والغرض من هذا التشبيه بيان شكل تلك الكلاليب، وما في المعنى من تخويف من تلك الكلاليب، وما كان حول الفكرة من أسئلة عن نبات السعدان وشوكه خاصة كان لها الأثر في التشبيه وتثبيت معناه لدى المتلقي.

وهذه صورة من البيئة العربية تم من خلالها تقريب المشبه وتوضيحه.

تشبيه مرسل باعتبار الأداة ((مثل))، ومجمل حيث تم حذف وجه الشبه وهو الشكل الخارجي، أما العظم فلا يعلم حجمها إلا الله.

٢ ـ جاء التشبيه لبيان حال جهنم وأ ا مثل السراب يحطم بعضها بعضا، وقد جاء التشبيه في حديث أبي هريرة السابق في قول النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ :

((... إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله ـ سبحانه ـ من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبر [٢] أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد

---

(1) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٣ ـ ٢٥.

والكلاليب: جمع كَلّوب بفتح الكاف وضم اللاّم المشددة وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور.

والسعدان: بفتح السين وإسكان العين المهملة وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من جميع الجوانب.

(2) غبر: بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة ومعناه: بقاياهم، جمع غابر.

فما ذا تبغون؟ قالوا: عطشنا ياربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأ ا سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار...)) [١] ثم يفعل بالنصارى مثل ذلك.

شبه الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ النار بالسراب، أمواجها متلاطمة، يحطم بعضها بعضاً من شدة اتقادها صارت شفافة كالماء والسراب، العطش يقطع حناجرهم فيبغون الماء، فيحشرون إلى جهنم فيتساقطون فيها.

ونلحظ الدقة في اختيار أداة التشبيه ((كأن)) وما تختص به من دقة وإصابه وقوة في المشا ة بين الطرفين.

وقوله ((يحطم بعضها بعضاً)) إشارة إلى ما ورد في كتاب الله من وصف لها حيث قال: ﴿ تكاد تميّز من الغيظ ﴾[٢].

تشبيه مرسل تم ذكر أداة التشبيه ((كأن)) ومجمل لحذف وجه الشبه، وهذه الصورة المركبة بينت شدة هول جهنم حيث تمّ تغير كل شيء، فلم تعد الأشياء على حالتها الطبيعية.

٣ـ وجاء التشبيه ـ أيضاً ـ لبيان حال الصراط، وما فيه من خطر، ففي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال:قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: ((... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يارسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلّة[٣]، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[٤] تكون بنجد فيها شويكه يقال لها السعدان....))[٥].

بلاغة عظمة، ألفاظ قليلة تضمنت معان عظيمة وصفت ذلك بأوجز لفظ وأبلغه.

---

(1)انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٣ ـ ٢٥.

(2)سورة الملك آية: ٨.

(3)دحض مزلّة: الموضع الذي تزل فيه الأقدام ويصعب استقرارها..

(4)الحَسك: بفتح الحاء والسين المهملتين وهو شوك صلب من حديد، وقيل: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد (ينظر عمدة القارئ ٣٢/٢) وهامش صحيح مسلم ٢٩/٣.

(5)صحيح مسلم بشرح النووي ٢٩/٣.

شبه عليه الصلاة والسلام الصراط في عدم استقرار الأقدام عليه ومرا وغته تحت الأرجل بالمكان الدحض المزلّة.

وهذ التشبيه من التشبيه البليغ الذي تم فيه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

((أهناك وصف للصراط أبلغ مما قاله محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ؟ وقد تحدث عنه في أقل من ثلاثة أسطر حديثاً يرج النفس بأهواله الثقال!)) [١].

ووردت الأحاديث في غير مسلم بوصفه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وأحر من الجمر[٢].

فهذه ثلاث صور جاءت في حديث واحد اختلفت رواياته، كانت تدور حول وصف بعض أحوال النار، فكان الوصف للكلاليب والخطاطيف المشا ة لشوك السعدان في شكلها مع اختلاف الحجم، ثم جاءت الصورة البيانية لوصف جهنم عندما يحشر إليها اليهود والنصارى يريدون الماء ليشربون فيتساقطون فيها، وكأ ا سراب يحطم بعضها بعضاً، ثم جاء الوصف للجسر والصراط الممتد على متن جهنم وكان التشبيه البليغ طريق التعبير في وصفه فهو دحض مزلّة، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وأشد حرارةً من الجمر، ينجي الله المؤمنين فلا تضرهم هذه الأشياء ولا تؤثر في مرورهم.

أمور غيبية تم إفراجها وتجليتها إلى الصورة المحسوسة عن طريق التشبيه لتقريبها للأفهام.

٤ ـ جاء التشبيه لبيان مقدار حر نار جهنم، وذلك ببيان أن حر نار الدنيا جزء من سبعين جزءا كلها مثل حرها.

ففي الصحيح عن أبي هريرة أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:((ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم)) قالوا: والله إن كانت لكافيةً يارسول الله، قال:((فإ ا فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها))[٣].

---

(1) البيان النبوي د/ البيومي ص١٢٥.

(2) ينظر: التخويف من النار، ابن رجب ص٢٢٨ ـ ٢٤٣.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٩/١٧.

شبه المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حر كل جزء من التسعة والستين جزءاً من نار جهنم بحر نار الدنيا.

فهو تشبيه مرسل باعتبار ورود أداة التشبيه ((مثل)) ومفصل لو جود وجه الشبه ((حرها)).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:

((إن هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم)) (١).

والروايات تواترت في أن جهنم سوداء كالليل المظلم أو قد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت(٢).

٥ ـ جاء التشبيه لبيان مقدار التغير الذي يحدث للكافر في جهنم، والحال التي يكون عليها، فلم يعد جسمه بذلك الحجم المألوف المعروف، فنابه وضرسه مثل جبل أحد، وسماكة وغلظ جلده مسيرة ثلاث))(٣).

جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم: ((ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث)) (٤).

شبه الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ضرس الكافر أو نابه بجبل أحد في الحجم والضخامة، وجبل أحد من أعظم جبال المدينة.

منظر مفزع ومخيف آل إليه جسد الكافر ليزداد عذاباً وألماً، وجلده مسيرة ثلاث، ومع هذا ﴿كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها﴾(٥)

وهذا تشبيه مرسل مجمل وهو تشبيه محسوس بمحسوس.

---

(1) المسند ٣٧٩/٢.

(2) ينظر ((التخويف من النار)) ابن رجب ٩٠ ـ ٩٢.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨٦/١٧.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨٦/١٧.

(5) سورة النساء آيه: ٥٦.

٦ ـ جاء التمثيل في هذا الحديث لبيان حال من يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه، فعقابه في النار أن يخرج الله أمعاءه فيدور ا في جهنم كما يدور الحمار حول الرحى.

ففي الصحيح عن أسامة بن زيد أنه سمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول:((يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور ا كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأ ى عن المنكر وآتيه))(١).

شبه عليه الصلاة والسلام صورة الرجل في النار وقد خرجت أمعاؤه من بطنه وهو يدور ا على مرأى من أهل النار وهم مجتمعون حوله بصورة الحمار وهو يدور بالرحى.

صورة شنيعة، ومنظر تتقزز النفس من رؤيته، ثم يزداد التنفير من هذا العمل بجعل الحمار عنصراً من عناصر الصورة وما يدور ويحوم في ذهن السامع للفظ الحمار من معان الغباء والحقارة.

تشبيه تمثيلي لا يخفى أثر الأفعال المبنية للمجهول في الصورة ((يؤتى، يلقى)) وما تحمله من معاني القسر والإكراه والضعف.

إنه المقت الذي ذكره سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كَبُر مقتاً عند اللَّه أن تقولوا مالا تفعلون﴾ (٢).

عدة صور وردت في الصحيح، واليوم الآخر أمور غيبية يتم من خلال التشبيه تقريبها للأفهام، والنار جاء الحديث عنها في الصحيح من خلال وصف الصراط وما وجِد عليه من آلات تعذيب، ووصف أحوال بعض المعذبين، من تغير الأجسام وغيره.

أما المعاني التي وردت في القرآن الكريم في وصف جهنم وما فيها عن طريق الصورة التشبيهيه فهي كما يلي:

١ ـ ما جاء في قوله تعالى:

---

(1) صحيح بشرح النووي ١١٧/١٨ ـ ١١٨، واندلاق الأقتاب: خروج الأمعاء.

(2) سورة الصف آية: ٢،٣

﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل **يشوي** الوجوه **بئس** الشّراب وساءت مرتفقا﴾[١]

جاء في اللسان في معنى ((المهل)) ((أنه النحاس المذاب، وقال أبو عمرو: المهل دردي الزيت؛ قال: والمهل ـ أيضاً القيح والصديد ... قال أبو عبيدة المهل كل فلّزٍ أُذيب، والفلز جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس ..))[٢].

وسئل ابن عباس عن قوله: ((كالمهل)) قال: غليظ كدردي الزيت، وقال علي بن أبي طالب عن ابن عباس:

((أسود كمهل الزيت، وكذا قال سعيد بن جبير وغيره، قال الضحاك: أذاب ابن مسعود فضة من بيت المال، ثم أرسل إلى أهل المسجد، فقال: من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا، وقال مجاهد: ((بماء كالمهل)) مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت ...))[٣].

جاء في الكشاف في تفسير هذه الآية قوله:

((وفيه تهكم، والمهل: ما أذيب من جواهر الأرض، وقيل: دردي الزيت ((يشوي الوجوه)) إذا قدم يشرب انشوى الوجه من حرارته. عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ هو كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ...))[٤].

شبه سبحانه وتعالى الماء الذي يعطى لأهل النار إذا طلبوا الشراب بالمهل في حرارته وتغير لونه.

تشبيه مفرد مرسل، تم ذكر أداة التشبيه فيه ((الكاف)) ومجمل لأن وجه الشبه في الآية محذوف.

إنه عذاب عظيم ((يشوي الوجوه)) بمجرد اقترابه من الوجه، فما حال جوف شاربه؟ نسأل الله العافيه، اجتمعت فيه عدة خصائص شدة الحرارة، ونتن الرائحة، وتغير اللون، يؤتى به وهم في أشد أنوع العطش، فيزيدهم عذاباً وألما.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى في وصف شجرة الزقوم التي يأكلها أهل النار:

---

(1) سورة الكهف آية: ٢٩،

(2) لسان العرب لابن منظور ٢٠٩/١٣ ـ ٢١٠ ((دار احياء التراث العربي)).

(3) انظر ((التخويف من النار)) ابن رجب الحنبلي ص ١٥٤.

(4) الكشاف ٦٩١/٢.، ((مختصر تفسير ابن كثير)) تيسر العلي القدير ٧٢/٣.

﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنّه رءوس الشيطين فإنهم لأكلون منها فمالؤن منها البطون * ثم إنّ لهم عليها لشوباً من حميم﴾(١).

((قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصا ا ترتفع إلى دركا ا .... وشبه طلعها برؤوس الشياطين دلالةً على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مستكره مستقبح في طباع الناس ... وهذا تشبيه تخيلي، وقيل: الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جداً. وقيل: إن شجراً يقال له الأستن خشنا منتناً مراً منكر الصورة، يسمي ثمره: رؤوس الشياطين. وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلاً ثالثاً يشبه به))(٢).

فهذه ثلاثة آراء في المقصود بـ ((رؤوس الشياطين)) ولكنها تجتمع في دلالة واحدة هى وجه الشبه الكراهة وقبح المنظر ونتن الرائحة.

وهذا التشبيه يعده البلاغيون من التشبيه الذي لا يدرك بإحدى الحواس الخمس ولو وجد لأمكن إدراكه بإحداها حيث جعل أحد طرفيه وهمياً، فطلع تلك الشجرة قبيح ومخيف، تنفر منه النفوس، وفي الآية حكم وسخرية من الكافرين الذين اتبعوا أولياءهم الشياطين، فهم يأكلون في جهنم من شجرة طلعها وثمرها مثل رؤوسهم، ونلحظ ما في الجمع ((رؤوس)) من التهويل والتخويف والتنفير.

تشبيه مفرد مرسل حيث ذكرت أداة التشبيه ((كأن)) وهو تشبيه مجمل حيث حذف وجه الشبه.

ومع هذا الوصف لهذه الشجرة وما هي عليه من قبح ونتن فأهل النار يأكلون منها حتى تمتلئ منها بطو م، ثم يشربون على هذا الأكل الحميم فيقطع أمعاءهم، يمزج مع الزقوم فإما أن يكون في وقت واحد وإما أن يكون الحميم بعد الشبع.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى في وصف حرارة تلك الشجرة التي يأكل منها أهل النار وأ ا كالمهل من شدة حرار ا، ثم بين أ ا تغلي في البطن كما يغلي الحميم:

---

(1) سورة الصافّات آيات: ٦٣ ـ ٦٧.

(2) الكشاف ٤/٤٤ ـ ٤٥.

﴿إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلى في البطون * كغلى الحميم﴾ [١].

جاء في التشبيه السابق بيان ثمرها وأنه كرؤوس الشياطين في منظره وقبحه ونتنه، أما في هذه الآيات فالتشبيه يبين حقيقة ثمرها وبيان مقدار حرارته حتى بعد أكله، والمهل ـ كما سبق ـ دردي الزيت أوالمعادن المذابة.

يشبه سبحانه الطعام الذي يأكله أهل النار من الزقوم بالمهل في تغير لونه وشدة حرارته بعد أكله، فهو يغلي في بطو م كما يغلي الحميم وهو الماء الذي بلغت حالة غليانه أعلى مستويا ا.

تشبيه مفرد في الصورتين تم فيه ذكر الأداة فهو مرسل، وحذف وجه الشبه فهو مجمل.

ونلحظ الفعل المضارع ((يغلي)) وما فيه من استحضار للصورة مع الاستمرار في حدوثها.

نار في نار، أكلهم نار، وشرا م نار، ولباسهم من قطران، نار، قمة التعذيب.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى لبيان مقدار شر م من ذلك الحميم:

﴿ثم إنكم أيها الضّالون المكذبون * لأكلون من شجر من زقوم * فمالؤن منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم﴾ [٢].

صورة متكاملة، سلسلة بيانية، بدأت بوصف تلك الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، وأن ثمرها كرؤوس الشياطين، ثم بين مدى حرار ا في البطون بعد أكلها فهي كالمهل يغلي في بطو م غليانا يشبه غليان الماء في منتهى حرارته، فلما شبعوا من هذا الطعام الذي قطع أجوافهم يشربون عليه ماءً مغلياً بلغ منتهاه في الحرارة، ثم تأتي هذه الآيات لتبين مقدار الشرب من ذلك الماء المغلي، فأخبر بطريق التشبيه البليغ إ م شاربون شرب الهيم، والهيم ((أي ما يشربه الهيم وهي الإبل التي ا الهيام، وهوداء تشرب منه فلا تروى وهو جمع أهيم وهيماء، وقيل: الهيم:بفتح الهاء: الرمال وهو الرمل الذي لا يتماسك.

---

(1)سورة الدخان ، آيات: ٤٣ ـ ٤٦.

(2)سورة الواقعة، آيات: ٥١ ـ ٥٥.

والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل؛ فإذا ملؤوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم، فيشربونه شرب الهيم))[١].

قال ابن كثير:

((وذلك أ م يقبضون ويسجرون حتى يأكلون من شجر من زقوم .. قال السدي: الهيم داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً))[٢].

شبه سبحانه شراب أهل النار من الماء الحار بشرب الإبل المصابة بالهُيام بجامع الشرب الذي لا ينقطع بالروى، وهذا من التشبيه البليغ.

يشرب مضنة برد الحرارة فيشرب حارا، فيزداد رغبةً في الشرب.

والتشبيهات السابقة كانت تصور مدى شدة حرارة ونتن شراب وطعام أهل النار نعوذ بالله.

٥ ـ أما الصورة الخامسة فهي بيان لمقدار شرر جهنم قال تعالى:

﴿إنّها ترمي بشرر كالقصر * كأنّه جملت صفر﴾ [٣].

((أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها. وقيل: هو الغليظ من الشجر، والواحدة قصره .... وجمالات: جمع جمال أو جمالة جمع جمل؛ شبهت بالقصور، ثم بالجمال لبيان التشبيه ... قوله: ((صفر)) لإرادة الجنس. وقيل سود تضرب إلى الصفرة... وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين: جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة...))[٤].

---

(1) الكشاف ٤/٤٥٢.

(2) تسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٤/٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(3) سورة المرسلات، آيات: ٣٢ ـ ٣٣.

(4) الكشاف ٤/٦٦٧، ٦٦٨.

وجاء في تفسير ابن كثير ((كأنه جمالة صفر، أي كالإبل السود))[1].

تشبيهان أحدهما من حيث الحجم والشكل وهو تشبيه الشرر بالقصر سواء اعتبرنا القصر بالبناء الضخم أو القطع الغليظة من الخشب، وهذا مجمل مرسل.

أما التشبيه الآخر فمن حيث اللون فبالجماله الصفر، وفيه اللون والحركة، وهذا تشبيه مرسل لوجود أداة التشبيه ((كأن)) ومجمل لحذف وجه الشبه.

وبعد فإن النار جاءت في الصحيح من خلال الجوانب التالية كان التعبير عن معانيها بأسلوب التشبيه.

جاء التشيبه لجهنم نفسها في أربعة أحاديث بين التشبيه أربعة جوانب غيبية قر ا للأفهام:

١ ـ كلاليب جهنم، جاء التشبيه لبيان حالها وشكلها الخارجي وأ ا مثل شوك السعدان، وكان التشبيه مرسلاً تم ذكر أداة التشبيه ((مثل))، ومجملاً لحذف وجه الشبه.

٢ ـ جهنم عندما يحشر إليها اليهود والنصارى يريدون الشراب كالسراب تتلاطم ويحطم بعضها بعضا، وهذا المعنى عبر عنه بالتشبيه التمثيلي، والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أول من شبه النار بالسراب فيما وقع بين يدي من مراجع.

٣ ـ الصراط ووصف ما فيه من خطر، تم تقريب هذا المعنى بأسلوب التشبيه البليغ، تم تشبيهه بالمكان الدحض المزلّة الذي تزل فيه الأقدام، ويصعب استقرارها، وقد أيدت الصورة بعدد من الأوصاف الواردة في السنة النبوية من دقة وحرارة.

٤ ـ حر جهنم ومدى قوته تم تقريبه من خلال الإخبار بأن جهنم تسعة وستون جزءًا كل جزء من أجزائها مثل حر نار الدنيا، جاء ذلك البيان من خلال التشبيه المفرد المرسل المفصل.

هذه هي الجوانب الأربعة المتعلقة بوصف النار نفسها التي تم إيضاحها وتقريبها للأفهام عن طريق التشبيه.

أما الصورتان المتبقيتان فكانتا وصفا لأهل جهنم، وبيان حال بعضهم:

---

(1) تيسير العلي القدير ٤٦٧/٤.

فالصورة الأولى تبين الحال والهيئة التي يكون عليها أهل النار، من تغير في الأحجام، وتشويه المنظر.

جاء في الحديث أن ضرس الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث، جاء التشبيه لبيان مقدار حجم الكافر في النار وبشاعة منظره المخيف وكان التشبيه مرسلاً مجملاً والطرفان حسيان.

والصورة الثّانية بينت حال من يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه، وأنه سيكون في أبشع منظر وأخزاه في النار، حيث يجتمع عليه أهل النار وهو يجر أمعاءه ويدور ا في جهنم كما يدور الحمار حول الرحى.

هذا المعنى كان طريقه التشبيه التمثيلي.

ست صور جاءت في الصحيح لبيان بعض جوانب النار نعوذ بالله منها.

أما القرآن فقد رأينا الصورة التشبيهية تبين ما يلي:

١ ـ بين سبحانه أن الماء الذي يطلبه أهل النار بعد استغاثة طويلة وترجٍ مستمر كالمهل أي كالزيت أو المعادن المذابة في تخثره وتغير لونه وشدة حرارته.

٢ ـ بين سبحانه ثمر شجرة الزقوم، وأنه بشع المنظر منتن الرائحة كرؤوس الشاطين، فإذا أكلوا منه غلت منه بطو م، يأكلون حتى تمتلئ منه بطو م، وهو يغلي غليان الماء، ثم يشربون عليه الحميم شرابا متواصلاً دائماً كشرب الإبل المصابة بالهُيام.

صورة متكاملة بينت نوعاً من عذاب أهل النار، جميع أحوالهم نار في نار، تشبيهات مرسلة مجملة.

٣ ـ بين سبحانه مقدار شرر جهنم ولونه، فهو كالقصر في حجمه وارتفاعه، وكالجمالات الصفر في لونه وحركته.

وقد وجدت أن تشبيهات القرآن الكريم في وصفه للنار مفردةً مرسلة ومجملة ما عدا تشبيه شر م بشرب الهيم كان من التشبيه المؤكد ا مل ((البليغ)).

الفصل الثاني:

العناصر المشتركة بين الحديث النبوي والقرآن الكريم في بناء الصورة التشبيهية:

انتزع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدة عناصر لتكوين الصورة التشبيهية، وكانت تلك العناصر من البيئة العربية، ومن حياة الناس المعاشة ليتم من خلالها الإفهام وإيضاح المقصود.

وقد اختلفت نوعية تلك العناصر باختلاف الغرض المساقة من أجله، فتمت صياغتها لذلك الغرض المقصود منه التشبيه في ثوب بلاغي عالٍ بألفاظ لها إيحاؤها في خدمة الصورة وتنميتها.

وقد وجدت خلال دراستي للموضوع عدة عناصر استخدمها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيره، وقد اكتفيت بذكر أثرها في الصورة وما تبعثه في المعنى من حياة وحركة أثناء دراسة وتحليل تلك الصور، وتعرضت لما توحي به من إيماءات ومالها من ظلال داخل الصورة.

وهذا الفصل عقدته لداسة العناصر التي تركبت منها صورة تشبيهية في الحديث النبوي وتم استخدام ذلك العنصر في صورة تشبيهية في القرآن الكريم.

والهدف من هذه الدراسة معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين الصورتين، ومدى أثر ذلك العنصر في الصورة، ومن ثَم الوقوف على الغرض الذي جيء بالتشبيه من أجله.

وقد حاولت جاهدا أن أجد تصنيفًا للعناصر فلم أجد إلاّ هذا التصنيف التالي:

أ ـ عنصر النبات.

ب ـ عنصر الحيوان.

جـ ـ عنصر الجماد.

د ـ عناصر متفرقة.

أربعة مباحث، كل مبحث متضمن عدة عناصر يتم المقارنة بين ورودها في صور الحديث مع ما ورد في القرآن الكريم:

المبحث الأول:

أ ـ عنصر النبات:

لقد استخدم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنصر النباتات في مواطن كثيرة من صحيح مسلم، فكان العنصر طريقاً من طرق إثراء المعنى وإيضاحه، وقد تنوعت العناصر حسب الغرض منها في الصورة، حيث استخدم عليه الصلاة والسلام البذور ((الحبة)) ليدل ا على معنى معين، واستخدم النباتات الصغيرة من زرع وريحان وحنظل، والأشجار كالنخل والأترج... وغير ذلك من العناصر النباتية التي أوضح ا عليه الصلاة والسلام تلك المعاني الجليلة التي تبين حقيقة الأشياء، وصفات المخلوقات.

والعنصر النباتي في هذا المبحث يتم دراسته من خلال:

١ ـ الحبة ((البذور)).

٢ ـ الزرع.

٣ ـ النخلة.

٤ ـ الحنظلة.

وقد رتبت هذه العناصر في هذه الدراسة حسب ورودها في الصحيح.

أولاً: الحبة ((البذور)):

انتزع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحبة معنى الطّراوة والنمو السريع والخضرة مع الصفرة وذلك عندما شبه عليه الصلاة والسلام الذين يخرجون من النار برحمة الله، ثم يصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل.

ففي الصحيح من رواية أبي هريرة جاء:

((فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل))[1].

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢/٣.

وجاء في رواية أبي سعيد:

((ألا ترو ا تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض))[١].

إنه تصوير في غاية الروعة والحسن، حيث جمع بين هذه المتباعدات، حبة تنمو في حميل السيل مشهد محسوس تم ربطه بمشهد غيبي سيحدث في الآخرة تشبيه رائع وجميل تضمن كل ما يوحيه نبات البذور في حميل السيل من ضعف وتغير لون، تشبيه بلغ الروعة في نفوس الصحابة مما جعلهم يقولون:

((كأنك كنت ترعى بالبادية)).

هؤلاء القوم خرجوا من النار لما تضمنته قلو م من الإيمان القليل الذي لا يتجاوز مثقال حبة فكأن الصورة ـ والله أعلم ـ كما أن الحبة أصل وأساس إنبات البقول والخضروات فالإيمان الذي كمقدار الحبة أساس وأصل الحياة والنجاة من النار، نمو يبدأ بالضعف وينتهي بالنضرة الحسنة والحيوية التي تشبه جمال ومنظر النباتات.

قال العيني ـ رحمه الله ـ :

((والمعنى من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من ذلك الماء نضرا حسنا منبسطًا متبخترا كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متميلة))[٢].

أما في القرآن الكريم فجاءت الحبة في سياق مثل ضربة الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال تعالى:

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلةٍ مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ [٣].

((وهذا التمثيل تصوير للإضعاف))[١].

---

(1)ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٣٥/٣ ـ ٣٦.

(2)عمدة القاري ١٩٥/١.

(3)سورة البقرة ، آية: ٢٦١.

ومثل هذا النوع من الحب مشاهد في نبات الذرة والدخن، تشبيه تمثيلي الغرض منه بيان المضاعفة للصدقات قال ابن عباس:

((الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف))[٢].

وهذه المضاعفة لمن يشاء الله، لا لكل منفق، وذلك باعتبار أحوالهم.

جاءت الحبة في الحديث النبوي وفي القرآن الكريم بطريق التشبيه التمثيلي وفي الحديث كان المشبه أمر غيبي (الذين يخرجون من النار وعودة الحياة اليهم)) والمشبه به أمر حسي ((نبات الحبة في حميل السيل)).

أما الصورة في الآية الكريمة فكان المشبه أمر غيـبي ((مضاعفة الصدقات)) والمشبه به أمر محسوس ((خروج بذور كثيرة من حبة واحدة)).

صورتان عظيمتان اختلف الغرضان، وكانت الحبة عنصرا من عناصر الصورة.

ثانيا: الزرع وخامته:

((الخامة بالخاء المعجمة وتخفيف الميم هي الطاقة الطرية اللينة أو الغضة أو القضبة، وقيل الخامة: الزرع أول ما ينتب على ساق واحد ...))[٣].

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجعل المؤمن كمثل هذه الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتميلها أخرى.

ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها حتى يأتيه أجله، ومثل المنافق مثل الأرزة ا ذبة التي لا يصيبها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة))[٤].

---

(1) الكشاف ٣٠٦/١.

(2) تيسير العلي القدير ٢٢٦/١ ـ ٢٢٧.

(3) فتح الباري ١٠٦/١٠.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٢/١٧. وا ذبة: الثابتة، والأنجعاف: الانقلاع.

فالخامة من الزرع طرية غضة دائمة الخضرة والرواء، لينة ترتاح النفس لمشاهد ا، تلعب ا الريح يمنة ويسرة، فلا تضرها شيئاً، وهكذا المؤمن دائم البشر والابتسامة، لين في تعامله مع غيره، راوٍ بالإيمان ترتاح النفس وتشتاق لرؤيته، دائم الإبتلاء، صابر على أقدار الله ـ محتسب الأجر والمثوبة.

هذه المعاني أوحت ا الصورة النبوية، بعكس المنافق الذي يقصمه ربه فجأة.

أما الزرع في القرآن الكريم فجاء في التنويه بالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع رسول الله فهم معه كالشطء مع الزرع، قال تعالى:

﴿محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم......ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار ...﴾ (١).

يشبه سبحانه قوة إيمان الأمة وقو ا في بداية الإسلام بقوة الزرع الذي زاد الشطء قوته، فالرسول عليه الصلاة والسلام هو الزرع والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هم الشطء.

((قال عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي. وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام وحده، ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف ا مما يتولد منها حتى يعجب الزراع ...))(٢).

فالأمة ترقى يوما بعد يوم حتى أعجبت الناس وغيظ الكفار ذا النمو والقوة، يزداد والزرع يرجى خيره دائماً.

وقد جاء الزرع في القرآن الكريم في تشبيه الحياة الدنيا وأ ا قصيرة الأمد كالنبات المخضر الجميل المنظر، فسرعان ما يجف وتذروه الرياح. وقد سبق تحليل تلك النصوص في موضعها من هذه الدراسة.

---

(1) سورة الفتح ، آية: ٢٩. والشطء: فراخ الزرع من جوانبه.

(2) الكشاف ٣٣٩/٤.

ثالثاً: النخلة ومكونا ا:

انتزع الرسول - صلى الله عليه وسلم - من النخلة وأجزائها أمرين:

١ - أن المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، والمؤمن مثلها طيب الطعم الداخلي بما وقر في قلبه من إيمان، ولا ريح له لتركه قراءة القرآن.

ففي الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: قـال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

((.... ومصل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو...))[1].

٢ - أن النخلة مثل المؤمن في كثرة خيرها ودوام ظلها، وطيب ثمرها الدائم، وكثرة منافعها، وجمالها وحسن هيئتها.

ففي الصحيح ... أخبرني عبد الله بن دينار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

((إن من الشجر شجرة لا يقسط ورقها وإ ا مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أ ا النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: ((هي النخلة))[2].

إن كلاً منهما يحمل المعاني الجليلة، والمنافع الكثيرة.

أما النخلة في القرآن الكريم فجاءت في بيان الكلمة الطيبة، وأ ا كالنخلة يرفع ا عمل المؤمن.

والكلمة الطيبة شهادة ألا إله إلا الله، فالشهادة في قلب المؤمن ثابتة ضربت جذورها في أعماق قلبه، وأعماله ترفع إلى السماء في كل وقت وكل حين. والنخلة تؤتي أكلها كل حين، قال تعالى:

---

(1) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٨٣/٦ - ٨٤.

(2) المصدر السابق ١٥٣/١٧.

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ....﴾ (١).

((قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغيرهم: إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله الطيب، وعمله الصالح، وأن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود قال: هي النخلة))(٢).

هذه هي النخلة الشجرة المعروفة رمز الثبات والكرم ، قال تعالى لمريم:

﴿وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنياً﴾ (٣).

فهي مصدر العطاء بانواعه، والمؤمن كذلك، كله خير في ليلة و اره، وتعامله مع الناس والحيوان، وفي حياته وبعد مماته، فعمله يتوقف بعد الممات إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به.

إضافة إلى أن النخلة لا تشبهها بقية الأشجار، فورقها لا يسقط ولا يجف وهي حية، والمؤمن له صفات وتعامل يختلف عن غيره من الملل.

قال ابن حجر عن القرطبي:

((فوقع التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستورا بدينه، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيا وميتا))(٤).

ثلاث خصال اعتبرها الإمام القرطبي وجه شبه بين المؤمن والنخلة، وابن حجر ينظر إلى التشبيه في الحديث ويستخرج منه عدة فوائد وإيماءات أومأ إليها الحديث، يقول:

---

(1) سورة إبراهيم ، آية: ٢٤، ٢٥.

(2) تيسير العلي القدير.

(3) سورة مريم، آية: ٢٥.

(4) فتح الباري ١٤٧/١.

((وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته ...))[١].

وأورد صاحب "أمثال الحديث" عدة أحاديث تبين أن النخلة خلقت من بقية الطين الذي خلق منه آدم، قال - صلى الله عليه وسلم - :

((أكرموا عمتكم النخلة فإ ا خلقت من الطين الذي خلق منه آدم، وليس من الشجر شيء يلقّح غيرها، فأطعموا نسائكم الولد الرطب، فإن لم يكن الرطب فالتمر، وليس شيء من الشجر أكرم على الله تعالى من شجرة نزلت عندها مريم بنت عمران))[٢].

ووجه الشبه يتسع ويعظم إذا فهمت صفات كل طرف وخصائصه وخلعت على الطرف الآخر.

والنخلة من آيات الله، الداعية للتأمل والإيمان به سبحانه، فثمارها متعددة الأنواع والألوان، وتؤكل في اوقات مختلفة من نموها، قال تعالى:

﴿وهو الذى أنشأ جناتٍ معروشات وغير معروشات والنّخل والزّرع مختلفاً أكله﴾[٣].

وقد وردت آيات كثيرة ورد فيها جنس النخل ولكن بدون تشبيه، ولم يرد إلاّ في آية سورة إبراهيم السابقة حيث تم تشبيه المؤمن بإيمانه الناتج عن قوة إيمانيه بالنخلة.

ويلحظ العيني بفطنة وجه شبه آخر بين الإيمان والنخلة، يقول: ((قلت لأن الشجرة لا تكون إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عالٍ، وكذلك الإيمان لا يقوم ولا يثمر إلا بثلاثة أشياء، تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان))[٤].

---

(1) المصدر السابق ١٤٥/١ - ١٤٦.

(2) أمثال الحديث: الرامهرمزي ت/د/عبد العلي الأعظمي، بومباي، الدار السلفية، ط١، ١٤٠٤هـ.

(3) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

(4) عمدة القاري ٥/١٩.

إ ا لمحات دقيقة استنبطها واستخرجها العلماء، ولا يزال أكثرها بحاجة إلى مزيد من التأمل والتدبر.

وتأتي النخلة في القرآن الكريم عنصرا من عناصر التشبيه في تشبيه الأمم السابقة بعد أن نزل العذاب م، فبقاياهم كأعجاز النخل الملقى على الأرض قال تعالى في وصف عذاب قوم عاد:

﴿كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصرًا في يوم نحسٍ مستمر * تنزع النّاس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ (١).

قال ابن كثير:

((وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى يغيب عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه، فيبقى جثّة بلا رأس))(٢).

وجاء في وصفهم في سورة الحاقة قوله تعالى:

﴿كأنّهم أعجاز نخل خاوية﴾ (٣).

آيتان في كتاب الله وصفت الحالة التي كان عليها قوم عاد بعد عذاب الله لهم.

قال ابن عباس:

((خاوية: خربة أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأ ا قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان))(٤).

قال الزمخشري:

((وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض، ويتدخلون في الشعاب، ويحفرون الحفر، فيندسون فيها، فتنـزعهم وتكبهم وتدق رقا م... يعني أ م كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام، كأ م أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع، منقعر:

---

(1) سورة القمر، آيات: ١٨ ـ ٢٠.

(2) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٢٧٠/٤ ـ ٢٧١.

(3) سورة الحاقة، آية: ٧.

(4) تيسير العلي القدير ٤١٤/٤ ـ ٤١٥.

منقلع عن مغارسه، وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم، فتبقى أجسادا بلا رؤوس))[١].

شبه سبحانه وتعالى قوم عاد بعد إرسال الريح عليهم تعذيبا لهم بأعجاز النخل في الطول وعدم الفائدة وقد دل على وجه الشبه بقوله ((منقعر، خاوية)) وهذا وصف للدمار الذي حلّ م فبقيت أجسادهم جثثاً هامدة بلا رؤوس.

رابعاً: الحنظلة:

((الحنظل: الشجر المر ... وقد حظل البعير بالكسر إذا أكثر من الحنظل، فهو حظلٌ وإبل حظَالى))[٢].

انتزع عليه الصلاة والسلام من الحنظل مثلاً للمنافق التارك لقراءة القرآن. فهو خبيث الباطن والظاهر، كالحنظلة المرة الطعم الفاقدة للرائحة.

قال عليه الصلاة والسلام : ((... ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر))[٣].

فالكافر والمنافق حقيران بين بقية المخلوقات كحقارة الحنظلة، لا جذور لها، سريعة الفناء، لا يستفاد منها حيةً كانت أو ميتة، لا ترتفع ارتفاع بقية الأشجار، والمنافق مثلها سطحي في فكره، أعماله دنيئة حقيرة.

القرآن الكريم يجعل كلمة الكفر في عدم ثبا ا وانعدام أصل تنتمي له بشجرة الحنظل، قال تعال:

﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ [٤].

((هذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات، مشبه لشجرة الحنظل ... كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل، ولا يقبل منه شيء))[٥].

---

(1) الكشاف ٤٢٥/٤ ـ ٤٢٦.

(2) اللسان ٣٦٢/٣، مادة ((حنظل)).

(3) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٨٣/٦ ـ ٨٤.

(4) سورة إبراهيم، آية: ٢٦.

(5) تيسير العلي القدير ٥٤/٢.

فكلمة الكفر والشرك لا قرار لها في الأرض كشجرة الحنظل سهلة الاقتلاع.

قال قتادة:

((قيل لبعض العلماء: ما تقول في كلمة خبيثة؟ فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقراً، ولا في السماء مصعدا، إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي ا القيامة))[١].

المبحث الثاني:

عنصر الحيوان:

الحيوان آية من آيات الله، مخلوق عظيم يشترك مع الإنسان في صفات كثيرة قال عبد السلام هارون محقق كتاب الحيوان:

((إن البحث في شأن الحيوان ضرب من ضروب التعبد، ولون من ألوان البحوث الدينية التي تنتهي بصاحبها إلى معرفة عظمة الله وعظم ما أبدع وبرأ ...))[٢].

ولكل حيوان صفات ومميزات يتميز ا عن غيره إما في الخلق أو الطبائع، وقد أمر سبحانه بالتفكر في خلق الإبل قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ [٣].

والحيوان من الأشياء التي اهتمت ا جميع الأمم، فوجدناه بارزاً في كلامها نثرا وشعرا، ووجدناه منقوشاً على الصخور وجدران الكهوف.

وقد كثر عنصر الحيوان في تشبيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه أعلم الناس بصفا ا، وأغرب طبائها، فقرب تلك المعاني بطريق التشبيه لها بصفات وأحوال الحيوانات المألوفة.

ومن الحيوانات التي جعلها عليه الصلاة والسلام عنصرا من عناصر الصورة:

١ ـ الإبل:

---

(1) الكشاف ٥٣٢/٢.

(2) مقدمة كتاب الحيوان ٢٣/١، تحقيق عبد السلام هارون.

(3) سورة الغاشية، آية: ١٧.

الإبل من أنفس ما يمتلكه العربي من الحيوانات، ولها صلة وثيقة وعظيمة بحياته في سفره وإقامته قال تعالى:

﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاَّ بشق الأنفس ...﴾ [(١)].

والعربي دائم التغني ا في رحلاته الصحراوية.

وجاء عنصر الإبل في كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في احاديث كثيرة، انتزع عليه الصلاة والسلام في كل حديث وجه شبه تضمنته أحوال وصفات الإبل، فجاءت كالتالي:

أ ـ الإبل المعقّلة:

استخرج عليه الصلاة والسلام من الإبل المعقلة صورةً بيانية، حيث شبه من يتعاهد القرآن بالمدارسة والمراجعة المستمرة بالإبل المعقلة، ووجه الشبه ضمان البقاء في كلٍ.

ففي الصحيح من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت))[(٢)].

قال العيني:

((والمعقلة بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف أي المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد به ركبة البعير))[(٣)].

فالقرآن كالإبل بحاجة إلى مداومة وتفقد مستمر حتى لا يذهب من الصدور.

ونلحظ أن أحدهما إذا ذهب وهرب لا يمكن استرجاعه إلاّ بعد مكابدة ومعاناة طويلة.

ب ـ البعير الغريب:

---

(1) سورة النحل، آية: ٧.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٧٥/٦.

(3) عمدة القاري ٤٧/٢٠.

انتزع عليه الصلاة والسلام عنصر الإبل الغريبة لبيان معنى أن هناك أقواماً يصدون ويذادون ويمنعون من الورود على الحوض النبوي يوم القيامة كما يذاد البعير الغريب.

قال صلى الله عليه وسلم:

((ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله ....))[1].

شبه عليه الصلاة والسلام ذوده أقواماً يوم القيامة عن حوضه بحال الراعي الذي يطرد الإبل الغريبة عن حوض الماء حتى لا تشرب مع إبله.

جـ ـ أسنمة البخت:

انتزع عليه الصلاة والسلام من هذا العنصر تشبيهاً لحال من أحوال نساء آخر الزمان حيث يكن على صورة تشبه رؤوسهن أسنمة البخت المائلة وذلك بوضع شعورهن بطريقة معينة، وتسريحات غريبة.

ففي الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((صنفان من أهل النار لم أرهما ... ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ....))[2].

((والبختي من الإبل جمعه بخاتي غير مصروف ولك التخفيف في الباء في الجمع والأنثى بختية))[3].

إ ا صفات كثرت وانتشرت في زماننا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إنه تصوير دقيق لهؤلاء النسوة مائلات عن طاعة الله متبخترات يمشين مميلات لأكتافهن يمتشطن المشطة الميلاء ويمشطن غيرهن تلك المشطة ويجمعن شعرهن على رؤوسهن كأ ن من الإبل البخاتي ذوات الأسنمة المائلة إلى شق.

٤ ـ الراحلة:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٥/٣ ـ ١٣٦.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٩/١٤ ـ ١١٠.

(3) مختار الصحاح اللرازي، دار المنار ، ص٤١.

جعل الرسول عليه الصلاة والسلام ندرة أهل الخير والكرام في الناس كندرة الراحلة في الإبل المائة.

ففي الصحيح من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((تجدون الناس كإبلٍ مائة لا يجد الرجل فيها راحلة))[١].

والراحلة ((النجيبة من الإبل المختار منهم، وإن كانت فيهم عرفت))[٢].

فالراحلة تحتمل المشاق والسفر الطويل وهي صفوة الإبل، والكريم من الناس نادر الوجود ولا تتوفر هذه الصفات في الإبل والبشر إلا بعد مجاهدة ومران وطول تجربة.

((أراد أن الكامل في الخير والزهد في الدنيا مع رغبته في الآخرة والعمل لها قليل، كما أن الراحلة النجيبة نادرة في الإبل الكثيرة))[٣].

د ـ أعناق البخت:

جاء هذا العنصر في تشبيه أعناق الطير التي يرسلها الله عز وجل بعد نزول عيسى ـ عليه السلام ـ لتحمل جثث قوم يأجوج ومأجوج بأعناق البخت في عظمها.

جاء ذلك في حديث طويل عن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدجال ذات غداة .... قال: ((فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ....))[٤].

رأينا كيف استخدم عليه الصلاة والسلام عنصر الإبل في مواضع مختلفة بناءً على الغرض الذي سيق التشبيه من أجله، إما باعتبار الصفات والغرائز أو باعتبار الشكل الخارجي والحجم كما في بيان أجر من بكّر لصلاة الجمعة فكأنه قدم بدنة بجامع بيان مقدار الأجر.

وقد وردت الإبل في القرآن الكريم في مواضع متفرقة، والقرآن الكريم يقرب لنا صورة غيبية من صور الآخرة وهي مدى عظم شرر جهنم.

قال تعالى:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠١/١٦.

(2) فتح الباري ٣٣٥/١١.

(3) لسان العرب ١٧١/٥.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٣/١٨ ـ ٧١.

﴿إنها ترمى بشرر كالقصر * كأنّه جملتٌ صفر﴾ [١].

فشبه سبحانه شرر جهنم بالإبل في حجمها ولو ا.

كما جاءت الإبل عنصرا من عناصر التشبيه في الصورة التي أوضحها سبحانه لمدى شرب الكافرين في جهنم لشرب الحميم، وأ م يشربون شربا متواصلاً لا يقطعه الإرتواء كشرب الإبل المصابة بالهُيام.

قال تعالى:

﴿فشاربون عليه من الحميم * فشربون شرب الهيم﴾ [٢].

قال السدي: الهيم: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبدا حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدا))[٣].

معان عظيمة وأمور غيبية تم تشبيهما بالإبل أو بعض صفا ا تقريبا للأفهام، والعرب يدركون تلك الصفات ويعايشو ا.

٢ـ الحمار:

والحمار ((النهاق من ذوات الأربع، أهليا كان أو وحشيا. وقال الأزهري: الحمار العير الأهلي والوحشي وجمعه أحمرة وحمر وحمير وحمور وحمورات كجزرات وطُرقات، والأنثى حمارة))[٤].

والحمار من أغبى الحيوانات وأحقرها، وصوته من أنكر الأصوات قال تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [٥]. والحمار يدل على الكد والإهانة.

---

(1) سورة المرسلات، آية: ٣٢ ـ ٣٣.

(2) سورة الواقعة، آية: ٥٤، ٥٥.

(3) تيسير العلي القدير ٢٩٥/٤.

(4) اللسان ٣١٩/٣ ـ ٣٢٠.

(5) سورة لقمان، آية: ١٩.

وقد انتزع عليه الصلاة والسلام عنصر الحمار في تشبيه من كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه فهو يجر أمعاءه في النار ويدور ا كما يدور الحمار حول الرحى.

ففي الصحيح عن أسامة بن زيد أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور ا كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: بلى. قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأ ى عن المنكر وآتيه))[1].

شبه عليه الصلاة والسلام حالة الرجل وهو في النار يجر أمعاءه والناس ينظرون بحالة الحمار يدور حول الرحى.

وهذا الرجل مثل الحمار يحمل العلم دون الانتفاع والتطبيق فهو يعرف المعروف ويأمر به دون عمله ويدرك خطر المنكر فينهى عنه الناس ويقوم بفعله.

وقد جاء عنصر الحمار في القرآن الكريم لبيان حالتين هما:

١ ـ نفور الكافرين من الدين وكره سماع المواعظ كنفور الحُمر من الأسد، قال تعالى: ﴿فمالهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حُمُر مستنفرة * فرَّت من قسورة﴾ [2].

((شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر في نفارها مما أفزعها، وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة و جين لحالهم بين))[3].

والحمر إذا خافت أسرعت في الهرب، وفي هذا توبيخ وتحقير لهم، وأ م مصابون بالبله وقلّة العقل.

٢ ـ اليهود قرأوا التوراة وحفظوها ولم يعملوا بما جاء فيها فمثلهم كمثل الحمار الذي يحمل كتب العلم على ظهره ولا يدري ما فيها.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٧/١٨ ـ ١١٨.

(2) سورة المدثر، آية: ٤٩ ـ ٥١.

(3) الكشاف ٦٤٣/٤.

قال تعالى:

﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بئايت الله والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ [1].

لقد حرموا أنفسهم من أنفع نافع، وهو العلم فلم يعملوا به مع أخذ أعلى درجات التعب وصعود قمم النصب، فهم كالدواب تحمل الأشياء دون عائد عليها بنفع.

((وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله)) [2].

والآية والحديث يشتركان في نفس العنصر، وأ ما يحذران من مخالفة القول للعمل وتصوير تلك بأبشع صورة في مشهد مليء بالذل والتعب والإرهاق.

٣ـ الكلب:

الكلب حيوانٌ معروف، ((والكلب مثل في لؤم الأصل، وخبث الطبع، وسقوط القدر، والخسة ومهانة النفس ...)) [3].

وقد عرف الكلب حارسا وحاميا للبدو في الجزيرة العربية خاصةً رعاة الأغنام، وقد كان للكلب مزيد من العناية والاهتمام لما يقوم به من حماية ووفاء.

والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشبه العائد في صدقته بالكلب الذي أكل أكلاً فامتلأ بطنه ثم تقيأ، فعاد إلى قيئه فأكله.

روى الإمام مسلم بسنده أن عمر بن الخطّاب قال: حملت على فرس عتيق في سبيل الله فأضاعه صاحبه، فظننت أنه بائعه برخص، فسألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك، فقال: ((لا تبتعه ولا تعد في صدقتك، فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه)) [4].

---

(1) سورة الجمعة، آية: ٥.

(2) الكشاف ٥١٨/٤.

(3) الحيوان، للجاحظ ١٠٢/١.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٢/١١.

صورة مقيتة تقز منها النفس، والغرض من الحديث التحذير والتنفير واستبشاع أمر الرجوع في الصدقة أو الهبة مهما كانت الظروف.

فالعبد يدفع الصدقة لتطهير ماله ونفسه من الشوائب وأدران المعاصي، فإذا عاد فيها عادت إليه بأوساخ الذنوب فكأنه كلب تقيأ ثم عاد فأكل قيأه.

والمرء عند دفع الصدقة ذو مروءة ونبل، فإذا عاد في صدقته أنتقل وتحول من هذه الصفات الحسنة إلى الخسة والدناءة.

وقد جاء الكلب عنصرا من عناصر التشبيه في القرآن الكريم حيث شبه من أتاه الله الآيات وعلمه إياها ثم انسلخ منها وتركها بالكلب في أقبح حالاته وهو يلهث. قال تعالى:

﴿واتل عليهم نبأ الذى ءاتينه ءايتنا فانسلخ منها فأتبعه الشَّيطان فكان من الغاوين* ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ [(1)].

جاء في التفاسير أ ا نزلت في رجل يقال له بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل.

((هو بلعام بن باعوراء ويتصل نسبه بلوط بن هاران بن آزر. قال ابن عساكر: وهو الذي كان يعرف الاسم الأعظم فانسلخ من دينه وله ذكر في القرآن...

أي صار مثل الكلب في ضلاله واستمراره فيه، هذا من حيث أنّ الكلب من عادته أن يلهث إن زجرته أو تركته، وكذلك بلعام لم يعد ينتفع بالدعاء إلى الإيمان أو عدم الدعاء، ففي الحالتين لا ينتفع بالموعظة ولا بالدعوة إلى الإيمان أو بعدمهما كما قال تعالى:

﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون....﴾ [(٢)])).

فالكلب في التشبيهين في أحقر حالاته وأذلها وأخس صفة من صفاته، فهو يأكل قيأه في الحديث، ويلهث لهثًا متواصلاً في الآية.

---

(1)سورة الأعراف، آية: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(2)تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٢٥٤/٢، والكشاف ١٧٢/٢.

((قيل أنه لمّا دعا بلعم على موسى ـ عليه السلام ـ خرج لسانه فوقع على صدره، وجعل يلهث كما يلهث الكلب ...))[١].

٤ ـ الحية:

((والحية: الحنش المعروف، اشتقاقه من الحياة ... ويجوز أن يكون من التحوي لانطوائها،والمذكّر والمؤنث في ذلك سواء))[٢].

وقد جعل عليه الصلاة والسلام الحية عنصرا في تشبيه عودة ورجوع الإيمان إلى المدينة برجوع الحية إلى جحرها إذا خافت.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها))[٣].

قال الشريف الرضي:

((والمراد أن الإسلام ليأوي إلى المدينة كما تأوي الحية إلى جحرها، وأصل ذلك مأخوذ من التقبض والاجتماع، يقال: ارز أروزا إذا كان منه ذلك، فجعل عليه الصلاة والسلام المدينة كالوجار للإسلام يتقلص إليها وينضم إلى حماها لأ ا قطب مدراه ونقطة ارتكازه))[٤].

((وأرزت الحية تأرز: ثبتت في مكا ا، وأرزت ـ أيضا ـ لاذت بجحرها ورجعت إليه قال الأصمعي: يأرز أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها))[5].

والإيمان بدأ انتشاره من المدينة إلى أصقاع الدنيا، فإذا تمت محاربته تقلّص، وبدأ التطبيق لمبادئه وتعاليمه يتراجع، وإن أهله يعودون ويتوجهون إلى المدينة خوفاً على دينهم.

فهو مثل الحية ((تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها))[١].

---

(1) الكشاف ١٧٢/٢.

(2) اللسان ٤٣١/٣.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٥/٢ ـ ١٧٦.

(4) ا ازات النبوية ص٨٥.

(5) اللسان ١١٥/١.

فالإيمان يعود إلى المدينة ويجتمع بعضه على بعض على هيئة مليئة بالخوف والذعر، وفراراً من الفساد المنتشر خارجها.

وقد جاء ذكر الحية في القرآن الكريم، وذلك في بيان معجزة نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ قال تعالى:

﴿وألق عصاك فلمّا رءاها تهتز كأنها جآنٌ ولّى مدبرًا ولم يعقب يا موسى لا تخف إنّى لا يخاف لدىَّ المرسلون﴾ [(٢)].

((أي أمره أن يلقى عصاه فألقاها من يده، فانقلبت في الحال حيةً عظيمة في غاية الكبر وسرعة الحركة، والجان نوع من الحيات أسرعها حركةً وأكثرها أضطرابا...))[(٣)].

شبه سبحانه عصا موسى عند إلقائه إياها في حركتها وشدة اضطرا ا بالحية.

فالحديث انتزع من الحية حالة من حالا ا وهي الرجوع إلى جحرها إذا خافت، والآية انتزعت من الحية صفة الاضطراب والحركة الشديدة، التي أخافت نبي الله.

وقال سبحانه عن تلك العصا في موضع آخر:

﴿فألقاها فإذىٰ هى حيّة تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ [(٤)].

أي صارت حالاً ثعبانا عظيماً يتحرك حركة سريعة، كأ ا جان وهو أكثر الحيات حركةً ولكنه صغير، أما هذا الثعبان فهو في غاية الكبر وغاية السرعة....))[(٥)].

المبحث الثالث:

عنصر الجماد:

لقد انتزع عليه الصلاة والسلام من عنصر الجماد صفات قرب من خلالها تلك المعاني المقصودة.

---

(1) فتح الباري ٩٣/٤، وعمدة القاري ٢٤٠/١.

(2) سورة النمل، آية: ١٠.

(3) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٣٥٧/٣.

(4) سورة طه، آية: ٢٠، ٢١.

(5) تيسر العلي القدير ١٣٠/٣.

ولكل جماد صفات يتميز بها عن غيره، وكان وجه الشبه هو تلك الصفة التي دلّ عليها السياق.

وهناك عدة جمادات استخدمها عليه الصلاة والسلام كالصفا، واللؤلؤ، والبنيان، والجبال، وغير ذلك.

١ ـ الصفا:

جاء في اللسان: ((قال ابن السكيت: الصفا العريض من الحجارة الأملس جمع صفاة))، قال ابن سيدة: ((الصفاة الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً))[١].

وقد شبه عليه الصلاة والسلام القلب الذي أنكر الفتن ولم يقبلها ولم تؤثر فيه بالصفا، فالفتن مهما كثرت لا تضره.

قال عليه الصلاة والسلام:

((... وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض...))[٢].

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ:

((ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا))[٣].

فقوة إيمان ذلك القلب منعت دخول الفتن إليه وتأثره بها.

وقد ورد ذكر الصفا في القرآن الكريم في تشبيه أعمال الكفار والمنافقين والمرائين بالتراب على الصفوان بعد إصابة المطر له.

قال تعالى:

---

(1) اللسان ٣٧١/٧، مادة ((صفا)).

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٠/٢ وما بعدها.

(3) المصدر السابق ١٧٢/٢ "الهامش".

﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدًا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ [1].

مثله كمثل صفوان، مثله ونفقته التي لا ينتفع ا البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب...))[2].

حجر أملس عليه تراب أصابه المطر فلم يترك من ذلك التراب شيئاً، فتركه صلدا.

قدموا أعمالاً يحسبون أ ا ستنفعهم يوم القيامة، فيجعلها ـ سبحانه ـ هباءً منثوراً، كحال من أراد أن يزرع على صفا أملس عليه تراب فلما أصابه المطر ذهب ذلك التراب وبقي الحجر الذي لا يصلح للإنبات.

فأعمالهم كالتراب عند الله تضمحل وتذهب، لا يجنون منها نفعاً.

فمن رأى ذلك المنفق ظن أنه أرضاً منبتة طيبة، فإذا أصابه وابل من المطر ذهب ذلك التراب، فتبين أنه حجر لا مجال للإنبات فيه، فذلك المنفق نيته خبيثة لا يجني من ورائها خيرا.

وقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن قلوب اليهود أشد من الحجارة في صلابتها وذلك بعدما شاهدوه من آيات الله وخاصةً إحياء الموتى، فقلو م قاسية لا تلين لموعظة أبداً.

قال تعالى:

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾ [3].

ثم بين سبحانه أن الحجارة ألين منهم فهي تخشى الله ... وفيها منافع كثيرة فالأ ار تتفجر من الجبال فيخرج الماء من بين الصخور.

---

(1) سورة البقرة /٢٦٤.

(2) الكشاف ٣٠٧/١ ـ ٣٠٨.

(3) سورة البقرة ، آية: ٧٤.

٢ـ اللؤلؤ:

((اللؤلؤة: الدرة، والجمع اللؤلؤ واللآليء وبائعة لأآءٌ ولأآلٌ ولألأءٌ))[١].

وقد انتزع عليه الصلاة والسلام من اللؤلؤ تشبيهاً لمن أخرجهم الله برحمته من النار بعد إدخالهم ـر من أ ـار الجنة واغتسالهم منه، يخرجون من ذلك النهر كاللؤلؤ في الصفا والبياض والإشراق.

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ حيث قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((... فيخرجون كاللؤلؤ في رقا ـم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه...))[٢].

غير الله أشكالهم إلى أحسن صورة فهم كاللؤلؤ في إشراقة وبياضه.

وقد جاء اللؤلؤ عنصراً في كلامه عليه الصلاة والسلام في سياق الحديث عن عيسى ابن مريم عليه السلام عند نزوله بالشام.

عن النواس بن سمعان قال: ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الدجال....

((فيـ ل عند المنارة البيضاء شرقي دمش بين مهر ودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفَسه إلاّ مات ينتهي حيث ينتهي طرفه ....))[٣].

تحدر منه جمان كاللؤلؤ قال النووي:

((الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه فسمي الماء جماناً لشبهه به في الصفاء...))[٤].

فوجه الشبه في هذا التشبيه الصفاء والبياض والحجم واللمعان....

---

(1)اللسان ٢١١/١٢.

(2)صحيح مسلم بشرح النووي ٣٣/٣.

(3)المصدر السابق ٦٣/١٨ ـ ٧١.

(4)المصدر السابق "الهامش" ٦٧/١٨.

وقد ورد ذكر اللؤلؤ في القرآن الكريم في سياق الحديث عن حور الجنة وما يتميزن به من جمال يفوق الوصف، قال تعالى:

﴿وحورٌ عينٌ* كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ (١).

وصفهن بشدة الجمال وغاية الحسن أي ((كأ ن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه ...))(٢).

وجميع المعاني التي جاء التشبيه لبيا ا في الحديث والقرآن من المعاني الغيبية التي يجب علينا الإيمان والتصديق ا، والغرض منها تحسين المشبه وبيان مقدار ما هم فيه من جمال.

كما جاء اللؤلؤ في القرآن الكريم لوصف حسن الولدان المخلدين قال تعالى:

﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ (٣).

قال ابن كثير:

((أي إذا رأيتهم منتشرين في قضاء حوائج السادة وحسنهم في وجوههم وصباحتهم كأ م اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن ....))(٤).

واللؤلؤ من أنفس الحلي وبياضه معلوم وصفاؤه لا يشاب إضافةً إلى اللمعان والنقاء الخاص به.

٣ـ الرماد:

والرماد ((دقاق الفحم من حراقة النار وما هبا من الجمر فطار دقاقاً ...))(٥).

انتزع عليه الصلاة والسلام من الرماد الحار بيان ما يعانيه قاطع الرحم من الألم بسبب قطيعة أرحامه مع وصلهم له وإساءته لهم مع إحسا م إليه وجهله عليهم مع حلمهم عنه، فحاله كحال من أُجبر على أكل الرماد الحار.

---

(1) سورة الواقعة، آية: ٢٢، ٢٣.

(2) تيسير العلي القدير ٢٩٠/٤.

(3) سورة الإنسان، آية: ١٩.

(4) تيسير العلي القدير ٤٦١/٤.

(5) اللسان ٣١١/٥ مادة (رمد).

عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إني لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: ((إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك))[1].

إنه ألمٌ عظيم يلحق بذلك العاصي، عذاب كعذاب من يأكل الرماد الحار جبراً.

وفي أكلهم للرماد معنى الحقارة والخزي مع بشاعة الصورة التي ترتسم في الذهن المغذّاة بالفعل المضارع ((تسفهم)) وما فيه من تجدد لذلك الحدث مع كل إحسان من ذلك الواصل.

وجاء ذكر الرماد في القرآن الكريم في بيان أعمال الكافرين يوم القيامة، وأ ا كالرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، قال تعالى:

﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ [2].

((شبهها في حبوطها وذها ا هباءً منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به، وكو ا لوجهه برماد طيرته الريح العاصف، ((لا يقدرون)) يوم القيامة ((مما كسبوا)) من أعمالهم ((على شيء)) أي لا يرون له أثراً من ثواب، كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ...))[3].

فأعمالهم رماد في حقيقتها وحقار ا لأ ا خالية من الإيمان، ويوم القيامة تكون هباءً منثوراً تذروها الرياح كما يتناثر الرماد ويصعب الاستفادة منها.

لم ينالوا من أعمالهم إلا التعب ﴿عاملةٌ ناصبة * تصلى نارًا حامية* تُسقى من عين ءانية * ليس لم طعام إلاّ من ضريع * لا يُسمن ولا يُغنى من جوع﴾ [4].

فأعمالهم بنيت على شفا جرف هار يوشك أن ينهار، فتظهر حقيقتها يوم القيامة، فتكون كالرماد في حقارته وخفة وزنه واستحالة الفائدة منه وهو متطاير.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٥/١٦.

(2) سورة إبراهيم، آية: ١٨.

(3) الكشاف ٥٢٦/٣، تيسير العلي القدير ٥٣٦/٢.

(4) سورة الغاشية ٣ ـ ٧.

﴿وأما من خفت موازينه * فأمُّه هاوية * وما أدراك ما هيه* نارٌ حامية﴾ [1].

٤ ـ البنيان:

((والبنيان: الحائط))[2]، وقد انتزع عليه الصلاة والسلام من عنصر البناء تشبيهاً لمعنيين هما:

أ ـ تمام الرسالة به عليه الصلاة والسلام، فكأن جميع الرسالات السابقة بنيان اكتمل ببعثته عليه الصلاة والسلام، فهو اللبنة التي اكتمل ا البناء، فأعطيت ذلك البناء هيئة حسنة ومنظرا جميلاً.

عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))[3].

((واللبنة هي القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء))[4]، فالشرائع السماوية بناءٌ عظيم وحصن حصين تم اكتماله وجماله بالرسالة المحمدية، وفي البناء معنى الأمان والاطمئنان والحفظ من كل سوء، كذلك دين الله من تمسك بمنهجه وقاه الله من كل سوء.

فدين الأنبياء واحد، جميعهم يدعو إلى عبادة الله وإن اختلفت كتبهم ، قال عليه الصلاة والسلام:

((أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات أمها م شتى ودينهم واحد))[5].

---

(1) سورة القارعة ٨ ـ ١١.

(2) مختار الصحاح /٥١.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٥١/١٥.

(4) فتح الباري ٥٥٩/٦.

(5) عمدة القاري ٨٩/١٣.

ب ـ تماسك المؤمنين ومساندة بعضهم لبعض، فهم كالبنيان في قوته وفي دفاعهم عن أمورهم من أرض وعرض ودين، فالتلاحم والتعاون صفة بارزة يتصفون ا.

قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[1]، دعوة إلى التلاحم والتآخي والمساعدة، كلمتهم واحدة وهدفهم واحد، وهذا ما يوحي به فعله عليه الصلاة والسلام في رواية البخاري: ((وشبك بين أصابعه))[2]، فهذا الفعل منه عليه الصلاة والسلام زاد المعنى قوةً وتأكيداً لوجه الشبه، قال ابن حجر: ((هو بيان لوجه التشبيه أيضاً أي يشد بعضهم بعضاً مثل هذا الشد، ويستفاد منه أنّ الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع))[3].

ففي وقوف المؤمن مع أخيه المؤمن جنباً إلى جنب إرهاب للعدو وقطع لحبل أطماعه في المسلمين.

والبناء جاء في القرآن الكريم في سياق الحديث عن ا اهدين، وأنّ الله يحبهم حبا يليق بجلاله وهم يقاتلون عدو الله وعدوهم صفاً.

قال تعالى:

﴿إنّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

قال قتادة:

((ألم تر صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه، فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره، وأن الله صف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلا م، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به))[4].

قال الزمخشري:

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٩/١٦.

(2) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٨٧/٤.

(3) فتح الباري ٤٥٠/١٠.

(4) تيسير العلي القدير ٣٥٤/٤ ـ ٣٥٥.

((ويجوز أن يريد استواء نيا م في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص))(١).

فهذه صفة يحبها الله ـ عز وجل ـ من صفات المؤمنين في حال الحرب وترغيب لهم في التحام بعضهم إلى بعض فهدفهم واحد وكلمتهم واحدة يجاهدون في سبيل الله يدافعون عن حرمات المسلمين.

وكلمة ((مرصوص)) تبين ما يجب أن يكونوا عليه من دقة وحكمة عند القتال، فالحديث بين ما يجب أن يكون بين المؤمنين من رحمة وتعاطف ومساندة بعضهم لبعض في أمورهم الحياتية، والآية بينت صفة يحبها الله في ا اهدين يجب أن يتصفوا ا في الجهاد.

٥ ـ الجبل:

الجبل((اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطواد والشناخيب، وأما ما صغر وانفرد فهو من القنان والقور والأكم، والجمع أجبل وأجبال وجبال))(٢).

وقد جاء عنصر الجبل في الحديث النبوي لبيان أربعة أشياء هي:

أ ـ أجر من تبع جنازة.

ب ـ أمنية الرسول صلى الله عليه وسلم.

جـ ـ ذنوب بعض المسلمين يوم القيامة.

د ـ ضرس الكافر يوم القيامة.

والجبل أضخم شيءٍ رأته العين وهو مضرب المثل في الحجم والثبات ففي الحديث الأول جاء الجبل لبيان الأجر الذي يناله من صلى على جنازة ثم تبعها حتى تدفن.

قال صلى الله عليه وسلم:

---

(1) الكشاف ٥١٠/٤.

(2) اللسان ١٦٩/٢.

((من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان. قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين))(١).

والقيراط مقدار من الثواب معلوم عند الله تعالى(٢).

فالقيراط مثل الجبل العظيم في حجمه، وجاء في بعض الروايات مثل جبل أحد، وجبل أحد يعرف المسلمون مقدار حجمه، فالحديث يرغب ويحث على اتباع الجنائز والصلاة عليها حتى تدفن.

والحديث الثاني جاء الجبل فيه عنصرا لبيان حب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ للإنفاق، وترغيب الصحابة في ذلك العمل مهما كان المال كثيراً إلا بعضه كقضاء الدين وغيره.

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:

إن خليلي أبا القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعاني فأجبته فقال: ((أترى أحداً؟)) فنظرت ما علي من الشمس وأنا أظن أنه يبعثني في حاجة له فقال: ((ما يسرني أن لي مثله ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير ....))(٣).

هذا بيان أن حب المال مهما بلغ فالإنفاق في سبيل الله أحب.

توجيه نبوي كريم ثبته في النفس أسلوب التشويق الوارد في الحديث : ((أترى أحداً؟)).

فالجبل هنا أدى معنى المال الكثير، جبل من ذهب، إنه مال عظيم ولكن حب الإنفاق غلب حب اكتنازه.

أما الحديث الثالث فجاء عنصر الجبل ليدل على عظم ذنوب بعض المسلمين يوم القيامة التي يغفرها الله لهم.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٧ ـ ١٤.

(2) المصدر السابق ١٤/٧"الهامش"، وعمدة القاري ٣١١/١.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٧٧/٧ ـ ٧٨.

((يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ...))[١].

فذنو م بلغت من الكثرة ما يساوي الجبال في حجمها، ولكن رحمة الله لا يحول دو ا شيء، فذنو م بلغت أمثال الجبال، والجبال فيها مكونات عدة من أحجار وأشجار مختلفة الأحجام والألوان، وكذلك تلك الذنوب منها الصغائر والكبائر.

ليست جبلاً واحدا بل جبال كثيرة من الذنوب، يجعلها الله على اليهود والنصارى.

وقد أورد الإمام النووي المقصود بوضعها على اليهود والنصارى[٢].

وفي الحديث الرابع جاء الجبل عنصرا من عناصر التشبيه النبوي وذلك لبيان التغيرات التي تطرأ على الكافر في جهنم من تغير في حجم أعضائه، قال صلى الله عليه وسلم:

((ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث))[٣].

فحجم ضرس الكافر مثل جبل أحد، هذا ضرسه فكيف أعضاؤه الأخرى؟ لاشك أ ا ستكون بأحجام عظيمة، وذلك لزيادة العذاب.

إ ا صورة مخيفة يكون عليها الكافر يوم القيامة، نسأل الله العافية.

إنه عذاب أليم يتعرض له الكافر، جسم عظيم وسماكة في الجلد ومع ذلك ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ...﴾ [٤].

وقد ورد عنصر الجبل في القرآن الكريم في بيان:

ـ معجزة موسى عليه السلام.

ـ وصف السفن في البحار والمحيطات.

لمّا خرج موسى مع بني إسرائيل من مصر تبعه فرعون بجنوده، حتى وصل موسى وقومه إلى شاطئ البحر، فأمره ربه أن يضرب بعضاه البحر فظهرت المعجزة الربانية المؤيدة

---

(1) المصدر السابق ٨٦/١٧.

(2) المصدر السابق ٨٥/١٧ "الهامش".

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨٦/١٧.

(4) سورة النساء، آية: ٥٦.

للرسالة النبوية، حيث انشق البحر اثني عشر طريقاً يمر فيها بنو إسرائيل للنجاة من فرعون وقومه قال تعالى:

﴿فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فرق كالطوّد العظيم﴾ (١).

صار البحر أثني عشر طريقاً لكل سبط طريق، وكل فرق كالطود ((والطود: الجبل العظيم المنطاد في السماء))(٢).

شبه سبحانه الفرق التي بين الطرق بعد ضرب موسى ـ عليه السلام ـ للبحر بالعصا بالجبال العظيمة في ارتفاعها.

قال السدي:

((صار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض وقام الماء على حيلة كالحيطان، وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته، فصار يبساً كوجه الأرض، قال تعالى:

﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ (٣).

والفرق: القسم، والجمع أفراق..... وأخذت حقي منه بالتفاريق.

والفرق: الفلق من الشيء إذا انفلق منه ﴿وأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق الطود العظيم﴾ أراد فانفرق البحر فصار كالجبال العظام وصاروا في قراره....))(٤).

أما الآية الأخرى فجاءت في سورة الرحمن، جاءت في سياق الحديث عن نعم الله تعالى ومن بينها السفن العظام تجري في البحار برحمة الله وفضله، قال تعالى:

﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام * فبأى ءالاء ربكما تكذبان﴾ (٥).

---

(1) سورة الشعراء، آية: ٦٣.

(2) الكشاف ٣٠٦/٣ ـ ٣٠٧.

(3) تيسير العلي القدير ٣٣٤/٣.

(4) اللسان ٢٤٣/١٠، ٢٤٤ مادة ((فرق)).

(5) سورة الرحمن، آية: ٢٤، ٢٥.

شبه تبارك وتعالى السفن في البحار بالجبال العظام في حجمها ووز ا، وهذه آية من آيات الله، أحجام كبيرة وأوزان ثقيلة تطفو على سطح البحر، نعمة عظيمة يتم التنقل وحمل البضائع من خلالها.

فالسفن العظام تجري في البحار بإذن الله بسبب الريح التي تدفعها قال تعالى:

﴿ومن ءايته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره))[١].

((أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر بإحدى بليتين: إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري، وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكن إغراقاً بسبب ما كسبوا من الذنوب ...))[٢].

فالجبل عنصر من عناصر التشبيه القرآني جاء لبيان الارتفاع والحجم، والشكل الخارجي.

---

(1) سورة الشورى، آية: ٣٢، ٣٣.

(2) الكشاف ٢٢٠/٤.

المبحث الرابع:

متفرقات:

هناك عدة عناصر لا يمكن إدخالها تحت المباحث السابقة، وقد جمعتها تحت مبحث واحد، وهي كالآتي:

١ ـ السراب:

هو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض، لاصقاً ا، كأنه ماء جار ...))[1].

وقد انتزع عليه الصلاة والسلام من عنصر السراب وصفًا لجهنم يوم القيامة فكأ ا سراب يحطم بعضها بعضاً، فيحشر إليها اليهود والنصارى.

قال عليه الصلاة والسلام:

((.... فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأ ا سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار....))[2].

شبه عليه الصلاة والسلام نار جهنم بالسراب في إغرائه ومحبة العطشان له، فهم يبغون الماء، فيرون جهنم كالسراب فيتساقطون فيها.

يتساقطون فيها فيجدو ا عكس ما كانوا يتمنون، تشبيه دقيق مصيب استخدم فيه عليه الصلاة والسلام أداة التشبيه ((كأن)) وما تفيده من قوة المشا ة بين الطرفين.

أما السراب في القرآن الكريم فقد جاء في وصف أعمال الكافرين يوم القيامة، فهي كالسراب يظن أهلها أ ا ستنفعهم فإذا جاءوها لم يجوها شيئاً.

قال تعالى:

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمئآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾[1].

---

(1) اللسان ٢٢٧/٦، مادة ((سرب)).

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٣ ـ ٢٥.

شبههم سبحانه بمن قطع العطش حلقة في صحراء مقفرة، فرأى السراب فظنه ماءً فلما وصل إليه لم يجده شيئاً، فهذا حالهم يوم القيامة يحسبون أ م قدموا أعمالاً تنفعهم عند الله فيجعلها سبحانه هباءً منثوراً، فلم يقبل سبحانه منه أي عمل.

وقد سبق أ ا شبهت بالرماد والصفا ولكل وجه شبه مستقل انتزع من المشبه به.

جاء العنصر في الحديث ليدل على مشا تها للماء الذي يطلبون ويبغون، بخلاف مجيئه في الآية فقد دلّ على أن أعمال الكافرين لا شيء يوم القيامة.

٢ـ لمح البصر:

اللمحة: النظرة بالعجلة؛ الفراء في قوله تعالى: ((كلمح البصر، قال: كخطفه بالبصر...))[٢].

فسرعة البصر وانتقاله من مكان إلى آخر سرعةٌ عظيمة، وقد جاءت عنصراً من عناصر التشبيه النبوي، حيث صنف عليه الصلاة والسلام مرور المؤمنين على الصراط حسب أعمالهم، فجعل العابرين أولاً كطرف العين، وهذا بيانٌ للسرعة العظيمة التي يجتازون الصراط ا.

جاء في الصحيح من رواية أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ قال:

((... فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق ....))[٣].

وقد جاء عنصر لمح البصر في القرآن وذلك في بيان قدرة الله تعالى التي لا يحول دو ا شيء.

جاء ذلك في سرعة قيام الساعة إذا أراد الله قيامها فإن أمره بين الكاف والنون، قال تعالى:

---

(1) سورة النور، آية: ٣٩.

(2) اللسان ٣٢٥/١٢.

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٩/٣.

﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلاَّ كلمح البصر أو هو أقرّب إنَّ الله على كل شيء قدير﴾ [1].

ثم جاء عنصر السرعة المنتزع من لمح البصر في القرآن ليدل على سرعة وقوع أمر يريده الله، وأن ذلك الأمر كائن بعد قوله تعالى كن فيكون قال تعالى:

﴿وما أمرنا إلاَّ واحدةٌ كلمح بالبصر﴾[2].

قال الزمخشري:

((... إلا كلمة واحدة سريعة التكوين ((كلمح البصر)) أراد قوله كن، يعني أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه))[3].

فأمر الله لا يحتاج إلى إعادة وتكرار بل ينفذ حالاً لا يتأخر طرفة عين

((إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له: كُن. قولةً فيكون))[4]

سرعة عظيمة يجب علينا الإيمان، والاعتقاد أن قوة وإرادة الله لا يعدلها أي إرادة.

ما بين قبضة عين وانتباهتها   يغير الله من حالٍ إلى حالِ

٣ ـ رؤوس الشياطين:

لم نر الشياطين حتى نحدد الشكل الخارجي لهيئا م، ولكن من عادة العرب إذا استقبحوا شيئاً شبهوه بالغول والشيطان.

((فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان.

وإذا صوره المصورون: جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله؛ كما أ م اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شرفيه، فشبهوا به الصورة الحسنة ... وقيل: الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جداً. وقيل: إنّ شجراً يقال له الأستن خشناً منتاً مراً منكر الصورة،

---

(1) سورة النحل، آية: ٧٧.

(2) سورة القمر الآية: ٥٠.

(3) الكشاف ٤٢٩/٤ ـ ٤٣٠.

(4) تيسير العلي القدير ٢٧٥/٤

يسمى ثمره: رؤوس الشياطين، وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلاّ قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلاً ثالثاً يشبه به))[1].

ومهما يكن الراجح من هذه الآراء فإنّ وجه الشبه البشاعة والقبح.

وقد انتزع عليه الصلاة والسلام من هذا العنصر بياناً لو صف النخل الموجود في بستان بني زريق الذي يشرب من بئر أروان التي رمي بالسحر المعقود لرسوله صلّى الله عليه وسلّم فيها.

جاء في الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سحر رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ... ثم قال:((يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين))[2].

شبه عليه الصلاة والسلام ذلك النخل وما فيه من بشاعة المنظر وقبح الشكل برؤوس الشياطين.

والقرآن الكريم يشبه ثمر شجرة الزقوم التي جعلها سبحانه طعاماً لأهل النار برؤوس الشياطين. قال تعالى:

﴿أذٰلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم * إنّا جعلنها فتنةً للظلمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنّه رءوس الشيطين﴾ [3].

بلاغة عظيمة جاءت أساليبها على غرار الأسلوب العربي المألوف في تشبيه الأشياء القبيحة برؤوس الشياطين.

((فقد استقر في نفوس الناس من قبح الشياطين ما صار بمـ لة المشاهد كما استقر في نفوسهم من حسن الحور العين ما صار بمـ لة المشاهد، ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين شجر الزقوم ورؤوس الشياطين، ومنه قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونةٌ زرق كأنياب أغوال

---

(1) الكشاف ٤/٤٤، ٤٥

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٧٤ ـ ١٧٨.

(3) سورة الصافات ٦٢ ـ ٦٥.

وأدخلوا هذا النوع في تشبيه العقلي بالعقلي لأنه لا يدرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يكن مدركاً إلا ا))[١].

٤ ـ الفَراش:

الفراش ((دواب مثل البعوض تطير، واحد ا فراشة، الفراشة: التي تطير و افت في السراج، والجمع فراش. وقال الزجاج: ما تراه كصغار البق يتهافت في النار ... وفي المثل: أطيش من فراشة، والفراش: الخفيف الطّياشة من الرجال.))[٢].

والفراش مثل في الضعف والغباء، يرى النار فيعجبه الضوء فيتوجه نحوها فيتساقط فيها، فيحرق.

وقد ضرب العرب المثل ا فقالوا: ((أخف من فراشة))،((وأطيش من فراشة))،((وأخطأ من فراشة لأ ا تطرح نفسها في النار))[٣].

وقد انتزع عليه الصلاة والسلام من عنصر الفراش بياناً لجهل البشر وحماقتهم، وما يقومون به من صدود عن الدين وإعراض عن نصح نبيه عليه الصلاة والسلام لهم، فحالهم وهم يتهافتون إلى المعاصي المؤدية إلى غضب الله ـ عز وجل ـ الموجبة لناره كحال ذلك الفراش الذي رأى النار فظن فيها الخير والسعادة المنبثقة من ضوئها، فيتساقط فيها فيتم إحراقه مع إصرار من على النار في دفع تلك الحشرات التي غلبته وهو يحاول نجا ا ومنعها، فالبشر تلك الحشرات، والقائم على النار هو الرسول عليه الصلاة والسلام.

ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم:

((مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجز هن ويغلبنه فيتقحمن فيها فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها))[٤].

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون ط٢ ١٩٩٦ ص ٣٤٩.

(2) ينظر " اللسان" ٢٢٧/١٠.

(3) مجمع الأمثال الميداني ٢٦١/١ وما بعدها.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ٤٩/١٥ ـ ٥٠.

وقد جاءت كلمة ((النار)) في الحديث نكرة لتدل على أ ا نار عظيمة كثر ضوؤها وانتشر حتى جلب الجنادب والفراش وبقية الحشرات من حولها.

وهذا النور المضيء هو نور النبوة الذي أضاء الأماكن التي غطى عليها ظلام الجاهلية المنتشر في أصقاع الدنيا.

والرسول عليه الصلاة والسلام منذ أن بعثه الله حتى رفعت روحه الشريفة وهو يذب ويدفع الأمة عن مهاوي المعاصي والآثام، ولا تزال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة رادعةً ومانعة ومحذرة من غضب الله وعذابه.

ويأتي عنصر الفراش في القرآن الكريم لبيان الحال التي يكون عليها أهل الحشر يوم القيامة وما هم فيه من ضعف وتناثر، قال تعالى:

﴿يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث﴾ (1).

((شبههم بالفراش في الكثيرة والانتشار والضعف، والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار، قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه   مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي أمثالهم: أضعف من فراشة وأذل وأجهل، وسمي فراشاً: لتفرشه وانتشاره "(٢).

فالعنصر في الصورة النبوية جاء لبيان ما يتصف به البشر من غباء وحمق وقلة عقل، وعدم إدراك للعواقب، وما يصيبهم من غرور إذا رأوا الملذات.

أما في الصورة القرآنية فكان العنصر مبيناً لحال الخلق يوم القيامة، وما هم فيه من تفرق وتناثر وضعف.

ولا يخفى أثر الصفة في الصورة ((مبثوث)) الدال على الكثيرة والوهن والانتشار.

٥ ـ البيض:

انتزع عليه الصلاة والسلام من عنصر البيضة بياناً لمقدار الأجر الذي يناله من فرط في التبكير إلى صلاة الجمعة.

---

(1) سورة القارعة آية: ٤.

(2) الكشاف ٧٨٢/٤.

فأجره تقلص من أجر من تصدق ببدنة حتى وصل إلى أجر من تصدق ببيضة.

ففي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال:((من أغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح، فكأنما قرب بدنة .... ومن راح في الساعة الخامسة، فكأ نما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر))[1].

الحديث دليل على فضل التبكير إلى صلاة الجمعة، وأن الأجر يتفاوت في ذلك.

وقد بين عليه الصلاة والسلام الفرق بين الرائح الأول والرائح المتأخر، فأين الذي تصدق ببدنة من الذي تصدق ببيضة، فأجر من تصدق ببيضة أجر قليل إذا كان قادراً على التصدق ببدنة.

فعنصر البيضة هنا جاء لبيان مقدار ذلك الأجر الذي يناله من تأخر عن صلاة الجمعة، فوصل إلى المسجد قبيل خروج الإمام.

وقد ورد عنصر البيض في القرآن الكريم في سياق وصف نساء أهل الجنة وبيان ما يتصفن به من جمال وصفاء وبياض.

قال تعالى:

﴿كأنهن بيض مكنون﴾[2].

((شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي، و ا تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور))[3].

((وكن الشيء ستره وصانه من الشمس))[4].

ووصف الحور بالبيض وباللؤلؤ دليل على المستوى العالي من الجمال الذي حباه الله لهن.

فالحديث النبوي جاء بالبيضة عنصراً من عناصر الصورة لغرض بيان حجم ومقدار الأجر الذي حصل عليه من جاء للجمعة في الساعة الخامسة، وهي آخر ساعة قبيل خروج

---

(1) ينظر" صحيح مسلم بشرح النووي" ١٣٣/٦ ـ ١٣٦.

(2) سورة الصافات آية ٤٩.

(3) الكشاف ٤٢/٤.

(4) مختار الصحاح/ الرازي ٦٩٧.

الإمام للصلاة، أما العنصر في الصورة القرآنية، فالغرض منه بيان مدى الجمال الذي يتصفن به الحور العين.

ووصف النساء بالبيض أمر وارد في كلام العرب وهو صورة عظيمة توحي وتكسب المشبه ما يتصف به المشبه به من بياض مشاب بصفرة ونقاء ومحافظة، وامرؤ القيس ـ صاحب المعلقة ـ أول من شبه النساء بالبيض فيما ورد إلينا من تراث أدبي، قال في معلقته:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها   تمتعت من لهو ا غير معجل

أي رب بيضة خدر يعني امرأة كالبيضة في صيانتها، وقيل في صفائها ورقتها لا يرام خباؤها لعزها...

وقال في بيت آخر:

كبكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير المحلل

البكر هنا أول بيض النعامة... ومعنى البيت أنه يصف أن بياضها يخالطه صفرة وليست خالصة البياض فجمع في البيت معنيين أحدهما أ ا ليست خالصة البياض والآخر أ ا حسنة الغذاء ...))[1].

(1) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي، دار الجيل، بيروت ص٢٣، ٣٤ والمقاناة: المخالطة.

الخاتـمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، جعل إعجاز القرآن بلاغة فآمن به الرسول - عليه السلام - وأتباعه، وأسال الوادي على الكفار عجزا، نزله لينذر به قوماً لُدا، فمنعهم كبرهم تدبر معانيه، وقالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوافيه.

والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبدالله، وعلى آله، ومن اهتدى داه، وبعد:

فقد فضل عليه الصلاة والسلام بجوامع الكلم، وكان لأسلوب التشبيه في حديث - عليه الصلاة والسلام - الأثر الطيب، حثاً على فضيلة، وترغيباً في خير، أو تحذيراً من رذيلة وتنفيراً من شر، وقد تعددت الموضوعات التي عرض لها التشبيه فهي موضوعات مهمة لها علاقتها بالإنسان وصلاح دنياه وآخرته، وقد كان عليه الصلاة والسلام يعمد إلى وسائل إيضاح لتقريب المعنى المقصود للأفهام كالتمثيل الحسي أو الإشارة أو الرسم...

وقد وجدت من خلال دراستي لهذا الموضوع ما يلي:

١ - أن التشبيهات النبوية المفردة والتمثيلية جاءت منتشرة في الصحيح في جميع الموضوعات، فجاءت في وصف الدنيا وأحوال أهلها، والآخرة وما فيها من أهوال، ونعيم في الجنة، وعذاب في النار، إضافةً إلى التشبيهات الواردة في موضوع العبادة التي كان الغرض منها الترغيب في ذلك العمل أو التحذير منه.

٢ - أن التشبيهات النبوية شملت جميع أغراض التشبيه التي استخرجها علماء البلاغة، فبينت الحال والمقدار، وتحسين المشبه وتقبيحه ...

٣ - انحصر التشبيه النبوي المرسل في ثلاث أدوات تشبيهية هى ((الكاف وكأن، ومثل)).

وقد جاء أكثر التشبيهات النبوية مرسلةً مجملة.

٤ ـ أثناء مقارنتي بين التشبيه النبوي والتشبيه القرآني وجدت عدداً من العناصر التي تكون منها التشبيه تم استخدامها في بناء الصورة التشبيهية في الحديث النبوي والقرآن الكريم، ولكن العنصر جاء في صورة مختلفة الأغراض.

ومن خلال مقارنتي بين تشبيهات الحديث النبوي وتشبيهات القرآن الكريم وجدت أن:

١ ـ أن تشبيهات القرآن غير مقيدة ببيئة معنية، فلم يتم حصرها في عصر ولم تقتصر على مصر، وإنما كانت عامةً تستمد عناصرها من الطبيعة، فلم تكن خاصةً لقوم، فالماء يرى نزوله من السماء كظاهرة طبيعية متكررة، والسراب، والزرع، والجبال، والرماد، والفراش، وأن هذه العناصر لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها بحال من الأحوال، وهذا من أسباب تأثيرها في النفوس، وقد جاء مثل هذه العناصر في كلامه عليه الصلاة والسلام.

٢ـ أ ا تدور حول الإنسان تشبهه، وتذكر صفاته، وأحواله، وتمثل له بأشياء أخرى تتناسب مع أوضاعه وموقفه من الدين، فهي تشبيهات تدور حول هدايته، فهما طريقا الهداية والإيضاح لجميع أمور الدنيا والآخرة.

٣ـ أن أمثال القرآن بحاجة إلى التدبر والتفكير العميقين، والتأمل في العناصر والأغراض، كما قال تعالى:

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاَّ لعالمون﴾(١).

وقال سبحانه:

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾(٢).

وقال تبارك وتعالى:

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾(٣).

---

(1) سورة العنكبوت آية: ٤٣.

(2) الزمر آية: ٢٧.

(3) الحشر آية: ٢١.

أما التشبيهات النبوية فهي للبيان والإيضاح، فتكون بذلك أقرب للعقل وللفهم، وهذا ج كل مرشد وقائد لقومه يضرب لهم الأمثال، ويجسد الحقائق النظرية والفكرية بصور من الحياة اليومية المحسوسة لتثبت عن طريق الفهم ويصل المعنى المراد إيصاله.

٤ ـ أ ا صور تشبيهية تلج بالمعنى إلى شعاب الروح، فتزيده وضوحاً وجلاءً في الذهن وتنصهر في خاطره، فيجني ثمارها في عقله وبصره، وجميع أمور حياته.

وتشترك تشبيهات القرآن الكريم والحديث النبوي في عدد من الأمور وهى:

١ ـ إن الألفاظ تم اختيارها بدقة لغرض معين يفهم من السياق، وهذا ملاحظ في جميع الموضوعات.

٢ ـ إن تشبيهات القرآن الكريم والحديث النبوي جاءت من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس، أو المعقول بالمحسوس، ما عد التشبيه برؤوس الشياطين.

٣ ـ إن تشبيهات القرآن الكريم والحديث النبوي جاءت مفردةً وجاءت مركبة.

وقد وجدت للقرآن الكريم أثراً وضحاً في أسلوب التشبيه النبوي سواء كان ذلك في الأغراض أو العناصر المكونة للصورة. وهذا ملاحظ ملموس في تشابه العناصر التي تم تحليل صورها، وفي بعض التشبيهات المشتركة كنمو الصدقات ومضاعفتها، وكما هو معلوم أن السنة شارحةٌ للقرآن ومبينة لمعانيه، وقد وجدت عدداً من المعاني التي تشرح وتفسر بعض الآيات، وهذا باب متسع لم نتعرض له بالتفصيل.

هذه هى النتائج التي توصلت إليها بعدا ستقصاء وشرح وتحليل و إعادة ربط .

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الإتقان في علوم القرآن للإمام/ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ أثر التشبيه في تصوير المعنى د/عبد الباري طه سعيد، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.نسخة مصورة.

٣ ـ أدب الكاتب، عبد الله بن قتيبة الدينوري، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، مطبعة دار السعادة، مصر.

٤ ـ الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، المكتبة البخارية الكبرى.

٥ ـ أدوات التشبيه ودلالا ا في القرآن الكريم، د/موسى حمدان، نسخة مصورة.

٦ ـ أساس البلاغة للإمام الزمخشري، طبعة دار المعارف.

٧ ـ أسرارا البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تعليق/محمود شاكر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨ ـ أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق هـ.ريتر، دار المسرة.

٩ ـ الأمثال من الكتاب والسنة للترمذي، تحقيق/علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث.

١٠ ـ أمثال الحديث / أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق/عبد العلي عبد الحميد، بومباي، الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

١١ ـ الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق د/عبد المنعم خفاجي، بيروت، الطبعة الخامسة، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.

١٢ ـ البحر المحيط للإمام أثير الدين أبي حيان الأندلسي، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ ، مطبعة السعادة، محافظة مصر.

١٣ ـ البلاغة التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم د/أحمد موسى، مطبعة المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

١٤ ـ البلاغة العربية في فنو ا د/محمد علي سلطاني، مطبعة زيد بن ثابت، ١٤٠٠هـ.

١٥ ـ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق/عبد السلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ.

١٦ ـ البيان النبوي د/محمد رجب البيومي، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ ـ/١٩٨٧م.
١٧ ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ـ.
١٨ ـ التصوير البياني د/محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ ـ /١٩٩٣م.
١٩ ـ التصوير والرمزية في الأمثال القرآنية د/ضياء الدين الجماس، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ /١٩٩٠م.
٢٠ ـ التصوير الفني في الحديث النبوي د/محمد لطفي الصباغ، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ /١٩٨٣م.
٢١ ـ ـذيب سنن أبي داود للإمام ابن القيم، تحقيق أحمد شاكر، ١٣٩٩هـ ـ.
٢٢ ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض ، ١٤١٠هـ ـ /١٩٨٩م.
٢٣ ـ الجمان في تشبيهات القرآن لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين ابن ناقيا البغدادي، تحقيق عدنان زرزور ومحمد الداية، المطبعة العصرية، الكويت، سنة ١٣٨٧هـ ـ /١٩٦٨م، الطبعة الأولى.
٢٤ ـ الجمان في تشبيهات القرآن لأبي القاسم عبد الله ابن ناقيا البغدادي، تحقيق الدكتور مصطفى الجويني، الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية.
٢٥ ـ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد ا يد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، الطبعة الأولى، عام ١٣٨٤هـ ـ /١٩٦٤م.
٢٦ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية، عام ١٤١٤هـ ـ/١٩٩٣م.
٢٧ ـ الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية د/عز الدين السيد، طبعة دار اقرأ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ/١٩٨٤م.

٢٨ ـ الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق/ عبد السلام هارون، بيروت، ا مع العلمي العربي الإسلامي، الطبعة الثالثة.
٢٩ ـ دفاع عن البلاغة للأستاذ أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، سنة ١٩٤٥م.
٣٠ ـ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تعليق/محمود شاكر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٣١ ـ ديوان المعاني ـ لأبي هلال العسكري، نسخة مصورة.
٣٢ ـ روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دار الطباعة المنيرية.
٣٣ ـ رياض الصالحين للإمام النووي، تحقيق/شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة عشر، ١٤١١هـ ـ/١٩٩١م.
٣٤ ـ رياض الصالحين للإمام النووي، تحقيق/محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ ـ /١٩٨٦م.
٣٥ ـ شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي، ضبطه عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ /١٩٨٧م.
٣٦ ـ شروح التلخيص، مختصر سعد الدين التفتازاني، مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي، عروس الأفراح للسبكي، مصر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣٧ ـ صحيح أشراط الساعة لمصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ/١٩٩٢م.
٣٨ ـ صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣٩ ـ صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ـ /١٩٨٤م.
٤١ ـ صور من البيان النبوي والقرآن د/فتحي فريد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ /١٩٨٣م.

٤٢ ـ الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحيقق د/مفيد قميحة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
٤٣ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، الطبعة التاسعة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م،دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٤ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وأخرون، الطبعة الثالثة ، ١٣٩١هـ /١٩٧١م.
٤٥ ـ علم البيان، د/بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م.
٤٦ ـ علوم البلاغة لأحمد المراغي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٤٧ ـ عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني، طبعة الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
٤٨ ـ غريب الحديث للخطّابي، تحقيق/عبد الكريم العرباوي، نشر جامعة أم القرى، طبعة ١٤٠٢هـ.
٤٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق الشيخ بن باز، توزيع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٥٠ ـ فن التشبيه لعلي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.
٥١ ـ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مطبعة دار المأمون بمصر، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
٥٢ ـ الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، السيد شحاتة، مصر، دار النهضة.
٥٣ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري، رتبة محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.
٥٤ ـ لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، بيروت، دار صادر.

٥٥ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين بن الأثير، تحقيق د/أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة.

٥٦ ـ ا ازات النبوية: للشريف الرضي، شرح /طه عبد الرءوف، مطبعة الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٩١هـ ـ /١٩٧١م.

٥٧ ـ مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الرابعة، ١٣٧٤هـ ـ /١٩٥٥م.

٥٨ ـ مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر الرازي، دراسة د/عبد الفتاح البركاوي، المكتبة التجارية، دار المنار.

٥٩ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعلي قاري، مكتبة رشيديه ، باكستان.

٦٠ ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطويرها: د/أحمد مطلوب، مكتبة لبنان نشارون، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٦١ ـ المعجم الوسيط: د/إبراهيم أنيس وآخرون، دار الباز، الطبعة الثانية.

٦٢ ـ مفتاح العلوم: للسكاكي، ضبط وشرح الأستاذ/نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ، ١٩٨٣م.

٦٣ ـ المفهم شرح صحيح مسلم: للقرطبي ، تحقيق، د/الحسيني أبو فرصة وآخرون، دار الكتاب المصري واللبناني.

٦٤ ـ نقد الشعر: لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق/محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ /١٩٧٨م.

٦٥ ـ النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، المطبعة الخيرية، مصر.

٦٦ ـ هامش الترغيب والترهيب من القرآن الحكيم، لمحمد منير الدمشقي على هامش الترغيب والترهيب للمنذري، دار الحديث.

الفهـ ـ ـ ـرس

الموضوع | الصفحة